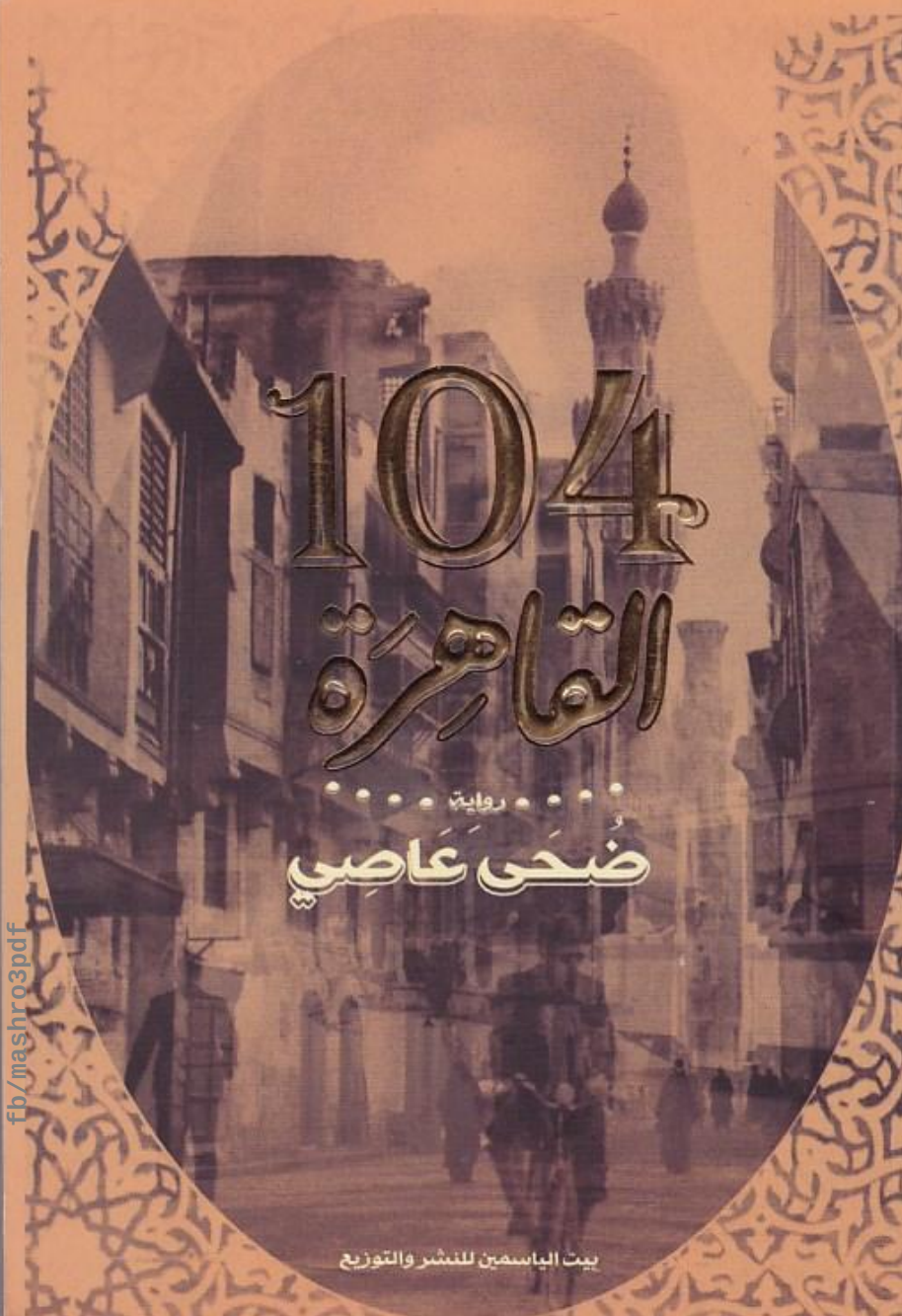

fb/mashrq3pdf

ضحى عاصي

104 القاهرة

رواية

fb/mashro3pdf

الإشراف العام:
زياد إبراهيم

المراسلات:
الدور الثانى شقة 3
53 ش خيرت - ميدان لاظوغلى عابدين
جمهورية مصر العربية

البريد الالكترونى:
ziadibrahim_2008@yahoo.com
ziadibrahim1979@gmail.com
Baitelyasmin@yahoo.com
Baitelyasmin@gmail.com

تليفون:-
(+202) 27949885
(+2) 011100 94 62 5
(+2) 010166 85 58 3

اسم الكتاب:
104 القاهرة
المؤلف: ضحى عاصي
الناشر:
بيت الياسمين للنشر والتوزيع

رقم الإيداع:
2016/16374
الترقيم الدولى:
978-977-817-000-9
حقوق الطبع محفوظة.
الطبعة الأولى 2016.
الغلاف لـ عبد الرحمن الصواف
تصحيح: محمد حمدي أبو السعود
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أوتجزئته في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطى مسبق.

كل ما يرد داخل هذا الكتاب من آراء أو أفكار هو مسؤولية الكاتب وحده، ولا يعبر بالضرورة عن التوجهات والسياسة التحريرية للدار.

fb/mashro3pdf

إلى روح الشيخ المستنير مصطفى عاصي

إلى ملك... روحي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

عندما تفقد كل شيء في لحظة خاطفة، تذكر أنك عندما ولدت لم تملك أي شيء غير قوة الحياة بداخلك

ضحى عاصي

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

104 القاهرة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

- ١ -

كلُّ ما يَحدث الليلةَ غريبٌ تمامًا عليه، غرابةَ وجودِه في هذا المكان، جَلس الأسطى حَسَن في هذا العزاء المقام في جامع عُمَر مكرم وقد أصابته حالة من الذهول التام، عيناه لا تفارقانِ أضواء الكهارب وفخامة الأقمشة وكِمية النجَف المضاءة، وهو الذي كان يعاني شهريًا مِن دفْع فاتورة الكهرباء التي لا تتجاوز العشرين جنيهًا، كَمْ مَن المَبالغ سيتم دفعها مقابل هذه الكَمِّية الهائلة مِن الكهرباء! حتى الشيخ المُقرئ يتقاضى آلافَ الآلافِ مِن الجنيهات ليقرأ رُبعَ قرآن! كل هذه المَبالغ التي تُصرَف في ليلةٍ واحدة عاش عمرَه كله يحلم أن يمتلك رُبعها أو عُشرَها أو حتى يراها فقط رؤية العين. لم يكن حَسن يتصور أنه يومًا ما سيدخل هذا المكان أو يمُر حتى قريبًا منه، فعندما يكون هناك مأتَم فإن الحرَس والسيارات الفارهة التي يَخرج منها بشر ليس لهم علاقة بعالَمِه يمنعون مرور البسطاء، أو ربما كان البسطاء أنفسُهم يخافون المرورَ بجوارهم.

لم يملك حَسن يومًا سِوى قائمةٍ من الديون، أمَا أصدقاؤه فكانوا على شاكلتِه ما بين تَبَّاع ميكروباص أو صَنايعي أرزقي. حَسن عمرُه الآن خمسون عامًا قضاها في محل منجِّد، تَدرّج مِن صَبي حتى أصبح أسطى.. نَعَم الجميع ينادونه الأسطى حَسن، لكنه هو وحدَه كان يعرف جيدًا أنه أسطى «كُلشينكَان»، حياتُه كانت سلسلة من

fb/mashro3pdf

الملاحقات مِن أصحاب الأطقُم التي تَسلَّمَ عربونَها وأنفقَه على مقهى زهير في القلعة، حيث قضى معظم عمرِه يدخن الشيشة ويحكي عن أصاله نَسبِه وأن أخوالَه لأُمِّه ينتمون إلى الشيخ حَسن طوبار، شيخ بلدة المنزله وزعيم المقاوَمة الشعبية أيام الحَمْلة الفرنسية، لذا أسمته أُمُّه حَسن، تيمُّنًا بجَدِّها الأكبر حَسن طوبار والذي اعتبَره الفرنسيون خصمًا عنيدًا لا يُستَهان به، فقدْ كان يجوب البلادَ بنفسه يحرِّض الأهالي على الثورة، ويرسِل أتباعَه إلى بعض البلاد الأخرى لتنظيم المقاوَمة ضد الفرنسيين، كما حرَّضَ سكانَ بعضِ القُرَى الواقعة على النيل على إطلاق النار على السفن التي أقلّت الجنودَ الفرنسيين، ولذا كان الفرنسيون يحسبون له ألفَ حسابٍ ويسعون بمختلف الوسائل أن يُخضِعوه أو يجتذبوه لصفوفهم، فأرسَل نابليون بعضَ الهدايا إلى الجنرال فيال ليقدِّمها باسمِه إلى حَسن طوبار، ولكنه رفضَ الذهاب لاستلام هدايا نابليون، وكان رده أنْ جهَّزَ مجموعة مِن الفلاحين والعرب للهجوم على الجنود الفرنسيين، لم يفلح الفرنسيون في استمالته ولكنهم أيضًا أدرَكوا أنه مِن الصعب إلقاءُ القبض عليه، لأن ذلك سيكون شرارةً لثورةٍ عارمة في البلاد.

كانت هذه القصص التي يحكيها حَسن عن الجنرال فيال وداماس وكيف كان جَدّه بطلا وطنيًا عفيفًا دائمًا مقدّمةً للاعتذار عن عدم مقدرته على سداد ديونه، وللتاكيد على أنه ابن أصول ولن يأكل حق أحد، وكان دليله الوحيد على هذا أن اسمَه حَسن وأن أصول أسرته تعود إلى قرية المَطَرية التابعة لمركز المنزلة. كثيرًا ما كان

fb/mashro3pdf

الدائنون يُنصِتون له ويتابعون باهتمام قصص حَسن طوبار الكبير زعيمِ المقاوَمة الذي مات فجأة بالسكتة القلبية، والذي تَصدَّر خبرُ وفاته إحدى الجرائد الفرنسية وقتَها، ولكن إذا أراد أحدهم أن يستفز حَسن يقول له «مقاومة إيه يا حسن؟ أُمّال عينيك الخضرا وشَعرك الأصفر والبياض ده منين؟ انت جاي مِن نَطة فرنساوي» كانت هذه الجملة بمثابة ضربة قاتلة لحَسن، تجعل وجهَه الأبيض ينفر احمرارًا كحبّة طماطم ولكنه يتمالك نفسه ويجيب «أصلكم جهلة متعرفوش أن الحملة الفرنسية أيام نابليون ماكانوش عساكر بس، كان معاهم نسوانهم وبناتهم، ولما كانوا بيتهزموا في معركة كانوا المصريين بياخدوهم سبايا ويعاشروهم ويخلّفوا منهم».

يتزايد ذهول حَسن كلما دخل القاعةَ رجالٌ تبدو عليهم ملامح الحزن والتأثر أحيانا لدرجة البكاء، لم يفهم حَسن شيئًا هُيِئ له أن بعض الوجوه معروفة له، ربما رآها مِن قَبل في التلفزيون أو على صفحات الجرائد، ولكن تعبيراتِهم هُنَا مختلفة، اختفت علامات الغطرسة والكِبر والعَنجهية، كانت هناك حالةٌ من الحزن العميق تسود المكانَ كله جعلت الصوانَ صامتًا لا يقطع صوت الحزن فيه إلا صوت المُقرئ.

هُيئ له أنه يرى أصدقاءَه وعِشْرةَ عمرِه في مقهى زهير يجلسون بجواره في المأتم، على يمينه محمد رزه سائق الميكروباص والذي دائمًا ما زَج به في معاركَ بسبب نِصف جنيه، تبدأ المعارك بسبب الدين وتنتهي غالبًا بجروح متفرقة في الوجه والجسد، وعلى يسارِه

fb/mashro3pdf

الشيخ رجب كوبرا يجلس في مواجهة أحد وجهَاء المجتمع وربما مِن هيئته والحراسة التي حولَه يبدو كأنه أحد رجال الشرطة المهمّين، رجب النصاب والذي في الأصل يعمل منجِّدًا إفرنجيا، استطاع إقناعَ الجميع أنه اتبع الطريقة الرفاعية وتعلَّمَ حواية الثعابين على أيدي الشيخ علي نور الدين المشادوي، أشهرِ مَن لهم القدرة على اصطياد الثعابين واستخراجِها من البيوت بقراءة تعويذة الكفكفية، تَذكّر حَسن كيف قضى ليلة مع الشيخ رجب في اصطياد حَيةٍ بعد استغاثة أحد الجيران بوجود كوبرا في منزِله، وقتَها هرعَ جميع الجالسين على مقهى زهير مع الشيخ رجب إلى هذا المنزل، وقام رجب باصطياد الحَية التي كادت أن تلدغه لولا ستر الله، بعدَها سهِرَ الجميع سهرة رائعة تناوَلوا فيها جميع أنواع المخدّرات احتفالا بسلامة الشيخ، وتحت تأثير السطَل اعترفَ كوبرا لحَسن أنه لا يملك من الروحانيات ما يجعله قادرًا على السيطرة على الثعابين، وأنه ليس رفاعيًا أصيلا، ولكنه عندما حضرَ مع الشيخ المشادوي عدة حلقات ذِكرٍ قررَ مِن وقتِها أن تكون هذه هي مهنته الجديدة، واعترفَ أيضًا لحَسن أنه هو مَن قام بوضع الثعبان على وسطِه، ثم قام برميه داخل المنزل، وأنه عادةً ما يفعل ذلك وينتظر قريبًا من المنزل حتى يسمع الاستغاثةَ وأحيانا اختصارا للوقت يقوم بإخبار صاحِب المنزل مباشرةً، بعد أن يُلقي الثعبانَ ويتفق على إخراجه مقابِلَ مبلغٍ من المال، وقتَها يُخرِج رجب عصاه التي وضَع عليها بعضًا مِن دِهن الثعبان،

fb/mashro3pdf

فيحضر الثعبانُ متبعًا حاسةَ الشم القوية عنده.

نعم هي تهيؤات.. كيف يمكن لرجب النصاب أن يجلس في مواجهة مدير أمن العاصمة دون أن يرتجف؟!

كان حَسن يراقِب الحضور بعينين زائغتين متشككًا متسائلا، وجملة واحدة تتردد في رأسه: وجود عزاء في عمر مكرم بهذه الفخامة والثراء أمرٌ منطقي، ووجود هؤلاء الباشوات والهوانم في هذا المكان أيضًا أمر منطقي، أمّا وجودي هنا...!

... ورْطَة!

ورطةٌ حقيقية لا يعرف كيف يفسرها، نجاته الوحيدة مِن هذه الورطة أن يصدق أنه مسطول وأنه دخَّن سيجارتَي حشيش، أو بلبعَ برشامتَي صراصير، أو ضربَ قرصَيْ تهيؤات جعلته يتصور أنه هُنا في جامع عمر مكرم في مأتم انشراح زوجته!

انشراح «بنت الكلب» كما كان يحلو له أن يناديها، انشراح التي عاشرَها حوالَي ثلاثين عامًا لم يرَ فيها غير كتلةٍ من اللحم متكورةٍ تقترب من الأرض وترتدي السوادَ وتلف الطرحةَ حول وجهها بصورة تثير الشفقة.

من المؤكد أن هناك سوء تفاهم، لابُد أنها انشراح أخرى، انشراح تستحق أن تنخلع لفراقها قلوبُ هؤلاء البكوَات والهوانم، انشراح جديرة أن يقام لها عزاء في عمر مكرم، أمّا زوجته انشراح فمستحيل.. هناك التباسٌ ما!

****

fb/mashro3pdf

- 2 -

اسمي انشراح عويضة

هـذا المأتـم في عمـر مكـرم هـو مأتمـي، حَسـن زوجـي في حالـة ذهـول أو صدمـة، لا يفهـم شـيئًا، عِشـتُ معـه حـوالَي ثلاثـين عامًـا حتـى توفّاني اللـه، وهـو لا يفهـم شـيئًا ولا يريـد أن يفهـم شـيئًا، إنـه حتـى لم يفكـر يومًـا مـا أنـه يحتـاج أن يفهـم أي شيء، باختصـار حَسـن حُمَار!

«عندمـا تمـوت وتـترك جسـدَك تكـون أكـثر تحـررًا وسـعادة، ولا تؤلِمـك الأشـياء الصغـيرة التـي تَجرحـك وأنـت محبـوس داخـل هـذا الجسـد. عندمـا تمـوت تتحـرر مـن أزمـة الإنسـان الكـبرى، **الخـوف**».

كنـتُ صغـيرة في الخامسـة عَـشَرة، أذهلتنـي كلـماتُ صديقـي الزائـر الليـلي عندمـا جـاءني لأول مـرةٍ، وقتَهـا كانـت جَـدتي عـلى فـراش المـوت ورفـض سـيد أخـي الأكـبر أن أُكمِـل تعليمـي، وصـوت صفـارات الإنـذار المـدوي في كل مـكان، كنـتُ خائفـة جـدًا، أطـرافي مجمّـدة، شـفتاي لونهـما أزرق، جسـدي كلـه يرتعـش شـعرت أنـني لا أسـتطيع التنفـس، وزادت ضربـات قلبـي لدرجـةٍ تصـورتُ معهـا أن جـدران المنـزل تهتـز معهـا.

استطردَ قائلا:

«جَدتـك الآن سـوف تنتقِـل إلى العالَـم الحقيقـي، عالـم أكـثر تحـررًا وسـعادة، سـوف تتحـرر مِـن أهـم نواقـص البـشر .. الخـوف، يجـب أن

fb/mashro3pdf

تكوني سعيدةً مِن أجلها».

كان صوته مطمئنًا دافئًا، أخذَ يضحك معي قائلا:

«لا تخافي، يتملك الناسَ الخوفُ عندما يشعرون بالضعف والاحتياج، وأنتِ قوية، تأكدي لن يحدث لكِ أي شيء سيئ ومهما حدثت لكِ أشياء قاسية ستتغلبين عليها وتحوّلينها لصالحك، أنا أحِبك يا انشراح لأنكِ مِثلي تمتلكين فيريل، ولذا ستكونين أهلا لسيادة جسدك والناس والعالَم جمعًا، فيريل.. تذكّري هذه الكلمةَ جيدًا، ردِّديها دائمًا إنها مَصدر قوتِكِ في الحياة».

حيَّرَني هذا الصوت الذي يزورني، صوت مجهول ليس له هوية، الغريب أنه لم يخِفني، بعد فترة ألِفتُه بل اعتبرتُه صديقي.

شغلتني كلمات صديقي الليلي وظللت أبحث عن تفسير فيريل سنواتٍ طويلة، ولكنني لم أتحرر من الخوف إلا في المرات التي مِتُّ فيها، نَعَم فهذه ليست المَرةَ الأولى التي أموت فيها، لقد سبق ومت على ما أتذكّر حوالَي أربع أو خمس مراتٍ، حتى أصبحتُ مشهورة في المنطقة التي أسكنها بـ«انشراح أُم خَمس أرواح».

ولكني أشعر هذه المَرة أن موتي نهائي، موت لا رجعة منه.

ولكن ربما هذا أفضل، فمِن مَكاني هُنَا أستطيع أن أرى كلَّ شيء بوضوح وصدق أكثر، حتى الأشياء أفهم لغتَها، لقد سمعتُ عروستي أم أحمد، وطاسة الزيت ومقصي، كانوا يبكونَني بعد موتي.

سمعت القصص والحكايات التي نسجها الناس عني، وعلمتُ أن

fb/mashro3pdf

هناك مَن يقوم بعمل رسالة دكتوراه عن حياتي، وأن هناك أيضًا مَن يحاول أن يكتبَني روايةً، سأتركهم يكتبون ما يريدون، ولكن ربما أضطر أحيانًا أن أتدخل وأحكي عن نفسي مِن وجهة نظري أو أن أضيف لهم كنوعٍ مِن المساعدة أشياء لا يعلمُها عني غيري. وهي أيضًا فرصة لي أن أحكي عن أشياء لم يكن ممكِنًا أن أقولها وأنا محبوسةٌ داخل جسد انشراح وعلى ذِمة حَسن!

****

fb/mashro3pdf

- 3 -

«أُم أحمد شايلة أحمد.. ساحبَة أحمد بإزازة»

عشقتْ انشراح أُمّ أحمد صديقتَها الأولى، والتي ظلت معها عمرها كله وأنقذتها بأُعجوبةٍ، عندما سكبَ حَسن الجاز على دولابها في إحدى خناقاتهما الكبيرة، فقدْ كانت متعتها الوحيدة في الطفولة وهمّها الوحيد كل أيام الأسبوع هو جمْع هذه الزجاجات الفارغة، حتى تفوز بأم أحمد ونيستِها الوحيدة في هذا المنزل الخاوي مِن البشر والذي بالرغم مِن ضيقِه وصغرِ مساحته يبدو كالقصر، لا أحد فيه يرى أحدًا، الأب رجُل شابَ سلوكَه كثيرٌ مِن الشبهات، كان تاجِر «شَمّاسي» معروفًا وقيل إنه كان يعمل في تسويق العاهرات، وإنه كان يملك الكثير من العلاقات غير الواضحة مع الجنود الإنجليز والذين تَعرّف عليهم في شارع عماد الدين، حيث سهراته الليلية المعتادة وحيث تعرّف على فاطمة راقصة عماد الدين التي افتتنت به وتزوجته وأنجبت منه بيسة، وقيل إنه كان الفتوةَ، وقيل إنه كان يتاجر في المخدرات، لم يكن أي شيء واضحًا بالنسبة لانشراح، كانت قاهرةُ أواخرِ الخمسينات وأوائل الستينات تختلف كثيرًا عما قبل، لم يكن هناك جنود إنجليز، ولم يعُد هناك مَلِك، ولم تعُد هناك طرابيش، كان ناصِر في كل مكان وكانت الثورة، انشراح التي دخلَ أبوها السجن وعمرها أربعون يومًا تزامنت مع

fb/mashro3pdf

قيام ثورة يوليو، لم تَعرِف لها أبًا سِوى ناصِر.

كانت اللعبة المفضّلة لها في الحارة هي «الإمه»، تجري انشراح بكل قوتها تسابِق كل الأطفال ولا تلتفت وراءها وهي تجري، تعلَم جيدًا أن الثواني التي تلتفِت فيها قد تعطّلها، تجتهد حتى تلمس الحائط قبل الآخرين، هي الفائزة.. هي الأولى.. هي مَن تستحق أن تكون ابنةً ناصِر، وهناك عندما تلمس الحائطَ تصرخ بأعلى صوتها مِن الفرحة «عبد الناصر أبويا، عبد الناصر أبويا» ظلت سنواتِ طفولتها المبكرة تتباهَى بأن عبد الناصر أبوها حتى التحقت بالمَدرَسة، وكانت تكتب اسمَها على الكرّاسات المَدرسية انشراح عبد الناصر، وقتَها اكتشفتْ أن اسمَها انشراح عويضة، وحتى بعد أن وبّخَها المُدرّسون أصرت على أن تكتب على الكرّاسات انشراح عبد الناصر عويضة.

****

حياة المناديلي الشهيرة بأُم سيد، كما وصفتها انشراح في مذاكراتها:

«أُمي كانت ست جبارة مبتتكلمش خالص تحس أنك قدام مغارة كلها خبايا، أنا كنت بتكلم مع ستي نرجس كتير أوي اكتر من امي بكتير لدرجة إني مش فاكرة صوتها، وكان ضيوفها كتير وهي دايما ساكتة تسمع وبس وتشرب سيجارتها وتبتسم، وعمرها ما كانت تشتكي، كانت بتقول إن الشكوى قلة صبر وقلة حيلة، وكمان كانت ذكية، واحنا صغيرين كانت بتقول لنا إن

fb/mashro3pdf

العيش المعفن بيطول العمر علشان نرضى ناكله، لما كبرنا فهمنا إن ده كان فقر وإن ماكانش معاها حتى حق عجنة».

عشقتْ حياة عويضة بالرغم مِن أنه أذاقها الكثير من المرارات في حياتهما معًا، كانت تحِبه بجنون، وغفرتْ له غلطته عندما تزوج فاطمة التي سرعان ما طلَّقها بعد عدة أشهر، حتى عندما قُبِض عليه كانت تدافع عنه وتؤكد أن ما حدث له كان مجرد ظلم وافتراء، وأنه تم الزج به بعد أن خُدِع مِن أحد أصدقائه. رفضت الطلاقَ وصممتْ أن تنتظره، قضت عمرَها وهي تسعى من أجل الإنفاق على خمسةٍ مِن العيال وأُمِّها نرجس، التي قررت ألا تترك ابنتَها حياة وانتقلت معها إلى درب شغلان، بعد أن رفضَ إخوة حياة أن تظل في بيت العيلة في تحت الربع، لأنها تمسكت بزوجها البلطجي ورفضت أن تطلب الطلاقَ كما أرادوا.

بيسة -بسبوسة- الجزء الآخَر مِن العالَم على بُعد عشرين دقيقة بالسيارة، تأتي السيارة كل يوم خميس يقودها الشيفور المتأنق، ينتظر أسفلَ المنزل المتآكل في درب شغلان، وكل أطفال الحارة يلتفون حول السيارة يلمسونها كأنهم يأخذون منها البَرَكة.

الشيفور يقف متأففًا ينظر إلى سيارته التي علاها التراب في لحظة، يحاول جاهدًا أن يبعِد جمهرة الأطفال عن سيارته ولكن دون جدوى، ينظر إلى السيارة وقد لطَّختها مِن كل جانب أيادي أطفال درب شغلان الملوثة، يَكره هذا الخميسَ الدائم والذي يضطره للتعامل مع هؤلاء الرعاع.

fb/mashro3pdf

نَعَم هذا الخميس الذي ينقل انشراح إلى عالَم آخر، منزل يشبه القصورَ حفرت كل تفاصيله في ذاكرتها البِكر، بدءًا مِن قاعة الاستقبال المكوّنة مِن عدة صالونات وكونسول مذهّب ومزخرف مغلف بورق الذهب، إلى جانبيهِ مقعدانِ من القماش باللونيْن الأزرق والزهري، وفوق كلّ مقعد علّقت لوحة من العمل اليدوي بإطار مزخرف شكله بيضاوي، طغَى عليهما اللون الزهري، مرورًا بغرفة الطعام والتي التفّتْ حول طاولتها مقاعدُ مِن الخشب المشغول مكسوة بالجِلد البُني، وعلى أحد جدران غرفة الطعام كانت آلة البيانو التي علُّق فوقَها لوحة مِن قماش الكانافا وضِعت في إطارٍ مذهّب. أمّا في الطابق العلوي كان جناح غرف النوم المؤلّف مِن ثلاثِ غرف نوم وحمّامات، كانت الغرفة الرئيسية لفاطمة وزوجِها، وغرفة لبيسة، أمّا الثالثة فغرفة الضيوف حيث كانت تقيم انشراح عند زيارتها كان إطار سريرها مِن القماش الأحمر والخزانة والمقاعد فمِن الخشب المشغول. حتى الحمّامات قد اتسمت بكِبَر مساحتِها، حتى الحوائط والأرضيات والسقف مكسوة بالبلاط الموازييك الأزرق والأبيض، أما الإنارة فكانت موزعة بطول السقف.

ربما لا تفهم انشراح في هذه السن الصغيرة الفرقَ بيْن الغِنَى والفقر، ربما لا تعرف كيف تعيش هي في هذا المنزل الفقير في حارة سَد، وتعيش بسبوسة في هذا القصر الكبير في منشية البَكري، كانت صغيرةً بشكل كافٍ حتى لا تهتم بهذا، كان سؤالها الوحيد

fb/mashro3pdf

كيف تكون بسبوسة أختها وكل منهما تعيش بعيدةً عن الأخرى!

تتذكر انشراح دائما قصة أمها، كيف أصرت أن تذهب لزيارة عويضة صباح زفافه على زوجته الجديدة فاطمة راقصة عماد الدين، محملة بالفطير الذي صنعته بنفسها بالسمن البلدي، تحكي كيف نظرت لزوجها قائلة «ولادك بيصبحوا عليك».

لم يستمر هذا الزواج إلا شهرين، خرجت منه فاطمة بطفلة لم يرها عويضة، لكن أمها أصرت أن تحتفظ ابنتها بعلاقتها بأخواتها، وخاصة انشراح التي تقاربها في العمر، وكثيرا ما كانت ترسل المساعدات لحياة وأبنائها، بعد دخول عويضة السجن، لدرجة أن حياة اعترفت يوما بأن فاطمة استطاعت بمعاملتها الطيبة أن تمحو من قلبها مشاعر الكره تجاهها، وتبدلت الجملة التي اعتادت عليها حياة إذا ما ذكرت فاطمة، فبدلا من أن تقول «رقاصة عماد الدين» أصبحت تقول «فاطمة دي محترمة، دي رقاصة بس برتبة فنانة».

اختفت بسبوسة مِن عالَم انشراح، كانت تسأل لماذا لم تعُد السيارة تأتي لتأخذني كل يوم خميس؟ كانت الإجابة «بيسة سافرت».

كانت بيسة أول المسافرين، ولم تكن آخرَهم، فقدْ سافرت أيضًا عائلة بريان الأرملي.

أول صورةٍ في حياة انشراح، التقطتها عدسة بريان الأرملي في شقةٍ صغيرة في شارع شامبليون، حيث كان استوديو التصوير

fb/mashro3pdf

الخاص به، كانت انشراح في السادسة أو الخامسة مِن عمرها، وربما كانت أصغرَ حين اصطحبتها أُمُّهَا إلى العَم ببريان، لم تدرِك انشراح طبيعةَ العلاقةِ بين أُمِّها وذلك الشاب الوسيم جدًا، فقدْ كان مظهره مختلفًا عن الرجال في درب شغلان، هو يتحدث بلغةٍ عربية تتخللها كثيرًا مِن الكلمات الغريبة ومعظمها مِن الفرنسية، طويلٌ ذو جسمٍ فارع، ذو شَعرٍ أسودَ كثيفٍ شديد النعومة، الشيء الوحيد الذي كان يزعج الطفلةَ هو أنفه الطويل المعقوف، ولأنها لم تَجرؤ أبدًا أن تتكلم في أي شيء، ولا عن أي شيء، إذا ما اصطحبتها أُمها يومًا معها في أي مكان، كانت دائمًا تقول في سِرِّها «سيكون أجملَ كثيرًا بدون هذا الأنف».

ذكرياتٌ كثيرة ظلت في وجدان انشراح، الصورة الأولى في حياتها والتي ظلت محتفظة بها حتى أكلتها نيران خناقة الجاز الشهيرة بينها وبين حسن، لم تكن الصورة هي آخر الأشياء التي تعرفت عليها انشراح مع العم ببريان، فهي لم تنسَ مذاق الآيس كِريم السويسري في مقهى جروبي، قالت لها أُمها وقتَها إن الملك فاروق كان يجلس هُنَا في هذا المكان، وإنها لولا ناصر لَمَا استطاعت أبدًا الجلوسَ في جروبي حتى ولو كانت بصحبة ببريان الأرمني، وقتَها كانت طفلة لا تعني لها هذه الجملة أي شيء بقدْر حلاوة هذا الآيس كِريم السويسري والذي يختلف طعمه كثيرًا عن ذلك الذي تشتريه مِن أم قويء في الحارة...

الغُصّة الوحيدة التي كانت في قلب انشراح تجاه عبد الناصر، أنه

fb/mashro3pdf

حرَمَها مِن أسرتِها الثانية التي كانت تقضي معها وقتًا طويلا عندما تذهب أُمها إلى عملها كتُمَرجية في مستشفى غَمرَة، حيث تعرفت على ببريان عندما كان والده هاجوب مريضًا هناك.

عشقتْ انشراح الجلوسَ بجانب هاجوب الضرير الذي اعتبرته جَدّها، تُحييه بأغنيتها المفضلة لها كلما رأته «وصلي صلي صلّي، ع النبي صلي، صلّي، واللي ما يصلي صلّي، أُمه يهودية، صلّي، وأبوه أرملي، صلّي، وادحرج واجري يا رُمّان».

يرد عليها هاجوب فارِدًا ذراعيه مشيرًا لها بيديه الاثنتيْن أن تأتي:

«وتعالى على حِجري يا رُمّان»

تقفز انشراح وتجلس في حِجر هاجوب، تتابعه بدهشة وهو يعيد تركيب وربط مسامير مَكَنة الخياطة التي فكَّهَا البغبغان آرسي، فقدْ كانت هذه لعبة آرسي المفضّلة، يفُك مسامير مَكَنة الخِياطة ويعيد هاجوب الضرير ربطَها كل يوم، تتساءل كيف لأعمى أن يفعل ذلك؟ أمّا الهواية الأخرى لهاجوب فكانت عملَ النبيذ الأحمر بنفسه في المنزل، وهو النبيذ الذي شربت منه انشراح بالخطأ متصورةً أنه كركدِيه وكانت ليلة!

أثَّرَ النبيذ علي الطفلة بنموذج «الفكرة المثبتة الواحدة»، فللخمر تأثيرات متنوعة ومختلفة على البشر.

سيطرت فكرةٌ واحدة على عقل انشراح، فكرة البحث عن ليمونة مفقودة، وجملة واحدة فقط على لسانها:

فين الليمونة؟ كانت هنا الليمونة، فين الليمونة؟ قالتها أكثرَ مِن

fb/mashro3pdf

ستين مَرة، وبالطبع اكتشف هاجوب وزوجته آرام أنوش أن انشراح سكرَى!

ومع كل مرةٍ كانت تسأل انشراح عن الليمونة، ينفجر هاجوب وآرام أنوش في ضحكٍ حاد يتزايد مع تكرار سؤال فين الليمونة؟ أول كأس نبيذ في حياتها وربما كانت الأخيرة.

لم تكن انشراح تجيد نُطق أسماء عائلة بريان، ولكن آرام أنوش شرحت لها أن آرام أنوش يَعني بالأرمينية المربَى الحلوة، وأن أغافني تعني العصفورة، ظلت انشراح تحِب الذهاب إلى المربَى الحلوة، تتبعها وهي تعمل مشايات بالكورشيه من الجوارب الفيليه المستعمَلة، ولوحات الكنافا، تعرّفت معها على البانتيور، أهدتها آرام أنوش فستانًا مِن الكورشيه صنعته لها خصيصًا، ظلت محتفِظة به حتى أهدته فيما بعد لابنتِها شيماء. كانت آرام أنوش تحكي لها أيضًا الحكاياتِ عن سندريلا وذاتِ الرداء الأحمر والرجُل ذي اللحية الزرقاء، تعوَّدت انشراح على مذاق أكَلاتهم الغريبة مثل المهلبية بالفراخ، ومَحشي ورق العنب بدون أرز، باللحمة فقط واليارشيج، كما تعودت أن تصحبها أغافني العصفورة معها إلى كل مكان، أحيانًا إلى روضة الأطفال في مَدرسة كالو سدين فارجان حيث كانت تعمل مُدرِّسة، أو إلى السينما، أو إلى الأمريكين عندما تقابِل صديقَها.

قرروا الهِجرةَ إلى أمريكا، سمِعتْ منهم أن عبد الناصر لا يريد أجانبَ في مصر، هاجَروا جميعًا، آرام أنوش وأغافني وبريان، أمّا

fb/mashro3pdf

هاجـوب فقـدْ مـات حزنًـا لم يتحمـل فكـرةَ الرحيـل.

لم يعُـد هنـاك سـببٌ للذهـاب إلى شـارع شـامبليون، ولم تعُـد هنـاك مهلبيـة بالفـراخ، ولم يعُـد هنـاك الأيـس كِريـم السـويسري، ولم تعُـد تسـتمتع بشـوارع القاهـرة النظيفـة الأكـثر اتسـاعًا ورُقيًـا وتَشـجيرًا.

انتقلـت انـشراح مِـن أيـدي أغافنـي إلى أيـدي نرجـس، فأصبحـت تصحبهـا معهـا في كل مـكان، ليـالي الحُسـين والسـيدة، شيء للـه يـا سـت يـا طاهـرة، نقيـد الشـمع ونبـل الفـول ونـوفي النـذْر لأهـل البيت، يحـضرانِ معًـا سرادق فاطمـة سرحـان السـنوي في مولـد الحسـين التـي كانـت نرجـس تنتظـره مِـن العـام للعـام، وتبـادِر بحجـز مكانهـا قبـل المولـد بأيـام، تنقـل فيهـا إقامتهـا هـي وانـشراح لمحيـط المسـجد في مـكان منتقـى بالقـربِ مِـن الـسرادق.

تجلـس انـشراح عـلى رِجْـلَي جَدّتهـا التـي تضعهـا بينهـما قابضـةً عليهـا خوفًـا مِـن أن تضيـع منهـا الطفلـة في الزحـام، وعندمـا يبـدأ المديـح يغنّيـان معًـا.

«أول كلامـي بالصلاة عـلى الحبيـب كنـز الأرامـل واليتيـم والغريـب، ويـا رب يجعـل لينـا في زيارتـه نصيـب، ونشـاهد الـلي كملـوا ربنـا ونشـاهد الحجـرة وأرض البقيـع، ونطـوف بالعمـرة وكل الجميـع، ونشـاهد الـلي كلمـوا الجمـل مسـتطيع قالـوا الشـفاعة يـا حبيـب ربنـا».

هل كانت مساجد آل البيت عِوضًا لنرجس عن بيت المناديلي؟

هـذا البيـت الـذي عُـرِف في المغربلـين بالقَـصر، لفخامـة معـماره

fb/mashro3pdf

وتميز مشرباته الأرابيسك المصنوعة مِن الزان، نُسجت عنه وعن أصحابه القصصُ، قيل إن سبب ثرائهم هو صناديق الذهب والآثار التي وجدها المناديلي الكبير في هذا المنزل، الذي استولى عليه بعد مقتل صاحبه أحدُ قادةِ الجيش المملوكي، وقيل إن الدولةَ لا تستطيع وضع يدِها على المنزل ولا ضمّه، للآثار بسبب ما فيه من أسرار خفية وأرواحٍ تدافِع عن أصحاب المنزل بشراسة، وتُعرِّض للأذى كل مَن يحاول أن يستبيح خصوصيتهم.

الخروجُ مِن عالَم المناديلي والانتقال إلى تحت الربع هو قرار الجَدّة. كيف تعيش في منزلٍ واحد مع رجُلٍ اشتهاها وأرادها زوجةً له؟

خرجت تحمِل على كتفيها كومةً مِن الأطفال، وقليلا من الأثاث الفاخر وبعضَ السجاجيد العجَمي التي باعتها واحدةً تِلوَ الأخرى، وكثيرًا مِن الصور القديمة والتي علقتها على جدارن كل البيوت التي سكنتها في الخوشيبة وحارة الكاشف وتحت الربع ودرب شغلان.

كانت نرجس تجيد الخياطةَ اليدوية، اعتادت أن تاخذ أولادها ثم أحفادها مِن بعدهم إلى مساجد آل البيت، الصغار يلعبون في محيط المسجد بينما هي تقوم بخياطة الملابس وسرْد حكاياتها الدائمة عن أصولها الراقية، عن زواجها وعن حياتها في أسرة المناديلي الشهيرة، عن منزلها وعن الخدم والحشَم، عن الخروج مِن بيت المناديلي، كانت تحكي دائمًا عنهم، تعيد وتكرر قصصها،

fb/mashro3pdf

قِصتها عندما تركت البيتَ وكيف كانت تبيع السجاجيدَ العجَمي لتستطيع أن تنفِق على أولادها. أمّا القِصة الثانية وهي قِصة العهد والوفاء فتفخر دائمًا بأنها صانت العهدَ ولم تتزوج بعد وفاة زوجها، الذي عقدَ عليها وهي في التاسعة مِن عمرها، وكيف كانت تنام في غرفة والدته فترةً غير قليلة حتى انتقلت إلى فِراش الزوجية عندما بلغت سِن النضج، أمّا هو فقدْ كان يكبرها بثلاثين عامًا.

لم تعرف غيرَه رجُلا ولا زوجًا ولا أبًا، كانت سنواتهما معًا غيرَ قليلةٍ، قال لها عاهِديني.. ولم يكمِل جملتَه ثم مات، لم يكن هناك مكانٌ لها في منزل أُسرة المناديلي عندما رفضت الزواجَ مِن أخيه، عاندته وقالت له بتحدٍ لقد عاهدتُه قبل موته وسأنفذ له طلبَه.

تسأل انشراح:

- وما كان طلبُه؟

- هو لم يكمِل كلامَه، ولكن مِن المؤكد أنه كان لا يريدني أن أتزوج ولا أن أكون لرجُلٍ آخر، حتى لو كان أخوه.. نَعَم عاهدتُه ورفضت أن أتزوج أخاه المحامِي وكان ردي على عرضِه بالزواج، لو هاموت من الجوع مش هاخون العهد.

كانت نرجس تُبدي دائمًا حسرتَها مِن الزمن، الذي جعلها تنتقل مِن حياة العِز في بيت المناديلي إلى شقةٍ ضيقة فوق سطح بيت في درب شغلان، تصبِّر نفسَها قائلة:

«مدد.. يا ستنا فاطمة يا نبوية

fb/mashro3pdf

شي لله يا حفيدة أطهر خلق الله

حطينا البال والحال...

في حماكي مجاورين

نبل الريق.. من بَركة أهل البيت

أهو مطرح.. مش مجرح

ضيق وخنيق

أهو مطرح وسلام

لا نور ولا نسمة طرية

إنما حامدينه وشاكرين فضله

وأهو شاء الرحمن

دَفينا حيطانه

وداوينا رطوبة الروح»

لم تكن نجوى البديل لانشراح عن بسبوسة أختها، ولم تعوضها عن بسبوسة، جمّعهما سكَن واحد وطريق واحد إلى المَدرسة والعودة، كانت أُم نجوى على قدرٍ بسيط مِن التعليم، تزوجت مِن تاجِر ميسور الحال ولم تنجِب إلا نجوى، لذا كانت نجوى أولويَتَها الوحيدة، أقنعت أُم نجوى حياة بأن تدخِل انشراح المَدرسة حتى تجد وَنيسًا لنجوى في الذهاب إلى المَدرسة والعودة منها، لم تكن حياة تهتم بالتعليم، فلم يتعلم أحد مِن أبنائها ، تزوجت الابنةُ الكبرى، أمّا الصبيان فكان الكبير منهم يعمل في ورشة منجَد، والصغار يلعبون في الحارة، ولم تكن حياة لتوافق

fb/mashro3pdf

على تعليم انشراح إلا بعد أن وعدتها أم نجوى أنها ستتكفل بكل مصاريف المَدرسة ومستلزماتها، إضافة إلى سكوتها عن الإيجار.

انشراح كانت تبدو كأنها لا تنتمي لهذا العالَم، طفلة هادئة شديدة الصمت شديدة الرقة، كان مِن الصعب التكهن بأنها ابنة تاجِر مخدرات وبلطجي معروف في حي المغربلين، وأن أُمها مجرد مُمرجية في أحد المستشفيات الحكومية.

التليفزيون متعة جديدة، تحسنت أحوال سيد قليلا ولكنه لم يبخل على أسرته، فأصبحت مِن أوائل الأُسَر التي امتلكت تليفزيونًا في درب شغلان، أخيرًا هناك شيء آخر لانشراح غير الجلوس بجوار جَدّتها تسمع حكايتها عن بيت المناديلي والسجاجيد العجَمي، وتحضير القهوة المفضّلة لنرجس ولكل ضيوفها والتي مِن خلالها ترسم لهم خططَ حياتهم، وتجيب عن كل أسئلتهم وتطمئنهم «أن العمر طويل والرزق كثير» .

لا تستطيع انشراح أن تنكِر أنها كانت تستمتع كثيرًا بجَدّتها وهي تقرأ الفنجان، ولكنها كانت دائمًا تتساءل كيف تكوِّن هذه الشخابيط مصيرَ البشر؟ وكيف تَعرف جَدتها مِن هذه الخطوط المتشابكة أن العانِس ستتزوج أو أن هناك رزقًا قادمًا أو أن هناك عدوًا ما؟

كانت تأخذ الفنجان إلى المطبخ لتغسله، ولكنها تعودت أن تنظر فيه جيدًا حتى ترى مصائر الجيران والأصدقاء والعالَم كله، في هذا الفنجان الضيق وفي هذه الشخابيط التي تمحوها قطراتُ ماء

fb/mashro3pdf

مِن الحنَفية ويكون مصيرها المجاري!

لأول مرةٍ تِعرف انشراح الخوفَ، تخلت أم نجوى عن وعدها بتحمل مصاريف المَدرسة، فقدْ كبِرت نجوى ولم تعُد أُمها تخاف عليها من الذهاب إلى المَدرسة بمفردها، لم تكن حياة تهتم بفكرة التعليم، كانت مشغولة بهمومها وقد خبا الحُب وطال بعاد عويضة، حتى زيارته الشهرية أصبحت عِبئًا ماديًا عليها، كما لم تعُد قادرةً على أن تخدم كل هؤلاء، بمن فيهم أُمها نرجس التي بدأ الكِبَر يُقعِدها.

انشراح في الصف السادس الابتدائي... أبلة مفيدة تقول لها «انتي شاطرة وذكية يا انشراح انتي هتبقي وزيرة».

انشراح متفوقة، يصادقها جميع التلاميذ ويتقربون لها لتفوقها، حتى في الأيام -وهي كثيرة - التي لا تعطيها فيها أُمها مصروفًا، كانت تجد دائمًا مِن التلاميذ مَن يعزمها على طاجن مكرونة أو طبق كُشَري.

«انشراح هتقعد من المدرسة تخدم اخواتها وتشيل البيت، أنا ماعدتش قادره لا على مصاريف المدرسة ولا خدمة الصبيان».

لأول مرةٍ تبكي انشراح بحرقة، ولأول مرةٍ تطلب مِن أُمها شيئًا

«أنا عايزة اروح المدرسة، عايزة أكمل تعليمي»

نظرت إليها حياة باستنكار وزهَق قائلة:

- يعني هتطلعي إيه يعني؟ محامية علشان تدافعي عن ابوكي تاجر المخدرات؟ ولا دكتورة علشان تتمريسي عليا في المستشفى؟

fb/mashro3pdf

- لا... هابقي وزيرة.. أبله مفيدة بتقول كده

لم تذهب انشراح إلى المَدرسة يومًا بعد يوم. أرسلت المَدرسة خطابًا، وطلبت أبلة مفيدة مقابلة ولي الأمر. سيد أخوها الأكبر الذي تحسَّنت أحواله المادية قليلا يقرر أنه سيدفع مصاريف المَدرسة قائلا ضاحِكًا:

- الناظرة بتقول إنك شاطرة أوى وإنك هتكوني وزيرة.

سيد عويضة، مِينا هو سيد أكيد، هو سيد.. طوله، قامته، عضلاته المفتولة، تفاحة آدم الواضحة التي كانت تصور لانشراح الطفلةِ، أن كل مَن يملكها هو مكتمل الرجولة.

عيناه لامعتانِ تنُمّانِ عن ذكاء حاد، حاجِباه المعقودان، ابتسامة لا تفارق شفتيه، ولمعة متألقة متوهجة طوال الوقت جعلتها تتأكد عندما درست في التاريخ أن هناك رجُلا منذ آلاف السنين كان عنده مِن القدرة والذكاء أن يوحِّد مِصر أن هذا الرجُل لا بُد يشبِه سيد.

كان فرق العمر بين انشراح وسيد كبيرًا نِسبيًا، هو أكبر أولاد حياة، وهي أصغرهم، لكنه كان رجُلَ البيت حتى وهو طفل، هل كانت هذه هالةً صنعتها له حياة؟ أَم مَقدرة مِن هذا السيد الصغير وموهبة أعطاها له الخالق من الذكاء والحضور نجحَ في توظيفهما؟

كل هذا لا يهم، نشأت علاقة غريبة بين سيد وانشراح، كانت تتلعثم عندما تكلمه وتسعد إذا خَصها بابتسامة حتى لو كانت عابرة أو غير مقصودة، فأصبحت عودة سيد ليتناول طعام الغذاء

fb/mashro3pdf

ظُهرًا أو ليلا بعد أن ينتهي مِن عمله بالنسبة لانشراح كلقاءٍ عاطفي تنتظره بشغف، وبالرغم من أن حياة قد خَصصت غرفة لسيد غير مسموح لأي مِن أبنائها الدخول فيها، إلا أن انشراح كانت الوحيدةَ التي سمح لها بالدخول في هذه الغرفة، كانت متأكدة أن السبب الذي أعلنه سيد وهو أن انشراح مسموح لها بالدخول لأنها مَن ستقوم بترتيب الغرفة هو مجرد حُجة أمام نفسه والآخرين، وكان أحيانًا يسمح لها بالنوم على سريره، وأحيانًا أخرى إلى جواره وهي الطفلة التي تتدحرج بين الأقدام لا ينتبِه أحد لوجودها، جلست أم خرجت أم انزوت لا يشعر بها أحد، بينما هي تعيش حياتهم وتسمع حوارتِهم وتفكر في مشكلاتهم وربما تجد لها حلولا.

ولكن لن يسمعها أحد، لن تسمعها غير السماء. سافَر الجميع بيسة ثم بيبريان وآرام أنوش وأغافني، وأصبح القمر والنجوم أصدقاءَ انشراح، نَعَم قررت أن هؤلاء سيكونون أصدقاءها الدائمين ولن يتركوها أبدًا ولن يرحلوا مثلما رحل الجميع.

كانت تطيل النظر لهم والتحديق فيهم، خاصةً عندما يكون القمر بدرًا، تصرخ فيها أُمها «كفاية بحلقة في القمر هتتجنني»، أمّا أختها الكبيرة فكانت تواجهها بسيلٍ مِن الأسئلة «إنتي بتحبي؟ قوليلي هو مين؟ قابلتيه؟ جابلك هدايا؟ جابلك إيه؟ ذوقه حلو؟ بس على فكره يا انشراح انتي لسه صغيره على الحب، انتبهي لدروسك أحسن لو سيد أخوكي عرف حاجة هيقعدك من المدرسة وانتي ما صدقتي». أمّا هي فكانت تتذكر كلام جَدتها أن القمر

fb/mashro3pdf

أحسن صديق بإمكانك أن تحكي له وتطلبي منه أي شيء سيستجيب لكِ، وإذا افتقدتِ شخصًا ما أرسلي رسالتكِ مع القمر له وستصله الرسالة. تذكرتْ جَدَتَها ذاتَ مرةٍ وهي تذبح أرنبًا وتضع جعرانًا في دمِه، ثم أخذت هذا الجعران الغارق في دماء الأرنب، ووضعته في طبق على السور تحت ضوء القمر قائلة:

«خلي بالك يا انشراح من الطبق ده اوعي حد يقلبه، الجعران لازم يفضل تحت نور القمر لما القمر يكون بدر تلات ليالي، وبعدها اطلبي منه أي حاجة هينفذها ليكي».

اعتادت أن ترى سور السطح مليئًا بالأطباق المتراصة في منتصف الشهر العربي وكل طبق بطلب والقمر يلبّي!

السماء كانت أيضًا المنفِذ الوحيد لها مِن هذا العالَم الذي يذكِّرها بأبيها، دائمًا الاختيارات محدودة ما بين النظر إلى أعلى حيث القمر والنجوم، وإلى أسفل حيث تعيش أُم زغلول الباشا.

لكن الفضول أحيانًا يجذب نظرها إلى أسفل إلى الدور الأول إلى عالم أُم زغلول الباشا هذا العالَم المَليء بالبوظة. لم تنسَ تلك الليلة التي أتت سيارات الشرطة في حملةٍ على المنطقه بينما أُمها تصيح قائلة:

- يخرب بيت أم زغلول، كل يوم والتاني جايبه لنا الحكومة هنا، خلصنا من قروانات البوظة المضروبة بالجير والعربجية اللي نُصهم اتعمى بسببها، غيرت على تجارة الحشيش.

انشراح لا تنسَى أبدًا منظر العربجية العميان الذين يأتون

fb/mashro3pdf

على عكازات ليسكروا حتى الهذيان، مِنهم مَن ينام على الأرض، ومِنهم مَن يرقص بشكلٍ هيستيري، ويقومون بأفعال غريبة أحيانًا مضحكة جدًا، وأحيانًا مُقززة جدًا، حتى إن أحدهم ذات ليلةٍ أراد أن يتبول فأعطى وجهَه للمارين في الشارع بدلا مِن الحائط.

صوت العساكر كان يتزايد ويقترب، تصرخ حياة قائلة: «احنا مالناش دعوة خلي الحكومة تريحنا منهم ومن قرفهم خلي الحتة تنضف» تسمع حياة صوت شيء يرتطم في المنوَر، تَسكت قليلا ثم تقول لانشراح «انتي جسمك صغير يا بِت انزلي المنور شوفي إيه اللي اترمى وهاتيه، بس اوعي حد يشوفك».

أدت الصغيرة المهمةَ بنجاح، وأعطت لأُمها لفَّتيْن!

عاشت انشراح أيامَ رعبٍ وهي تسمع أُم زغلول الباشا تتوعد وتهدد «يا ولاد الكلب مين اللي أخد اللي كان في المنور»، أو تسمع أنها ضربت فلانة وأولادها لأنها شكَّت أنهم هُم مَن أخذوا اللفتيْن مِن المنور، ظلت انشراح لمدة أسابيعَ تراقِب أُم زغلول الباشا وهي تبحث بشراسةٍ عن طربتي الحشيش، تَخلل هذه الفترةَ علقات ساخنة لكل مَن شكَّت أنه أخذهما، هدأت أُم زغلول الباشا ولم يعُد أحد يسمع إلا صراخها الليلي المعتاد قبل كل معاشرةٍ، عندما يضربها زوجها بالكرباج... أو خناقتها اليومية عندما يغالطها أحد في الحساب، أمّا أُمها فباعت الحشيش وأعطت لانشراح مكافاة صغيرة لصمتِها...

****

fb/mashro3pdf

- 4 -

زادَ عـدد زوّار جـدّتي، فلـم يكـن هنـاك بيـت في الحـارة إلا ومِنـه شـاب عـلى الجبهـة، إلا منزلنـا، والـكُل يريـد أن يعـرف هـل سـيعود مَـن لـه أم سـيموت في الحـرب؟ كيـف تسـتطيع أن تبلّـغ أحـدًا أن ابنَـه أو أخـاه سـيموت؟ كيـف تقـول لعـروسٍ إنهـا لـن ترتـدي فسـتان الفـرح؟ أو لزوجـةٍ إن سريرهـا سـيكون خاليًـا؟ كَـم كانـت نرجـس ذكية! وإجابتهـا الوحيـدة أن هنـاك زغـرودة في الفنجـان. وهـل يمكـن لأي عـروسٍ أن تتخيـل أن هـذه الزغاريـد ليسـت زغاريـد سـلامة العـودة؟ ولكنهـا زغاريـد لحبيبهـا الشـهيد!

كان صـوت صفـارات الإنـذار يرعِـب القاهـرة، ممنـوع إضـاءة أي أنـوار عـلى الشـارع بعـد الثامنـة مسـاءً، أمـام كل منـزل كانـت هنـاك سـواتر مِـن الطـوب كـما تـم دهـن الزجـاج باللـون الأزرق الغامق، كنـتُ صغيرة ولكنـي تسـاءلت لمـاذا لا يتـم عـرض تلـك الطائـرات التـي نُسـقِطها عـلى شاشـة التلفزيـون؟ لمـاذا يعلنـون فقـط بالراديـو؟ لم يُجبنـي أحـد، الصراخ والعويـل يمـلآن شـوارع القاهـرة... عرفـتُ الإجابـة. «انهزمنـا!»

لم يعُـد ابـن عمتـي، ولكـن زوجتـه العـروس أنجبـت ولـدًا يشـبِهه طبـق الأصـل وأسـمته الاسـمَ نفسـه، عـاد كثـيرون ولم يعُـد كثـيرون

لم يتوقف الصراخ، أعلن عبد الناصر التنحي.

لم يتوقـف البـكاء ولكـن هـذه المـرة كان في بيتنـا، ماتـت نرجـس، ماتت

fb/mashro3pdf

جدتي التي لم أعرف لي أُمًا سِواها، كانت ليلة قاسية، نرجس على فراشها لا تتكلم ولا ترد على أحد، وصوت صفارات الإنذار يتزايد كنتُ خائفة جدًا، أطرافي متجمدة، شفتايَ لونهما أزرق، جسدي كله يرتعش، شعرتُ أنني لا أستطيع التنفس وزادت ضربات قلبي لدرجة تصورتُ معها أن جدران المنزل تهتز معها، غفوتُ مِن كثرة البكاء، جاءني صوته مطمئنًا دافئًا جَدتك سوف تنتقل الآن إلى العالَم الحقيقي، عالَم أكثر تحررًا وسعادة، سوف تتحرر مِن أهم نواقص البشر الخوف يجب أن تكوني سعيدة مِن أجلها، لا تخافي «يتملك الناسَ الخوفُ عندما يشعرون بالضعف والاحتياج، أنتِ قوية، تأكدي لن يحدث لكِ أي شيء سيئ، ومهما حدثت لكِ أشياء قاسية ستتغلبين عليها وتحوّلينها لصالحك، أنا أُحِبك يا انشراح لأنك مِثلي تمتلكين فيريل، ولذا ستكونين أهلا لسيادة جسدكِ والناس والعالم جمعًا، فيريل تذكّري هذه الكلمة جيدًا، رددِيها دائمًا، إنها مصدر قوتك في الحياة» سكتَ الصوت ورأيتُ كأنني وجدّتي يربط بيننا خيط فضي، كأنها تطير حولي تُقبّلني وتحضُنني مبتسِمة وقائلة: أنا معكِ دائمًا. صدَّقتُها ولكن في الصباح كانَ فراشها خاليًا!

****

انضمَّ إبراهيم إلى معسكرات المقاوَمة الشعبية مع مجموعة مِن شباب الحَي، كانت تأتي أتوبيسات كبيرة في السادسة صباحًا وتعود في الثامنة مساءً، تأخذهم لتلَقّي تدريبات عسكرية لمدة أسبوع بالكلية

fb/mashro3pdf

الحربية أو مَدرسة المُشَاة، يتدربون فيها على استعمال السلاح، وكان التدريب يتم على استعمال البندقية الآلي أو الرشاش الخفيف أو مدفع الآر بي جي. ظَل إبراهيم يذهب إلى هذه المعسكرات عده أشهر بعد النكسة كان يصيبني هلعٌ عندما أتذكر منظر جندي عائد مِن الحرب حافيًا متورِّمَ القدميْن ممزقَ الثياب مهزومًا في المعركة كما حدث في النكسة، وأتخيل أن إبراهيم ربما يتطوع علي الجبهة، وأن هذا الشخص مِن الممكن أن يكون إبراهيم.

إبراهيم هو الخيط الوحيد المتبقي مِن تلك الكرة الصوف التي كرّت وتلعبكت بين مخالب الزمن.

إبراهيم هو عالَمي الذي أُحِبه فمعه عرفت لوركا وجلال الدين الرومي وابن عربي وسارتر والحكيم، تركت عالم ليلى وأم زغلول الباشا، معه أدركت أن بإمكاننا أن نجعل دنيانا أرحب من ضيق حواري درب شغلان، وبالرغم مِن كل تخاريف ليلى عن عفاريت جدّتي وكل جهل جدتي التي أُحِبها، بالرغم مِن علمي أنها معجونة بالخرافات، كما أعلم أيضًا أنه ليس ذنْبها، ولكني أشتاق إلى سعادة حقيقية، سعادة لا تخرج مِن خطوط الفناجين الملتوية، سعادة أعيشها وأستمتع بها، في الواقع قهرتني ليلى وخذلني سيد وخرجت من المَدرسة لم أكمل تعليمي، كانت سنة النكسة بحق، حاولتُ كثيرًا أن أتجاهل هذا الإحساس بالانكسار الذي ملأ روحي والوطن.

تمسكتُ بإبراهيم الذي أصبح أملي وعالمي، كان يتعجب مني عندما نحدد ميعاد اللقاء، وأصر على أن يكون لقاؤنا في الجامعة بدلا مِن

fb/mashro3pdf

كازينو على النيل كما تحب كل الفتيات، في البداية كان يتصور أنني أغار مِن زميلاته في الجامعة، وأن رغبتي المُلحة وإصراري على أن أذهب معه هناك طيلة الأربع سنوات التي قضاها حتى تَخرَّجَ في الجامعة، كانت فقط لكي أُعلِن لزميلاته أو مَن تُسَوِّل لها نفسُها، أنه مرتبط، كان يوافق حتى يؤكد لي أنه لا توجد فتاة أخرى في حياته وكما كان يقول دائما أُحِبكِ وأفخر بكِ وأريد أن يراكِ العالَم كله معي، لم يفهم أني أُحِب الجامعة وشكْل المدرجات ومنظر مجموعات الطلاب الذين تتعالى أصواتهم مِن الضحك وهُم يحملون كُتُبَهم الجامعية، لم يدرك أنني كما أحبه أحب حُلمي الذي حرمتني منه ليلى زوجة سيد، لم يدرك أنني أُحِب أن أرى بيسة وهي في كامل أناقتها وصفوف المعجبين وراءها، بالرغم من أنها عادت مِن السفر ولم تعد إلى سابق عهدها ولم تعُد ترسِل السيارة لتأخذني، أربع سنوات قضيتُها معه هناك كانت آخر أيامي السعيدة، قبل أن يسافر إلي بعثه في فرنسا ويأخذ معه كل ما أحببت، ولم يبقَ لي إلا عفاريت ليلى.

في انتظار عودة إبراهيم، في انتظار الحلم، لم يعُد لها أصدقاء إلا الست فاطمة النبوية والكتب التي تركها لها إبراهيم، أمها لم تكن أبدًا صديقتها، وماتت نرجس التي كانت تلازمها دائما، حتى أطلقوا عليها نرجس الصغيرة.

مَلَّت انشراح مِن سرقة السجائر، أسوأ عادات نرجس التي ورثتها أيضا انشراح، لن يعطيها أحد ثمن علبة سجائر في اليوم، كانت على استعداد أن تضحي بنصيبها في العَفشة مقابل سيجارة، ولكن

fb/mashro3pdf

حتى هذا كان مستحيلا، فتاة تدخن في سِنها! إذا عَرَف إخوتها ماذا ستكون النتيجة؟

لم تعُد صغيرة، تعرف نقطةَ ضعفِ الجميع، الكل يريد مالاً، فلا يوجد حوار بينهم إلا عن المال!

يتجمعون يوم الخميس، يجلس الجميع على طبليةٍ واحدة، الأُم وسيد وزوجته ليلى وطفلاهما طارق وهدى وأخواها سعيد ومرزوق.

تقف انشراح بجوار الطبلية لتناوِل الجميع العيش والماء والكِمّالة.

- أُمي، أنا عايزة اشتغل

تنفعل ليلى:

-يعنى إيه تشتغلي؟ ومين اللي هيعمل شغل البيت؟

ترمي الخبز مِن يدها صارخة:

- لو انشراح اشتغلت أنا مش قاعدة في البيت، أنا مش هاخدم نُص دسته لوحدي!

- اهدي يا ليلى، مفيش حاجة مِن دي هتحصل، ومين اللي هيسمع كلامها؟ ده حتى الناس تاكل وِشّنا.

نظرتْ انشراح إلى سيد، تذكرت كيف تخلّى عن وعده لها بأن تكمل تعليمها، بعدما قالت له ذات يوم زوجته ليلى بالحدة نفسها:

«أنا مش متجوزاك علشان اخدم نُص دسته، الأبلة تقعد مِن

fb/mashro3pdf

المدرسة تساعدني وإلا هاروح لأمي».

ينظر سيد لانشراح مؤكدًا لكلام ليلى:

-شغل إيه؟ وكلام فارغ إيه؟ ناقصك إيه؟

في هذا المنزل الصغير ماتت أحلام كبيرة

حتى زيارة الست فاطمة النبوية ملاذها الوحيد لم يعُد بإمكان انشراح الذهاب إليها بحُرية بعد أن أصدرت ليلى أوامراها بعدم خروج انشراح، هَربَ الصبيَّانِ أحدهما للعراق والآخر إلى لبنان، بينما ظلت انشراح حبيسة ليلى بانهياراتها وإغماءاتها وحالات الجنون التي تنتابها، صارخةً في الجميع أنها تراهم رؤى العين عفاريت نرجس، وهُم يقفون أمامها بأشكالهم المرعِبة يسخَرون منها ويهددونها إذا لم تترك هذا المنزل فإنها ستحترق، متهمةً جَدتها المتوفاة بأنها لا تحبها، وأنها سبب شقائها في الحياة، حتى استجاب سيد ونفَّذ لها ما أرادت.

لم تعرف انشراح لماذا حزنت أُمها بشدة عندما انتقل سيد وزوجته إلى بيتهم الجديد بالمعادي، إنها متأكدة أن أُمها لا تحب ليلى، ولكن كل هذا لا يهم، المهم أنها الآن حُرة تستطيع أن تذهب لزيارة الست فاطمة النبوية بدلا مِن أن تنتظر أن تأتيها في المنام، الآن تستطيع أن تمارس الصنعةَ التي اكتسبتها، جريًا وراء ثمن علبه سجائر بكثير من الحُرية، لن تضطر أن تكذب وتقول إن خالتي أُم أحمد مريضة وسأذهب لزيارتها، حتى تجد فرصة لتُخَفِّف لها حاجبيْهَا كما كانت تعمل هذا سابقًا في السر وبدون عِلم سيد وليلى.

fb/mashro3pdf

كانت انشراح خدومة، وغالبًا ما كانت تقوم بهذا مجانًا، وخاصة مع جاراتها المُسِنّات أو مَن تَعلم أن ظروفهن المادية قاسية، مثل كاترين، هذه الصديقة اليونانية التي تعرفت عليها أمها مِن خلال أسرة بريان، كانت كاترين تعمل خيّاطة بعد أن تركها زوجها وترك لها إيريني رضيعة في عُمر الأربعة أشهر، إيريني تكبر انشراح في العمر قليلا ولكنها كانت دلوعة تذكّرها بأختها بيسة، تحكي لها عن الإسكندر وعن كليوباترا وفينوس، وعن فورتونا ربة الحياة المتحكمة بالمصائر والأقدار، والقادرة على إيقاف عجَلة القَدر وتحويل البهجة إلى حزن وعلى العكس المراره إلى أمل.

وكما شاركت انشراح إيريني مشاعر الحب على صوت ألفيس برسلي والبيتلز، رقصت معها رقصة زوربا على صوت داليدا، كانت تستمتع بوجودها مع كاترين، تحكي لها كل شيء بدون خوف، حكت لها عن إبراهيم وعن أول إحساس بالحُب، عن طعم شفتيه، عن وجهه المفعم بإحساس لم تفهمه وهو يقبّلها ويتحسس جسدَها، ولكنه أعطاها الإحساس بالحياة، أجابتها أنه إحساس النشوة، سألتها عن الجنس.. أجابتها إنه الطبيعة. سألتها عن العيب... أجابتها العيب أن نعطي جسدنا لمن لا نرغب تحت أي مسمى، حتى لو كان الزواج. سألتها عن غِشاء البَكَاره... ضحكت كاترين **«عارفة يا انشراح زمان جدا قبل الفراعنة والإسكندر، قبل الحضارات كان الرجل يرفض أن يفض بكارة حبيبته بنفسه حتى لا يكون هو الرجل الذي أذاها وآلمها، كانت هذه وظيفة لرجل معين، وظيفة يقوم بها، أما**

fb/mashro3pdf

الحبيب فيبدأ علاقته معها بالحب دون أي أذى».

بدأت السيدات والفتيات يترددن على بيت انشراح فتاة الحادية والعشرين، التي تملك مِن العقل والرزانة والقبول ما جعل الجميع يثق بها، تعلمت انشراح كيف تكسب بعض المال الذي يكفي لشراء علبتي سجائر، فضلا عن مساعدة أُمها في المصاريف، وذهابها إلى سور الأزبكية كما اعتادت مع إبراهيم، تشتري مجلة طبيبك السورية التي كانت تربطها بسعيد، الذي هَج إلى لبنان مِن سطوة سيد، أو بالأحرى ليلى، تشتري أيضا كتب موبسان وفولتير وبريفير، تستعد لعالمها الجديد مع إبراهيم عندما يعود ويأخذها إلى باريس، ولكنها لم تستطع أن تتخيل جسدها في تلك البَدلة الرجالي التي حاكتها لها كاترين، وفقًا لآخر صيحات الموضة في باريس، انشراح قصيرة القامة، بيضاء البشرة، تحملها ساقانِ مصبوبتان، يحلو لها ارتداء الميني جيب لتبرز جمالهما، جسدها يشبِه الكمثري أو كما كان يُطلِق عليها شباب الحارة القُلة، لم تتخيل نفسها في قَصة الشَّعر الرجالي ورابطة العُنق الفرنسية، وقفت أمام المِرآة مِرارًا وتكرارًا ترتدي تلك البَدلة وتتمرن على رابطة العُنق.

فرنسا.. الاسم السحري الذي سيحوّل حياتها...

عويضة مات، وحياة مشغولة بسيد ابنها الأكبر، أما هي فقلبها وعقلها وأحلامها هناك في مدينة العِلم والبغاء.

كيف تجعله ينسى عويضة؟

fb/mashro3pdf

وضع القهوة في كوب
وضع اللبن في كوب القهوة
وضع السكر في القهوة باللبن
بالملعقة الصغيرة قلّب
شرب القهوة باللبن
ووضع الكوب
دون أن يكلمني
أشعل سيجارة
صنع دوائر بالدخان
وضع الرماد
في المطفأة
دون أن يكلمني
دون أن ينظر إليّ قام
وضع قبعته على رأسه
وضع معطفه للمطر
لأن الجو كان ممطِرًا
وذهب تحت المطر دون كلمة
دون أن ينظر إليّ
وأنا وضعت رأسي في يدي
وبكيت!
«هل كان بمقدورك يا جَدتي أن تقرأي فنجان قهوته؟ وهل يُقرَأ

fb/mashro3pdf

فنجان القهوة الباريسي؟ هل سيكشِف لكِ عن نواياه؟».

كيف أجعله ينسى عويضة؟ كيف أجعله ينسى حياة؟

ماذا أفعل في هذه الكمثرى حتى أملك قوامًا فرنسيا؟ كرهتُ البَدلة الفرنسية التي لا تناسبني، أبدو فيها مضحِكةً، كيف أتخلص مِن هذه الكمثرى؟

«حقا لا تناسبني، لم أُخلَق لها، ولم تُخلَق لي».

****

بالرغم من كُره انشراح الشديد لليلى، فإن زيارتها للمعادي عندما تعرفت على أسرة الدكتور مصطفي الرزيقي، أستاذ القانون الدولي في جامعة القاهرة، والذي حصل على الدكتوراه مِن فرنسا، وابنته ناهد جيران ليلى وسيد، أصبحت تمثل لها متعة، فطالما تخيلت هذه الفيلا التي يعيش فيها الدكتور العائد مِن فرنسا في هذا الحي الهادئ، الذي سكنه الأرستقراط المصريون والأجانب، نعم الفيلا بكل تفاصيلها وفخامة أثاثها فرنسي التصميم، الصالونات المكسوه بالحرير الأحمر طاولات الخشب المطعمة بالرخام الأبيض والموزّعة في الزوايا والوسط، الستائر المنسدله مِن الحرير الأبيض، التليفزيون ذو الحجم الكبير، وليس بعيدًا عن المدفأة التي احتلّت وسط الحائط بلونها الأبيض، توسّطت جدارها مِرآةٌ مزينة بقِطع مِن الأكسسوار المذهّب، الفيترين من الخشب البُني الذي ضم مجموعة من القِطع المتميزة، السيوف ذات اللونين الأحمر والبرونزي المعلقة على العامود الفاصل بين الصالونات، وقد شرحت

fb/mashro3pdf

لها ناهد أن هذه السيوف فرنسية الصنع وأن لها قيمةً أثرية عمرها يزيد عن مئتَي عام، الثريات الكريستال والتي لا تشبِه إحداها الأخرى والمُدلاة مِن السقف المذهّب برسوم وزخرفات.

تخيلت أنها ستملك يوما ما مثل هذا المنزل، عندما يعود إبراهيم مِن فرنسا من المؤكد سيكون له شأن مثل الدكتور مصطفى الرزيقي، ستعيش هنا مثل سميرة هانم زوجته والتي ترجع أصولها إلى أثرياء الدلتا، ستنجِب بنتًا جميلة مثل ناهد، ستشاركها قراءة «المغامرون الخمسة».

تسمع لها بكل حب وبدون ضجر تلك المقدمة التي كانت تكتب في بداية كل قصة وتصر ناهد أن تعيد قراءتها كل مرة.

«مَن هُم المغامرون الخمسة؟ إنهم أصدقاؤك الذين يتدخلون لحل الألغاز والإيقاع باللصوص وإنقاذ المظلومين، عاطف وتختخ ونوسة ومُحِب ولوزة، تحكي لها عن المفتش سامي والشاويش علي».

تضفُر لها شَعرها، تستمتع بقصصها عن المدرسة السيورات والراهبات، تغني معها انشراح أغنية FRERE JACQUES فرير جاكو، التي حفَّظتها لها أغافني، تطلب انشراح من ناهد أن تعلمها بعض الكلمات والجمل باللغة الفرنسية لتستخدمها عندما تسافر إلى فرنسا مع إبراهيم.

فاجأت ناهد انشراح ذات يوم، بأن فاتن حمامة شاركت أصدقاءها في إحدى المغامرات، وطلبت منها أن تقص لها شَعرها

fb/mashro3pdf

قَصـة فاتـن حمامـة، ولكـن انـشراح رفضـت بالطبـع قائلـة:

- انتي كده أحلى مِن ألف فاتن حمامة

أمَـا الكلـب زنجـر فقـدْ كان صديـق ناهـد الأول، ولكـن والدتهـا رفضـت أن يدخـل المنـزل وأصرت أن مكانـه الوحيـد هـو حديقـة الفيـلا لأنهـا تكـره الـكلاب.

تحـكي ناهـد أيضًـا لانـشراح عـن نـادي المعـادي، الـذي كان والدهـا أحـد أعضـاء مجلـس إدارتـه، مـا سـهَّل عليهـا اصطحابهـا معهـا إلى هنـاك، حيـث سـمعت انـشراح لأول مـرة عـن أشـياء مثـل الجولـف والكروكيـت والهـوكي، ورأت لأول مـرة مسـابقات الفروسـية، تأخـذ رأيها في الصبيـة المعجبـون بهـا كانـت تستشـيرها «هـذا يريـد أن يصادقنـي، وهـذا يحبنـي، ولكـن هـذا يعجبنـي أكـثر».

لم تَطُـل إقامـة ليـلى وسـيد في هـذه المدينـة الصغـيرة الهادئـة، كانـت ليـلى تشـعر بغربـةٍ وعـدم تآلـف في هـذه المنطقـة الجديـدة، بالرغـم مـن محاولاتهـا أن تقيـم علاقـاتٍ جـيرة وود، فعندما انتقلـت إلى فيلتها الجديدة التـي اسـتأجرها سـيد مِـن أحد ورثـة عائلة التـمان اليهوديـة، قررت إرسـال هدايـا للجـيران مِـن بـاب كسـب الـود والتعـارف، كانـت الهدايا عِبـارة عن خـروف لـكل فيـلا مجـاورة، قوبِلـت الهدايـا بـردود أفعـال متباينـة مـا بـين رفـضٍ أو قبـول عـلى مضـضٍ، كانـت أسرة الدكتـور الرزيقـي هـي الوحيـدة التـي تجاوبـت مـع ليـلى، فقـد امتلكـت سـميرة هانـم زوجتـه مِـن الخـبرة التـي اكتسـبتها مـن أصولهـا الريفيـة وعلاقاتهـا مـع الفلاحـين المسـتأجرين لأرضهـا، مـا جعلهـا تجـد طريقـة تعاملهـا بهـا، أمَـا ابنتهـا الوحيـدة ناهـد

fb/mashro3pdf

ذات الأحد عَشر عامًا، فوجدت في انشراح مشاعر مشاركة سخية كثيرا ما ضنت عليها بها أمها، فقدْ كانت سميرة هانم مِن أسرةٍ شديدة محافِظة على التقاليد، ولم تكن لتقبَل بأي أحاديثَ مِن هذا النوع، فأصبحت انشراح شريكة ناهد في طفولتها المتأخرة ومراهقتها.

لم يمُر أكثر من عامَيْن تحملتهما ليلى في المَعادي، هذه المنطقة المهجورة الصامتة، وبدأت الشكوى والبكاء، وأن أشباح نرجس تطاردها في هذه الفيلا المهجورة. قررت أنها تريد أن تترك الفيلا ولكنها اضطرت أن تتحمل عامَيْن آخرين على مضض، حتى ينتهي سيد مِن بناء العِمارة، بعد أن أجبرته أن يشتري أرضًا في منطقة دار السلام، حيث الونَس واللمّة.

بعد أربع سنوات ملٍ في المعادي، انتقلت ليلى إلى عمارتها في شارع أحمد زكي ، قامت بتأجير معظم شققها، رفضت رفضًا باتًا بيعَ أي شقة، تؤجرها فقط، نَعَم ستظل المَالِكة، المَالِكة لكل شيء.

****

مِن أين أتى بكُل هذا الجفاء؟

بدأت انشراح تكره عالَمها، طال غياب إبراهيم في فرنسا، سافر ولم يلتفت وراءه إلى ابنة التُمَرجية وتاجِر المخدرات، لم يعُد ولا حتى إجازات، لم يلتفت وراءه إلى انشراح التي طالما وقف بجوار منزلها سنواتٍ كثيرة ينتظرها وهي تَخرج مِن المدرسة، يسير بجوارها في الشارع، يُسمِعها كل كلمات الحب، سبقها إلى بيته لم تتلكأ في

fb/mashro3pdf

خطواتها لم تتردد، تبعته... اعتبرت هذا عهدًا... نسي الحب نسي العهد نسي كل شيء.

لماذا ابتسمتْ لي نرجس في هذه الليلة؟

ليله سافر إبراهيم...

طمأنتني ابتسامة نرجس -جدّتي- تعرف كل شيء، ليس من داعٍ للقلق.

كانت صورة جدّتي المعلقة على الحائط دوما هي العلامة التي أسترشِد بها، رأيت وجهها الصارم يبتسِم ولكن... لقد ضللتني الجَدة، لم يعد إبراهيم

هل كانت ابتسامتها سخريةً مِني ومِن سذاجتي؟ هل كانت تعرف بخبرتها الكبيرة أنه سيذهب بلا عودة؟

ماذا ينقصني؟ بيضاء البَشرة، حمراء الخدود، خجولة، مؤدبة، مطيعة، هادئة، سِت بيت شاطرة وجميلة، أخدم عائلة بأكملها مِن عمر العشر سنوات.. ما المطلوب أكثر مِن هذا؟ لماذا ذهبَ إبراهيم؟ ولماذا لم يَعُد؟ لن أسألها مرة أخرى، لن أستشيرها، فقط سؤال لماذا ابتسمت لي؟

لن يجيب عن هذا السؤال إلا هي، الست فاطمة النبوية.

«مِن أجلِ فاطمةٍ قَدْ شُرِّفَ النَّسَبُ

لِكُلِّ مَن كانَ للزهراءِ يَنْتَسِبُ»

مَدد يا أُم الحنان واليتامى.. يا مجمَّعَة الأحباب

هناك بجوار المقام لم تسأل انشراح لماذا ابتسمت الجَدة؟ نسيت

fb/mashro3pdf

هـذا السـؤال تمامًـا، بكـت بحرقـة، تمسـكت بأعمـدة المقـام، قبّلَتهـا بنهـمٍ وسـألت لمـاذا لم أكمـل تعليمـي؟ ولمـاذا مـات أبي تاجِـر المخدرات دون أن يظهـر براءتـه ويبرئنـا مِـن كل هـذا العـار؟ لمـاذا تعاملنـي ليـلى بـكل هـذه القسـوة؟ ولمـاذا تركنـي إبراهيـم بـلا رجعـة؟

كانـت النبويـة ملاذهـا في سـنوات الإنتظـار الطويلـه ولكنهـا لم تفلـح في أن تُهـدئ شـوقَها، سـئمت انـشراح منظـر بكائهـا وسـئمت قِلـة الحيلـة في التعلـق بهـذه الأعمـدة وهـذا الرفـات ولا شيء يتغـير، لم تَبُـح بسرهـا لأحـد ولكنهـم لاحظـوا الهَـمّ المتراكـم.

أعلنـت ليـلى أن انـشراح تعـاني مـن سِـحر بوقـف الحـال، ويـأتي الشـيخ عبـد اللـه يقـرأ بجِـدة وعنـف آيـاتِ القـرآن في أُذُنيهـا حتـى يخـرج خـادم السـحر، لكنـه لا يسـتجيب ولا يخـرج، لا محالـة لا بُـد مِـن ضربـة.. ترفـض انـشراح أن يمـد يديـه عليهـا.

تبـادِر ليـلى قائلـة «عنـك يـا شـيخ عبـد اللـه، انـشراح دي عنيـدة». تنظـر ليـلى لانـشراح بِغِـل قائلـة «اقصـد الـلي عليهـا عنيـد» تضربهـا ليلى بعنـفٍ وبقـوة، تحـاول انـشراح الهـروب منهـا، يكتِّفهـا الشـيخ عبـد اللـه وأمهـا بينـما تنهـال عليهـا ليـلى بالحـزام تـارة وبالشبشـب تـارة، حتـى تتـورم انـشراح وتقـع مغشـيًا عليهـا، ينظر الشـيخ عبـد اللـه إلى الأُم قائلا:

- مـبروك الجـن خـرج، بَـس ممكـن يرجـع تـاني، لازم القـرآن يفضـل شـغال في البيـت ليـل نهـار.

لا شيء يتغـير، لم تتحسـن حالـة انـشراح، بـل سـاءت، ولم تعُـد ترغـب حتـى في أي شيء، انـزوت عـلى نفسـها وأصبحـت أكـثرَ انطـواءً، بـل

fb/mashro3pdf

أصبحت تكره سماع صوت القرآن الذي كان يذكّرها دائمًا أنها عليلة وقليلة الحظ وأن إبراهيم لم يعُد، كما يذكّرها بليلى وكيف تملكت منها في تلك الليلة القاسية على نفسها، ما جعل حياة تقرر أن الشيخ عبد الله قد أخطأ التشخيص، وأن خادم السحر على غير المِلة ولذا لم يُجدِ معه القرآن.

****

الرحلة تبدو طويلة، بين المقابر ليلى تمد بخطواتها تتبعها انشراح وأمها.

- شفتي يا ست انشراح انتي مبهدلاني معاكي أد إيه؟ آخرتها أمشي في الترَب دي؟ أمري لله ما هو اللي عليكي ملوش مِلة ماجوسي ما يطلعوش غير شيخ بيشتغل بالنجاسة.

الغرفة معتِمة قميئة، كيف يعيش هذا الرجُل في كل هذا العفن؟ غرفة تملأها كُتبٌ قديمة متهالكة وأحجار وشموع وحِلل وطواسي، رائحة زيوت عجيبة تملأ المكان.

ينظر الرجُل إلى السيدات متفحصًا إياهن بنظرة شرِهة ملتهِمة، يضع يديه على انشراح، تُسارِع الأُم قائلة: انشراح لسه بنت، ودي مرات ابني، مايصحش.

شعرت انشراح أن أُمها في حالة شبق شديد عندما قالت لهما متلجلِجة:

- اخرجي يا انشراح انتي وليلى

fb/mashro3pdf

بينما الشيخ كانت عيناه مثبتتيْن على انشراح

ردّ بلهجةٍ آمِرة:

«لأ.. انشراح لازم تكون موجودة علشان اللي بنعمله يجوز»

تمددت الأم على الكنبة مغمِضةً عينيها مستسلِمة لهذه المتعة، بينما كانت إحدى يداه تتحسس جسد انشراح مستجديًا الإثارة، كتمت انشراح أنفاسها خشيةَ أن تشعر أُمها بما يفعله هذا الرجُل، تذكرت لقاءها هي وإبراهيم، تذكرت كلام كاترين، كيف يكون ما يحدث الآن هو الطبيعة؟ كيف استحلهما هذا الرجُل؟ وبأي حق؟

لم تتمالك نفسها عندما أخرج عضوَه الذكري ووصل إلى حالة النشوة، أفرغت ما في معدتها وأصابها القَيء الشديد.

نظر الشيخ إلى أُمها قائلا:

- مبروك، أهو الخادم خرج من معدتها ورجعت السحر اللي كانت شارباه، ما أصل أنا كنت بقرا الطلاسم وأنا بشتغل.

في طريق العودة كانت الأُم التي تجاوز عمرها منتصفَ الخمسينات في حالة من الحيوية والسعادة والنشوة، قالت:

- الحمد لله يا انشراح يا بنتي ربنا نجّاكي.

****

خلعت انشراح البَدلة الباريسية التي لم ترتدِها، وعادت إلى الدرب الأحمر الذي لم تغادره، هجرت سورَ الأزبكية وقراءة الكُتب وسماع الأغنيات الفرنسية التي عرَّفَتها بها إيريني وحفظتها عن

fb/mashro3pdf

ظهر قلب دون أن تتعلم الفرنسية، لم تفلح كل الوصفات، ضاقت بها الأمكنة، أصبحت الكوابيس جزءًا لا يتجزأ مِن لياليها، والأوهام جزءًا لا يتجزأ مِن حياتها، فقدْ طال غياب إبراهيم ولم يعُد، بعضهم قال إنه تزوج باريسية، وبعضهم قال إنه انتقل إلى أمريكا، لا شيء واضحا، لكن المؤكد أنه تركها وحيدة في هذا الدرب الأحمر.

كاد الجميع يتهمها بأنها مجذوبة، فهي شديدة الصمت لا تحكي شيئًا مطلقًا، لا تعطي إجاباتٍ أو تفسيرات، تَخرج في الصباح الباكر ولا تعود إلا بعد المغرب، تجوب الدرب الأحمر بحثًا عنه، تشعر بقبضة جَدّتها على يديها حتى لا تتوه، وقتَها كانت تتألم بشدة، لا تستجيب الجَدة لتأوهاتها ولا تفك قبضتها عن يدها إلا داخل المسجد، تجلس الجَدة ومعها هذه الشنطة المليئة بالقماش المقصوص الجاهز للخياطة وخيط الكستبان، وكانت معها شنطة أخرى نادرًا ما تفتحها، يملأها وَدَع، ماتت الجَدة وسافر إبراهيم، أمّا أُمها فقدْ ساءت حالتها النفسية بعد انشغال سيد ولم تعد تشعر بقيمتها في حياته، لم تنطقها بلسانها ولكنّ عينيها دائمًا تقولان «الفلوس غيرته»

أمّا مقام سيدي يحيى فهو مستقرها في آخر الرحلة، تصلّي هناك صلاة المغرب، سيدي يحيى أبو المظاليم، ولكن لم يُطِعْهَا قلبها أن تفعل مثل أُخرياتٍ وتكنس المقام على إبراهيم.

تعلّمت فن الهروب، الهروب إلى هناك، هناك القريب، كما كانت جَدتها تهرب في الذكريات، وكما هربت كاترين في ماكينة الخِيَاطة، هربت هي أيضًا أحيانًا في نوباتٍ مِن الإغماءات، وأحيانًا أُخرى في

fb/mashro3pdf

حضرة الأولياء، وكما كانت تجوب الدرب الأحمر ليلا ونهارًا كانت أحيانًا تجلس في غرفتها بالأيام لا تكلم أحدًا، لم يفهمها المُحِيطون.. اعتبروا غيابها اختفاءً!

ملكت أدوات صناعة الحيرة، فقدْ كانت لها طقوسها الخاصة التي أجبرت الجميع على تقبُّلِها، وجعلتهم يتأكدون أنها مثل القمر لها مدها وجزرها، تتوارى وراء تلك الهلالات القمرية ثلاثَ ليالٍ في منتصف الشهر العربي عندما يكون القمر بدرًا، تستحِم انشراح وتتعطر وتمتنع عن العمل ولا تكلم أحدًا أبدًا، تصوم عن الأكل ما عدا المياه وقليلا مِن الخبز مع قليلٍ مِن المِلح، تظل طول الليل محدّقةً في السماء تحدث القمرَ ترسل رسائلها لإبراهيم، اعتاد الجميع على هذا الاعتكاف، والذي غالبًا ما كانت تتخلله نوبات مِن الإغماء والتي تقع فيها ميتةً كما كان يتصور الجميع ،ثم ما تلبث أن تُفيق حتى أطلَقوا عليها انشراح أُم خمَس أرواح.

هذه الحالة التي جعلت الجميع يقتنع أن هناك مَن يأخذها معه في موت مؤقت إلى عوالِمَ أخرى غير معروفةٍ لهم، وبدون إدراك كامل لحالة الانجذاب التي تأتيها، لكن الأكيد أنها تعود مِن هناك أكثرَ حيويةً وقدرة على التكيف.

هل حقًا كان هناك مَن يأخذها معه لعوالِمَ أخرى؟

إنها لحظة خاطفة لا تتجاوز ثوانيَ معدوداتٍ، تشعر فجأة بظلامٍ دامس مرعب وهدوء ثقيل وكما وجد في مذكراتها:

«أشعر بجسدي يتشنج وعضلاتي تتوتر وكُلي يتجمد، كأنني أقع

fb/mashro3pdf

في هـوة عميقـة جـدًا وكأننـي مِـتُّ، ثـم تتكشـف لي الرؤيـة تدريجيًـا فـأراني كأننـي أطـير فـوق جسـدي أسـمع مَـن يقـول لي:

«لقد تحررتِ مِن جسدكِ، أنتِ الآن في شكل كُتلة أثيرية»

ورأيـتُ أيضًـا خيطًـا فِضيًـا يَخـرج مِـن جسـدي يشـبِه ذلـك الخيـطَ الـذي رأيتـه يربـط بينـي وبـين جَـدتي لحظـةَ وفاتِهـا، كان جسـدي مُلقـىً دون حركـة ومـن حـولي أشـكال لبـشر ولكنهـم مختلفـون عنـا، بعضهـم لهـم زوائـد جِلديـة تشـبِه الزعانـفَ بـين أصابـع اليديـن والقدمـين، وبعضهـم عمالقـة مختبئـون في كهـوفٍ عميقـة داخـل أغلفة ذهبيـة، تعرفـت عـلى نسـاءٍ يسـمونَهن السـعديات، أشـكالهن مختلفـة وأعمارهـن مختلفـة، معظمهـن لسْـنَ بارعـاتِ الجَـمال يعشْـنَ عيشـة هادئـة بـدون بـذخ، بعضهـن يُشـبهن جَـدتي وأُمـي وجاراتِنـا، وبعضهـن لهـن بقعـة صغـيرة أعـلى العينـين مـكانَ مـا تضـع الهنديـات الخـرزةَ، يسـتطعن مـن خلالهـا أن يقـرأن أفـكار بعضهـن.

سـمعت أصـواتَ أمـواجٍ، رأيـت السـماءَ لونهـا أحمـر، والشـجرَ لونـه أحمـر رأيـت الكثـيرَ والكثـير...

لم أتـوانَ عـن اسـترجاع وتسـجيل مـا كنـت أراه في هـذه العـوالم، بـكل تفاصيلهـا المعقولـة وغـير المعقولـة، ربمـا تسـاعدني التفاصيـل لأجِـد إجابـة لسـؤالي: مِـن أيـن أتـت هـذه العـوالم؟ وهـل هنـاك حقًـا مَـن يأخـذني معـه في مـوت مؤقـت؟

****

fb/mashro3pdf

- 5 -

إنها المَرة الثانية التي يأتيها الزائر الليلي، كان كلامه مختلفًا، وطريقته مختلفة كانت أكثر حِدةً وصرامة:

- انشراح، كفاكِ إهدارًا للعمر، ماذا تفعلين بعمرك؟ بشبابك وبجمالك وبأنوثتك؟ كَم مِن الوقت مضى وأنتِ تبكين مَن رحل وتنتظرين أن يعود؟ تعيشين بطريقة مثيرة للشفقة، تَسكنين الماضي والمستقبل، تعيشين علي الذكريات والتوقعات، تسكنين الأزمنة الخطأ!

الماضي قد ذهبَ ولا نستطيع أن نغير ما حدث فيه، والمستقبل لم يأتِ بعدُ ولا نعلم عنه شيئًا، وربما لا تكونين موجودة فيه.

عيشي لحظتك الحاضرة، إنها أقوى لحظة في الزمن، عيشي «الآن» لأنها الحقيقة المؤكدة، الحياة هي الآن، فلا شيء يحدث في الماضي ولا شيء يحدث في المستقبل، الفعل يكون الآن وحتى عندما تتذكرين الماضي فأنتِ تتذكرينه الآن، وعندما تتخيلين المستقبل فأنتِ أيضًا تتخيلنه الآن.

لا تكوني مثل الكثيرين الذين يزيدون مساحاتِ الألم بداخلهم عندما يتذكرون أوجاعهم الماضية، لأنهم يعطونها وقتًا أكبر مِن حياتهم، لا تكوني مثل آخرين يعيشون لحظة الحاضر كأنها عَقَبة يحاولون التغلب عليها ليصِلون إلى مرحلةٍ أجملَ في المستقبل

fb/mashro3pdf

والتي قد لا تحدث أبدًا، إن ما يفعله الناس هو عدم رغبة في احترام الحاضر، بالرغم مِن أنه الزمن الوحيد الذي نملكه، الزمن الوحيد الذي يكون الإنسان فيه صاحب قرار، القهر ينشأ لأن الماضي يمنحنا هوية والمستقبل يحمل وعدَ الخلاص.. كلاهما وهْم..

القهر أن نعيش على الذكريات والتوقعات

استيقظتْ مِن نومها، وجملة نرجس الشهيرة «تتفكروا تتعكروا» تسابِق جُمَل الزائر الليلي، الذي لا تعرف لماذا أتاها مرةً ثانية بعد أكثر مِن خمسةَ عشَر عامًا منذ أيام وفاة جَدّتها. تساءلت هل هذا له علاقة بعرض حَسن للزواج بها؟

لقد تجاوزت الثلاثين مِن عمرها، إبراهيم لا يعود، حَسن لا يناسبها، ولكن كلمات الزائر الليلي ترن في أُذُنيها:

القهر أن نعيش على الذكريات والتوقعات، الماضي وهْم والمستقبل وهْم

نَعَم لقد ضاع مِن عمرها أكثر مِن عشرة أعوام، وهي تعيش على ذكرياتها مع إبراهيم وحُلمِها أن يعود.

الحياة هي الآن... الحياةُ هي الحاضر وحَسن هو الحاضر

عادةً ما يحدث هذا، فتاة التاسعة عشرة تفيق لتجد نفسها على مشارف الثلاثين،

تدرك هذا فقط عندما ترى قريناتها يَسِرن في الشارع وفي أيديهن أطفال قاربوا سن البلوغ.

تتأكد أنها عاشت عمرها كمَنْ تجلس في عربة ساكنة، ويمر

fb/mashro3pdf

بجوارها قطار مسرع يجعلها تتصور أنها هي التي تتحرك.

لا تعلم كيف أمضت حوالَي عشرة أعوام من عمرها، كثير مِن الزلات تجعلها أحيانًا تتمني أن تخلع جِلدها الذي شهد عليها وتُلقِي به في أقرب بالوعة.

استغربتْ بشدة أن حَسن طلب يدها للزواج، فقد كان على عِلمٍ بكثير من تفاصيلها، وكان شاهِدًا على علاقتها بإبراهيم، وربما رآها أكثر من مرة مع زغلول الباشا في بئر السلم، وعدة مرات مع أشخاص آخرين.

لا تملك المال حتى تتهمه بالطمع، ولا تملك الشباب أو الثروة حتى تجد له مبررًا في رغبته الشديدة في الزواج بها، وهو الذي يصغرها بعدة أعوام.

ربما كان السبب الوحيد أن انشراح كانت فتاة أحلامه عندما كان صغيرًا وكان يرافق خاله إبراهيم إليها لتحديد لقاء، وأحيانًا أخرى تستنجِد به انشراح للخروج من المنزل، وبالرغم من أنه طفل في الحاديةَ عشرةَ فإن خروجها معه كان كافيًا لتطمئن الأُم أن انشراح تحت رقابة، ولكنها ظلت في عينيه بنضارتها نفسها وببرائتها التي اعتادها مع إبراهيم، وكان يرى أن زلاتِها صغيرة وأن خاله إبراهيم كان جبانًا بما يكفي.

هو صغيرٌ جدًا، ولكنه تصوّر نفسه الفارسَ النبيل الذي سيمسح دموعها وسيعوضها عن مرارات الهجر والغدر، برغم علمه أن إبراهيم كان أول رجُل في حياتها ولم يعنِه هل جاء بعدَه آخرون أم لا.

fb/mashro3pdf

استمعت انشراح إلى نصيحة الزائر الليلي ووافقت علي الزواج بحَسن، فقدْ ملت الانتظار ويئست مِن التمني، ولكن هل أتى لها الحاضر بجديد؟

الساعة الواحدة صباحًا جلس حَسن على الطبلية، كعادته يأكل بنهَمٍ ما وضعته انشراح في الأطباق الألومنيوم، بينما هي تتحرك في هذا الحيز الضيق حوله، وكالعادة لا يطلب منها أن تجلس بجواره لتأكل معه، وكالعادة تشعر هي بثقل هذه الدقائق المعدودة التي ترى فيها حَسن، فقدْ تعوّد أن يخرج صباحًا مبكرًا دون أن يراها، حتى لا يضطر أن يترك مصروف البيت، ويعود متأخرًا في الليل يطلب منها أن تحضر له العشاء، ويفتعل خناقة بهذا التعليق اليومي الذي سمعته منذ أول أيام زواجهما «هو الأكل ناقص ملح ليه؟».

تعودت انشراح على هذا التعليق، فرغم أنها كانت تضع كمية هائلة من المِلح، هذا التعليق لم يتغير، كما تعودت أن يأكل حَسن سريعا ويدخل إلى غرفته -بالرغم من أنه لم يَمضِ على زواجهما أكثر من عام- ويغلق بابه بالترباس وغير مسموح لها أو لأي أحد بدخول هذه الغرفة حتى الصباح.

فهو الكاهن المقدس الذي يتعبد طوال الليل، لا تملك انشراح إلا أن تدخل كل صباح حتى تجمع قِطع القماش المبللة بِمَنِيّه، والتي نظرت إليها كثيرًا بحسرة وتساؤل، تَجمعها مع الغسيل كل ليلة تعيدها للمكان نفسه، كانت تخشى أن تقع في يد أحد،

fb/mashro3pdf

وكذا شرائط الفيديو التي يقضي زوجها معها لياليه. إلا في القليل النادر يترك باب غرفته موارَبًا ثم ينادي انشراح أن تحضر له كوبًا من الشاي في الغرفة، تعلمت انشراح طريقته، إشاراته التي كانت تجعلها تحتقر نفسها، فقط في ليالٍ بعينها على فترات متباعدة، تصل أحيانًا إلى شهور، يسود الصمتُ الغرفةَ، يُطفئ التليفزيون ويضيء اللمبة السهراية، يترك باب الغرفة موارَبًا ثم يطلب بعنجهية ورِقة مصطَنعة «كوباية شاي يا انشراح». أدركت مكانتها فهي مجرد زوجة تحت الطلب، كانت تلوّن أيامها بحُلم أن يتغير حَسن، ولكن ماذا تفعل الأحلام مع هذا الواقع المُر؟ سلواها الوحيدة في أوراق جَدتها المبللة بدموع سنوات طويلة عاشتها الجَدة في منازل مغلقة، لا تشعر بالحرية فيها إلا في الحمّام، في الحمّام تشعر الأنثى أنها حُرة.

لا أحد يقتحِمها، ولا أحد يأمرها ماذا تفعل، ولا أحد يقطع أفكارها.

كانت جَدتها تملك نوعيْن مِن الحَجَر، حَجَر جاف للكعبين، وحَجَر طري للجسد، تطلب مِن انشراح أن تبقى بجوارها في الحمّام وتدعك لها ظهْرَها، تستمتع ساعاتٍ وهي تجلس تدعك جسدها بالحَجَر، تزداد سعادتها وهي ترى هذا «الفرك الأسود» يَخرج مِن جسمها، تصل إلى النشوة وهي ترى جِلد جسدها باللون الأحمر الوردي. الآن فهمتْ واستوعبت ما كانت تفعله الجَدة، نَعَم محاولة للتخلص مِن القديم السيئ الموجِع، محاولة

fb/mashro3pdf

دائمة لولادةٍ جديدة، إعادة لهذه الثقة التي أهدرتها الظروف. تَخرج مِن هذا الحمّام بإحساس أنها ما تزال هي تلك المَرأة النضِرة الوردية، هناك تتخلص مِن كل الآلام في شكل الفرك الأسود، تستمتع بالنظر إليه وهي تدفعه إلى المَجاري بعيدًا حتى يختفي.

أمَا هي فقدْ وجدت سلواها في صعود الأدوار الخمسة يوميًا عدة مرات، لتملأ المياه مِن الحنفية العمومية، فالمنزل حتى الآن لم تدخله المياه. يسعدها تعليق الجارات بأن صحتها جيدة وأنها شاطرة، ولكن ما الفائدة إذَن؟ تستمتع بهذا العمل لدرجة أنها تقوم بتعبئة المياه للجارات كنوعٍ من المساعدة، لم يتوقع أحد أنها تجد في هذا المَلء والسكْب نشوة، ولكن هل ستقضي عمرها تستمتع بمنظر المياه التي صعدت بها على رأسها خمسة أدوار وهي تسكبها في الطشت؟ هل ستظل تستمتع بصوت تدفقها وفيضانها كما عاشت جَدتها تستمتع بمنظر خروج الفرك الأسود من جِلدها وهو يذهب إلى المجاري؟

****

ماذا تفعل إذا واكبتك روح لعينة وتَبِعتك أينما ذهبتَ؟

ربما هي السبب في جفاء حَسن وهجرِه لي؟

وهل توجد حقًا روح لعينة معي أم هي إشاعات أطلقتها ليلى حتى تخيف الناس مني؟ ولكن مَن يكون إذَن هذا الزائر الليلي إذا كانت هذه إشاعات ليلى؟

fb/mashro3pdf

ولماذا قررتْ ليلى أنها لعينة؟ ولماذا لا تكون روحًا طيبة؟ ولماذا صدقتها؟

أطلقوا عليها كل الأسماء، هناك مَن قال إنها قريني، وهناك مَن اعتبرها خادم جَدتي الذي اختار أن يرافقني أنا بعد وفاتها لأنها كانت تحبني، وهناك مَن اعتقد أنها روكش الجنية الطفلة.. وأسماء أخرى كثيرة.

أمّا أنا الوحيدة التي لا تصدق في كل هذا، مهما ادَّعى مَن حولي أنني أحيانًا أقْصَر ويصبح طول قامتي مئة سنتيمتر، أو أنني أحيانا أتكلم بصوت رجالي غير مفهوم، أو كما ادّعي آخرون أنني كتبتُ لهم وصفاتٍ علاجية كطبيبة متخصصة وتعافوا بوصفاتي، وآخرون قالوا إنه عندما تأتيني نوبات أتوه فيها عن العالَم، أتكلم لغاتٍ غيرَ مفهومة. أكّد أحدهم أنني أتكلم السنسكريتية التي يجيدها هوَ وترجَم ما قلتُه للحضور!

أنا الوحيدة التي لا تؤمِن بكل ما يقولونه، لا توجد روح أقوى مِن روحي حتى تمتلك إرادتي وجسدي، كل هذا كذب.. كل هذا تخاريف.

دَق جرس باب الشقة، قطعَ تساؤلاتها، عرَفت انشراح أن هناك زائرًا غير تقليدي، فالكُل كالعادة يخبط على الباب ولكلٍ خبطته المميزة، والغرباء فقط هُم مَن يستخدمون الجرس. فتحَتِ الباب. لم تتعرف على هوية هذه الزائرة المنتقِبة.

- انشراح، أنا بيسة أختك

fb/mashro3pdf

لم تفهم انشراح شيئًا، ارتبكت وظلت لوهلةٍ متشككة في هذه السيدة حتى رفعت نقابها عن وجهها لثانية، أصاب انشراح برودٌ شديد وحَيْرة ثم تمالكت نفسها:

- بيسة حمدالله على السلامة، حمدالله على السلامة اتفضلي اتفضلي

أسئلة كثيرة تدور في ذهن انشراح، ما الذي حدث لبيسة حتى تخفي وجهها خلف قطعة من القماش الأسود؟ لماذا تذكرتها وأتت لزيارتها الآن؟ ولكنها كالعادة تجيد الصمت.

تحكي بيسة وتتكلم عن أشياء كثيرة، تسألها عن سيد وليلى ومرزوق وعواطف وسعيد إخوتها، عن حياتهم وأحوالهم وأخبارهم، تسألها عن زوجها الذي لم تره، تتحدث بحميمية شديدة واهتمام أشد، كأنها لم تمتنع عن إرسال السيارة لتأخذ انشراح!

تَحكي لها أيضًا عن أشياء أخرى، لا تسمعها انشراح.. فقدْ كانت شاردة.

يمُر مِن أمامها شريط ذكريات بعيد، بيسة الطفلة في قصرها في منشية البكري، بيسة في الجامعة تقود سيارتها الكاديلاك وهي ترتدي المينى جيب، ووراءها طابور لا حصر له مِن المعجبين، بيسة وهي تناقش رسالة الدكتوراه في إنجلترا كما تخيلتها... مَن هذه المرأة؟

تحدثت بيسة عن أولادها الستة أميرة، وأحمد، ثم رُقية، وأبو بكر، وأُم المؤمنين، وعبد الرحمن، عرَفت منها انشراح أنها تبرعت

fb/mashro3pdf

بكل ما تملك وكل ما ورثته عن أُمها، حتى قصر منشية البكري وكل مجوهراتها، لإحدى الجمعيات الإسلامية في لندن، وأنها تركت العمل كأستاذة في الجامعة حتى ترعى أبناءها، وأنه لا مكان للمرأة خارج المنزل، وأنه لا صلاح في هذا المجتمع إلا إذا عادت كل النساء للبيوت. كانت انشراح تنظر إلى بيسة وهي تتحدث عن الزهد والإيمان وزوال الدنيا، وما يجب أن تكون عليه المَرأة المسلِمة، وهي لا ترى إلا صورة بيسة الدلوعة التي تعودت أن تحصل على كل ما تريد وقتما تريد، حتى انشراح كانت بالنسبة لبيسة مجرد لعبة «أريد أن يكون لي أخت» يتحرك السائق من منشية البكري إلى درب شغلان فيحضر الأخت اللعبة لتجلس معها بسبوسة، ولتلعب معها حتى تشبَع بيسة من اللعبة الأخت، فتعيد السيارةُ انشراح إلى درب شغلان ولا تأتي مرة أخرى إلا عندما تشتاق بيسة للعبة الأخت، بيسة هي الفتاة المدللة التي لا يُرفض لها طلب، أكْل، لعب، ملابس، سيارات، كوافيرات، تعليم متميز، معجبون من عائلات وأُسَر راقية، زواج موفَق بشاب سليل أسرة راقية.

لم تشعر انشراح وبيسة تتحدث عما آلت إليه مِن إيمانٍ وهداية وأن نمط الحياة الذي تعيشه انشراح وإخوتها كُفْر لم تشعر أنها خاطئة أو عاصية، ولا أنها يجب أن تنتصح وتقوم لتستغفر ربّها، بقدْر ما كانت تشعر أن بيسة تمارس لعبتها المفضلة في الحياة «الاستحواذ والتملك» وأنها أرادت أن تحصل على الجنة بعد أن أخذت كل شيء من الدنيا، نَعَم فالجنة هي لعبتها الجديدة التي

fb/mashro3pdf

ستبذل كلَّ شيء من أجل الحصول عليها.

زيارة كانت غير متوقَّعة، لم تكن أيضًا مبهِجة بالنسبة لانشراح، فلم تعُد هناك بيسة أختها، هناك الآن سيدة أخرى غير التي أحبتها انشراح واشتاقت لها، اسمُها أم عبد الرحمن.

****

عادت بيسة. هل سيعود الغائبون؟ وهل حقًّا عادت بيسة؟ هل تغير إبراهيم مثلما تغيرت بسبوسة؟ وهل أصبح الأخ إبراهيم أم مسيو إبراهيم؟

كانت ليلة الحنين لكل مَن رحلوا، ذكريات حُب إبراهيم تستيقظ بداخلها بقوة جارفة تجعلها تبكي كأن الفراق كان أمس، كانت تُنهنِه كالأطفال، اشتاقت له ولمحبته ولدفئه، اشتاقت لهذا الصوت المتفرد الذي لم تسمع في حياتها أعذبَ منه وهو يتلو في محبتها قصائد الغرام، لهذه الأصابع النحيفة والتي طالما مسحت دموعها التي أسالتها ليلى، لهذه الشفاه التي طَبَعت على جسدها ختْم الأنوثة، لهذا الجسد النحيل فلم يمتلك إبراهيم يومًا عضلاتٍ مفتولة يتخايل بها مثل الشباب الآخرين، كان شديد النحافة متوسط الطول، بشرته سمراء تميل لزرقة تشبِه زرقة لون الهنود جعلت الجميع يتصور أنه مريض مرضًا يجعله يبدو هزيلا، أمّا هي فكانت ترى حتى في هذا الضعف علاماتِ دِقة تكوين حبَاه الخالق بها تجعله أشبَه بالزاهدين، لا تنكِر أن هناك آخرين ظهروا في حياتها بعد إبراهيم

fb/mashro3pdf

قبل أن تتزوج حسن، ولكنها كانت تشعر أن كل الرجال الذين دخلوا حياتها كانوا مجرد قُطّاع طريق، حتى مشاعر الحُب واللوعة التي كانت تعيشها بكل ما فيها من طاقة، لدرجة أنها فقدت عشرة كيلو جرامات مِن وزنها في إحدى تلك العلاقات، اعتبرتها حالاتٍ نفسية وردود أفعال لعلاقتها بإبراهيم. إبراهيم هو كان الزلازل الحقيقي في حياتها، أمّا ما دون ذلك فإنه توابع. استطاعت بجدارة أن تلخص حياتها العاطفية في ثلاث جُمَل إبراهيم هو الحُب، حَسن هو الأسرة والاستقرار، أمّا كل الرجال الآخرين فكانوا مجرد قاطِعي طريق.

سامحت نفسَها، اعتبرتهم حالةً نفسية، كانت سافِرة جدًا وساخرة أيضًا مِن كل مشاعرها، أدركت أنها في كل علاقة كانت تحِب إبراهيم وتبحث عنه.

سألته بحرقة: ماذا تريد مِني بعد كل هذه السنين؟ لماذا تبحث عن لحظات سعادة تركتَها وتخليتَ عنها بإرادتك؟

أجابها: أحببتُكِ كما لم يحِب رجُل امرأة ولكنه التكافؤ، ضحكت بسخرية، تزوجتَ المهندسة، كنتَ تريد أن تكمل نجاحاتِك وهيئتَك الاجتماعية، تزوجتَ المهندسة وأنجبتَ أبناء ذوي حسَبٍ وجاهٍ، والآن تريد أن تملك الحُب في شقة مهجورة تفتحها عندما تحتاج إلى لحظة دِفء.

لم أعُد تلك الفتاةَ الصغيرة التي تصدق كلماتك، وبالرغم من أنني أحيانًا أحتاج للمشاعر نفسها، فإنك للأسف الرجُل الوحيد الذي لا يملك أن يعطيني إياها، لأنك الإنسان الوحيد الذي أعلم

fb/mashro3pdf

أنـه لا يملكهـا، ربمـا أقبّلهـا مِـن مَـارٍ في الشـارع أو أصـدّق كذبَـةَ أي رجُـل، كل رجـال العـالم يملكـون فرصـةً معـي إلا أنـت.

عاشـت انـشراح سـنواتٍ طويلـة تتخيـل هـذا الحـوار، تـرى إبراهيـم واقفًـا ببابهـا مسـتعطِفًا إياهـا أن تسـامِحه وأن يقضيـا معًـا ليلـة دفء واحـدة، تخيلـتْ وتخيلـت، كَـم مِـن المـرات ردت اعتبارَهـا، كَـم انتقمـت لعواطفهـا الموجَعـة مِـن هـذا الـذي سلبَهَا كل مشـاعر الحـب وتركهـا روحًـا يملأهـا الخـواء، وآلـةً متحركـة لا تهـدأ ولا ترتـاح، يصاحِبهـا أرق مَـرَضي لا يفارقهـا لسـنين، ولا تعـرف كيـف تداويـه!

****

الأرق هـذه الليلـة كان غريبًـا، بيسـة تلِـح عليهـا بالرغـم مـن أنهـا كانـت في زيارتهـا مـن أيـام، تغفـو قليـلا فتراهـا كأنهـا مكبّلـة مقيّدة، وكأن هنـاك مَـن يُطلِقـون عليهـا الرصـاص، وقنابـل المولوتـوف تحـرق منزلهـا والنـيران تلتهـم كل مَـن بداخلـه. نَعَـم بيسـة تغيرت وأصبحـت بيسـة أخـرى، ولكنهـا تظـل أختهـا التـي أحبتهـا واشـتاقت لهـا سـنواتٍ وسـنوات. ومـا المشـكلة إذا كانـت أختهـا أم عبـد الرحمـن أو بسبوسـة الدلوعـة؟ ومـاذا يفـرق هـذا في المشـاعر؟ الحُـب هـو الحُـب.

اسـتبدّ بهـا القلـق عـلى أختهـا، اسـتيقظت مبكـرة إذا جـاز التعبـير، فهـي فعليـا لم تنَـم ليلتَهـا، قـررت أن تأخـذ الورقـة التـي تركـت بيسـة العنـوانَ فيهـا وتذهـب إلى زيارتهـا، لم تَقُـل لأحـد إلى أيـن هـي ذاهبـة، كعادتهـا لا أحـد يعـرف عـن تحركاتهـا شـيئًا، كِيـس مَـلِيء بالخضـار

fb/mashro3pdf

يكفي للرد على تساؤلات الجيران، «كانت في السوق».

الطرق كانت شِبه مغلَقة.. العَرض العسكري بمناسبة احتفالات أكتوبر

لم تكُن تتخيل هذه الصعوبة المرورية، تملأ شوارع العاصمة كردونات أمنية، وبينما هي في محاولاتها لإيجاد أي طريق تسلكه لتصل إلى بيسة، تنطلق الصرخات والصيحات في كل مكان..

ضربوا نار على الريس

كل ما رأته في الحُلم تحقَّق، وابِل الرصاص والنيران، ولكن هل يكون ما حدث هو تفسير ما رأته ليلةَ أمس؟ أم أن هناك شيئا يخص بيسة فعلا؟

لم تستطِع أن تكمل طريقها إلى ذلك العنوان الذي لم تذهب له من قبل في هذا الارتباك، أمضت وقتًا طويلا حتى تجد وسيلة مواصلاتٍ تعود بها إلى منزلها في الكلحة.. قتلوا السادات!

لم تفارق بيسة خيالَها، ولكنها لم تستطِع الاطمئنان عليها، القاهرة مضطرِبة والحركة فيها ليست سهلة، وَظَل السؤال: هل ما حدث هو تفسير الحُلم؟ أم أن هناك شيئًا آخرَ له علاقة ببيسة؟

مضت عدة أشهر، قُرَابة العام يئست فيها أن تعرف عن بيسة شيئًا، بالرغم من أنها قامت بالكثير من المحاولات المُضنية، لقد ذهبت إلى العنوان الذي تركته لها، وعَرَفت مِن الجيران أنهم استيقظوا فلم يجدوها لا هي ولا أيا مِن أفراد أسرتها، كانت ردود الجيران مقتضَبة، بعضهم أصلا رفضوا الرد عليها وتركوها ومضوا، بعضهم ردوا باقتضاب وحال لسانهم يقول في داهية، وهناك مَن تَبرع

fb/mashro3pdf

وقال في عجالة: «جوزها واحد من اللي خططوا لقتل السادات».

كان مِن الممكن جدًا أن تنسى بيسة، مِن المؤكد أن عواطف وسيد لن يهتما ولكن ذكريات الطفولة المشتَرَكة، هذه الفرحة التي كانت تستقبلها بها بيسة، لعبهما معًا في حديقة منشية البكري، العروس أم أحمد التي شاركتهما أيامهما ما تزال هنا تذكرها، كل هذا يستحق أن تحاول مرة أخرى ولكن لم يعُد أمامها إلا اختيار أخير، اختيار صعب وهو د. مصطفي الرزيقي الذي أصبح أحدَ رجال الدولة المهمّين، صوره تتصدر الجرائدَ وشاشات التلفزيون، ولكن ماذا تقول له؟ هل يُعقَل أن تقول له إنها تشك أن زوج أختها في السجن، لأنه ربما يكون أحد المُخططين لقتل السادات؟!

ناهد. نَعَم ناهد تستطيع أن تطلب منها، وبالرغم مِن أن ليلى تركت المعادي منذ أعوام كثيرة وانقطعت الصلة، فإن ناهد تُكِن حبًا لانشراح وعِشرة.. أكيد لن تبخل عليها، وربما تَبخَل!

قررت زيارتَها.. ستحاول.

لم يتغير شيء. الفيلا كما هي وأشجار المانجو وسرو الليمون برائحته النفاذة تستقبل انشراح كعادتها، كان رائعًا بالنسبة لانشراح أن سميرة هانم لم تكُن بالفيلا، فقد سافرت إلى بلدتها لتُحصّل فلوس الإيجارات السنوية، في الواقع انشراح لم تكُن في حالة نفسية قادرة على تحمُّل مجاملة سميرة هانم، وأيضًا ربما لم تكُن لتتوفر لها الفرصة للحديث مع ناهد بحميمية.

كل شيء كما كان إلا ناهد، كانت على عكس ما توقعتْ انشراح،

fb/mashro3pdf

كانت تتصور أنها ستجد فتاة تملأها بهجة ونضارة التسعةَ عشرَ عامًا، كانت ذابلةً شاحبة منطفِئة، شحوب لا يليق بالفتاة، لم تجد انشراح طريقة وهي تتحدث مع ناهد لتطلب منها وساطةَ والدِها، فقدْ كانت شاردةً لدرجه شعرت معها انشراح بالحرج وهمَمت بالاستئذان، لولا أن فاجأتها ناهد بسؤالها:

-أخبار أخوكي اللي في لبنان إيه؟

لم تستوعب انشراح، وهل يعقل أن ناهد لا تزال تتذكر أن انشراح لها أخ في لبنان؟ أجابتها باستغراب:

-مفيش أخبار عنه من زمان

تنهدت قائلة بحسرةٍ مكمِلة حوارَها:

-كل اللي بيسافر بينسى

تذكرت إبراهيم في لمحة ثم عادت إلى ناهد:

-غريبة انك لسه فاكرة ان ليا أخ في لبنان، ده أنا كنت خايفة تكوني نسيتيني أنا أصلا.

انفجرت ناهد في الكلام، كانت تتحدث بدون توقف وبانفعال شديد:

- إنتي عارفه ان الجيش الإسرائيلي موّت الفلسطنيين في صبرا وشاتيلا في لبنان، مجزرة عملوها بدم بارد، حاصروا المخيم وهُم عُزّل، قتلوهم، دبحوا الأطفال، فتحوا بطون الستات واغتصبوهم، قادرة تستوعبي الغدر والخيانة؟

كانت يداها مرتعشتين وجسدها كله ينتفض من شدة التوتر ثم انفجرت في البكاء.

fb/mashro3pdf

لم تفهم انشراح شيئًا، وما علاقة ناهد بالسياسة والحرب وفلسطين ولبنان؟ ولماذا كل هذا الانفعال والبكاء لفتاة التاسعة عشرة، أجمل فتيات نادى المعادي، ابنة أستاذ القانون المرموق ورجُل الدولة وسميرة هانم سليلة الباشوات؟

لم تفهم انشراح شيئًا، لكنها لم تملك إلا أن تأخذها في حضنها بشدة، أخذت تربت على شَعرها وجسدِها لتهدئتها من نوبة البكاء الهيستيرية التي انتابتها، حتى فوجئت بها نائمةً في حضنها بعمق كأنها لم تنَم منذ أعوام.

لم تستطع انشراح أن تنام هادئة، في اليوم التالي قامت بالاتصال بناهد للاطمئنان عليها، صوتها كان مقلِقًا، أبدت انشراح رغبتَها في أن تزور ناهد، ولكن ناهد طلبت من انشراح أن تكون المقابَلة هذه المرة في منزل انشراح.

حاولت انشراح أن توضّح لها أن منطقة الكلحة التي تسكن بها ليست منطقةً شعبية، وإنما هي منطقة عشوائية لا توجد لها وسائل مواصلات ولا حتى طُرُق ممهدة للسيارات، والوصول سيكون شاقًا. ردت عليها ناهد بوهَن:

-أنا هاعرف اوصل

هناك على الكَنَبة الكائنة ما بين غرفة حَسن وغرفة أمها، استرخت ناهد وقالت: «انتي ربنا بعتك ليا، أنا ماكنتش عارفه اتصرف ازاي أنا في ورطة.. أنا حامل»

انتاب الذهولُ انشراح لثوانٍ، لم تكن مذهولة لأن ناهد حامل،

fb/mashro3pdf

فهذا يتكرر دائمًا، كثيرًا ما رأت جَدتها تقوم بعمل وصفات لإجبار هذا الشاب على الزواج، ودائمًا ما كانت تفلح الوصفات وتأتي العروس أو خالتها لجَدتها نرجس بالحلاوة، وكثيرًا ما عرَفت أن أهل الفتاة قاموا بتكتيف الشاب وإجباره على الزواج، لكنها كانت مذهولة لأن ناهد هذه الرقيقة الجادة تقع في هذه الورطة!

أجابتها سريعًا:

-ماتخافيش وماتضايقيش نفسك، أنا عندي وصفة كانت نرجس بتعملها، هتخليه ييجي على بوزه ويكتب عليكي غصب عن أهله، بس هاتي لي صورته

كان رد ناهد مربِكًا جدا:

- انشراح أرجوكي أنا مش باقتنع بالحاجات دي، وماتزعليش مني، أنا شايفة ان دي خرافات وجهل، وكمان انا مش عايزاه ييجي على بوزه ولا عايزة وصفات، أنا مش عايزه اتجوزه، أنا عايزة اتخلص من الجنين.

انشراح المذهولة بحق تنظر لها باستغراب مكمِلة حديثَها:

- يعني إيه مش عايزة تتجوزيه؟ اللي غلط لازم يتحمل المسئولية

قاطعتها ناهد:

- إنتي بتقولي اللي غلط... هو ماغلطش وماوعدنيش بحاجة، وأصلا ماكانش فيه بينا أي علاقة ولا قصة حب، أنا مش بالومه على حاجة.

انفعلت انشراح وقالت:

fb/mashro3pdf

- يعني لا قصة حب ولا علاقة؟ يعني باختصار ضحك عليكي وجرجرك وبيقول لك ماليش دعوه انتي اللي غلطانة.

-انشراح الموضوع مش كده خالص، هو لا ضحك عليا ولا جرجرني، ده شاب فلسطيني اسمه عدنان، من أسرة فلسطينية فقيرة قوي، أخد منحة لدراسة الحقوق في مصر، هو كان بالنسبة لأهله الأمل، هيخلص دراسته ويبقى محامي ويشتغل ويبعت يجيبهم من مخيم اللاجئين اللي كانوا عايشين فيه في لبنان، مخيم شاتيلا، أهله كلهم ماتوا في المذبحة، لقوا جثة أمه متقطعة جاتله حالة هيستيرية لما عرفنا الخبر، واحد من زمايلانا أخده عنده في البيت، واحنا قررنا نروح نزوره، دخلت عنده الأوضة كان في حالة هذيان، بيضرب دماغه في الحيط وبيبكي ويصرخ وبيقول أمي أمي، ويشتم في الكون والعرب والإسرائيليين، حاولت أهدّيه، أخدته في حضني وقعدت أبوس في دماغه ووشه ورقبته، أنا كمان كنت بابكي وماحسيتش بأي حاجة ولا حتى بألم، لدرجة أني ما انتبهتش أن فيه حاجة حصلت بينا إلا لما الدورة الشهرية اتأخرت، بدأت أستعيد الذاكرة وافتكرت حاجات بسيطة زي اني قلعت الجيب أو حاجة زي كده، افتكرت حاجات تانية مش بوضوح كأنها كانت حلم.

- ماحسيتيش بحاجة؟ مش فاكرة حاجة؟ طيب انتي متأكدة من إنك ماعدتيش بنت؟

- أنا مش متأكدة من حاجة كل اللي عارفاه ان الدورة الشهرية بقالها شهرين متأخرة، بس حاسة اني فقدت عذريتي وحامل.

fb/mashro3pdf

-وهو عرف؟

- أيوه طبعا قلت له، بس بصراحة ماكنتش عارفة اقول له ازاي، أنا نفسي كنت محرجة، إذا كنت أنا شخصيا ماحسيتش بحاجة، أمّال هو اللي كان في صدمة وهيستريا بسبب اللي حصل لاهله؟

- وكان رد فعله إيه؟

- عدنان مش معانا في الدنيا دي، عدنان لسه في حاله توهان، قلت له أنا حاسة اني فقدت عذريتي يوم ما كنت عندك، مش عارفة ازاي.

ردّ بصوتٍ كسير: فيه ناس كتير طول الوقت بتفقد حاجات غالية عليها، وبرضه ماتعرفش ازاي.

قلت له احتمال اكون حامل، قال لي بيأس» أب بلا وطن، ابن بلا وطن، تخلصي من هادا العذاب يا ناهد، لو ضل هذا الحمل جوّاكي هتضلي تحمِلي مشكلة الشعب الفلسطيني كله طول عمرك. كان نفسي يكون عندي حاجة اقدمها لك أو لابن لي، حتى الهوية لا أملك».

-وبعدين؟

- مش عارفة، مش متأكدة، ساعديني يا انشراح أرجوكي

- ماتخافيش، ارمي حمولك على الله، هتتحل، كله هيتحل بإذن الله.

لم يكن الوقت مناسبًا لأن تفاتِح انشراح ناهد في موضوع بيسة، قررت أن تؤجل الحديث إلى وقتٍ آخر.

****

fb/mashro3pdf

- 6 -

تأكدَ الجميع من أن هناك شيئًا خارقًا أملكه بعد حادثة ابن أختي عواطف، كان وقتَها طفلا لم يتجاوز سِن المراهَقة، وأصيب بمرض السرطان في المُخ ولم يفلح معه علاج، ووصل إلى مراحل المرض الأخيرة، فقدَ الجميع الأملَ في شفائه وباتت أيامه في الأرض معدودة، كنت أُحِبه بشدة وأبكي بشدة أمامَه، وذات ليلة بينما أنا نائمة بجواره -فقد كنت أنا وعواطف نتناوب على رعايته في أيامه الأخيرة- في الليل حلمتُ أنني استيقظت فجأة وأخذت أُقلّب رأس الولد وأُحرّكه. وإذا بي كأني أُخرِج معداتٍ جراحيةً وأقوم بعمل عملية جراحية في رأس الولد، وبعد الانتهاء أخذته في حضني وقبّلتُ رأسه.

وفي الصباح استيقظتُ وكُلّي يقين أن ابن أختي قد شُفِي تمامًا، لم أحكِ فعليًا عن تفاصيل الحُلم لأحد، كل ما قلته لعواطف أنني رأيتُ رؤيا أن ابنك سيُشفَى، وفعلا قام الولد الذي كان يحتضر معافى بلا أي ألم أو مرض، وأثبتت التحاليل والفحوصات والمَسح الذري أن هذا الابن شُفِي تمامًا، وغير مصاب بأي أورام سرطانية في أي جزء مِن جسده!

انتشرت قصة الرؤيا في كل مكان، ولكن لم يعرف أحد أي شيء عن هذه العملية الجراحية، التي اعتبرتُها أنا وقتَها مجرد جزء

fb/mashro3pdf

مـن الحُلـم، وأنـه لم يكـن هنـاك أي عمليـات فعليـة، إنهـا مجـرد رمـز لشـفائه، ومـا رأيتـه كان حقًـا رؤيـا، حتـى أتـاني صديقـي الزائـر الليـلي بعدَهـا، كان مختلفًـا أيضًـا هـذه المـرة ولكنـه سـألني بلهجـة أكـثر اختلافًـا، موجِّهًـا حديثَـه لي مُناديًـا إيـاي:

- دكتورة انشراح، العملية كانت أكثر مِن رائعة.

لقـد وفَقـكِ اللـه في عـلاج ابـن أختـك، إنهـا المـرة الأولى لـكِ وقـد نجحـتِ بجـدارة، ولكـن لـن تكـون المـرة الأخـيرة، سـوف تسـتطعين عـلاج المَـرضَى وسـتقومين بعـلاج كل مَـن يحتـاج إليـكِ، ولكـن هـذا لـن يتـم إلا إذا توافـرتْ لديـكِ الإرادة لمسـاعدتهم، لا أحـد يجـبركِ عـلى أن تفعـلي هـذا، لـن يتـم شـفاؤهم إلا إذا وجـدتِ داخلـكِ الرغبـةَ الحقيقيـة في هـذا، إنـه اختيـاركِ، فَكّـري جيـدًا وإذا شـعرتِ أنـكِ فعـلا مسـتعدة لهـذا، فقـط عاهِـدي اللـهَ عـلى هـذا والتزمـي بالعهـد.

اختفـى صديقـي دون أن ينتظـر إجابتـي، بينـما كنـت أتسـاءل: مَـن مِنـا لا يحِـب أن يكـون سـببًا في إسـعاد النـاس؟ مَـن مِنـا لا يتمنّـى أن يملـك القـدرة عـلى مسـاعدة المَـرضَى وتخليصِهـم مِـن آلامهـم؟ ولكنـي لسـتُ طبيبـة، ولا أملـك العِلـم الـذي سـوف يسـاعدني عـلى هـذا، فكيـف لي وأنـا سـيدةٌ جاهلـة لم أكمِـل حتـى تعليمـي الإعـدادي؟

في الصبـاح نسـيتُ الزائـر الليـلي، أو بالأحـرى تناسـيتُه، لم أجـرؤ حتـى بينـي وبـين نفـسي أن أجيـب عـلى سـؤالِه أو أعـترِف أننـي أريـد أن أُعالِـج النـاس، أسْـخَر مِـن تخاريفـي الليليـةَ، عمليـات جراحيـه، طبيبـة خرّيجـة سريـر في غرفـة ضيقـة في الكلحـة، حاصلـة عـلى بكالوريـوس

fb/mashro3pdf

طِب ودكتوراه في الجراحة مِن زائرٍ ليلي مجهول!

تذكرتُ كلمتَه «العهد». هل مِن المعقول أن يكون هذا هو العهد الذي أعطتني إياه نرجس؟!

لم يكن عمري وقتَها قد تجاوز العاشرةَ لا أعرف لماذا أصرت جَدتي أن تعطيني العهد وتعلّمني الذبح، ولم أفهم مطلَقًا إصرارها على أن تأخذ دَم الفرخة التي جعلتني أذبحها بيدي، وتضعه على رأسي وعلى أجزاء جسدي الداخلية، وقتَها طلبتْ مِني ألا أستحِم لمدة ثلاثَ ليالٍ!

إنها ذكريات شديدة البعد نسيتُها لسنواتٍ طويلة، ربما تعاملتُ معها على أنها جهل مِن جَدتي، أتذكرها الآن بوضوح، ولكن أي عهد قطعته على نفسي؟ ومع مَن؟ ولماذا شطرتْ جَدتي الدجاجةَ إلى نِصفيْن وجعلتني أمُر مِن بينِهما؟

نَعَم كان هناك أيضًا ما أسمته بالقَسَم، وطلبتْ مِني أن أُرَدده وراءها ثلاثَ مرات، لا أتذكره جيدًا، ولكني أتذكر أنها قالت لي إن أي مهنةٍ لها قَسَم مثل قَسَم الأطباء وقَسَم القُضَاة. ولكن ما هي المِهنَة؟ ماتت جَدتي ولم أفهم منها أشياءَ كثيرة،»بالرغم مِن حبي الشديد لجَدتي، لم أكن أصدق الكثير مما تقوله، بالطبع لم أجرؤ على أن أصارحها يومًا أو أصارح أي شخص آخر برأيي في ما يحدث، كنت أعتقد أن ما فيه جدتي يتراوح ما بين الهلوسة والنصب واستغلال الآخرين».

لا أنسى مطلقًا عندما ادَّعت جَدتي أن صوتًا ما قام بوشوشتِها في

fb/mashro3pdf

أُذُنِها، قائلا لا تذهبي إلى الطبيب، أنتِ طبيبة ماهرة، وإذا قُمتِ بزيارة الطبيب فإنكِ سوف تفقدين قدراتك على علاج الآخرين وعلاج نفسك أيضًا، كما حكت أنها لم تُعِر لهذا الصوت اهتمامًا، وإذا بها تنزلق من على السلّم وتُكسَر رِجلُها، وبالرغم من أنني سمعت صراخَ جَدتي مِن كسْر رِجلِها ورأيتها بعيني وهي تتألم بشدة، فإن هذا بالنسبة لي لا يعني مطلقًا أنه حقًا كان هناك صوتٌ ما، وأن جَدتي التي لم تتمكن يومًا ما من القراءة كانت طبيبة ماهرة.

كنت أسمعها كثيرًا وهي تعطي وصفاتٍ علاجية للجيران، وصفات مثيرة للضحك حتى أمّ زغلول الباشا بكل جبروتها تقف ذليلة أمام جَدتي، عندما تَعثَّر زغلول ابنها الأكبر في ليلة الدخلة، والغريب أنهم كانوا يُشفَون كما يدّعون ويأتون لزيارة جَدتي وشكرِها محمّلين بأكياس اللحم والأُرز وعلب السجائر، كما جاءت أُم زغلول محمّلة بكل ما يتخيله عقل مِن هدايا. أمّا أنا فقدْ ترسَّبت بداخلي قناعة أن زغلول ليس مكتمِل الرجولة، ما جعلني أسمح له فيما بعد أن يعبث بجسدي تحت بئر السلم مقابل قليلٍ من القروش أشتري بها سجائر، فلا خوف مِن أنه سيذهب إلى أبعد من ذلك».

هل حقا كانت نرجس قادرة على علاج المرضي؟ وهل أنا من ورثت نرجس في كل شيء؟.

****

fb/mashro3pdf

- 7 -

لم تكُن حالة الضيق التي اعترت مصطفى الرزيقي غيرَ مبررة، ما حدثَ بالنسبة له كارثة بكُل المقاييس، كارثة لم يكُن يتوقعها ولم تكُن أبدًا في حُسبانِه.

الأمور تسير على ما يرام، النجاحات تتوالى يترقى في مناصبه، حقق أحلامه في أن يصبح رجل دوله مهمًّا. في بداية حياتِه الزوجية كان يؤرقه قليلا افتقاد مَا تَصوَّرَه عن فكرة الزوجة، فقدْ كانت سميرة هانم صارمة شديدة الطبع، تعاملت مع الزواج على أنه امتداد لمشروع عائلي كبير، وهي طبعًا المدير التنفيذي وعضو مجلس الإدارة، المسؤول عن المحافَظة على نجاحات العائلة السابقة وتطويرها وتوريثها، وعلى اسم العائلة، ومركز العائلة، ووضع العائلة، والمنصِب الذي يجب على زوجها الوصول إليه، كيف يتم توريث كل ذلك لأبنائها؟ هذه هي المَحاوِر الرئيسية في حياة سميرة هانم، وأي شيء يخدم هذه المحاور مقبول، وأي شيء يعرقل أو يعطل أو يمنع طبعًا مرفوض بشدة، حتى لو كان شيئًا بسيطًا ويمكن تجاوزه. استعدت لكل شيء، مَثَلا لم تسمح سميرة هانم لأي مِن سيدات القرية اللاتي كُن يأتين إلى القاهرة لقضاء بعض الاحتياجات -وبالرغم من قيام ثورة يوليو- أن يَدخُلن إلى الفيلا ويجلسن في الصالونات الفرنسية، فقامت ببناء حجرة

fb/mashro3pdf

كبيرة في الحديقة أشبَه بالمَنَدَرة، لا يوجد بها كرَاسي، وهي مفروشة بالحُصر، وبحذاء الحائط توجد المصطبة، وفي المركز نجد مصطبة عالية تشبِه مصطبة المُقرئ مفروشة بسجادة حرير حمراءَ تكفي لفردٍ بالكاد، صممت لها، بجوار هذه المصطبة الرئيسية نجِد على اليمين واليسار مصطبتيْن أقل ارتفاعًا مِن المصطبة الرئيسية، وأعلى قليلا مِن المصاطب الأخرى، فإذا جاءت سيدات مِن القرية لم تسمح لهن بأن يجلسْن بجوارها، تشير إليهن بمكان جلوسهن حسب تقديرها لمكانتهن الاجتماعية، فهناك مَن تجلس على الحُصر وأخريات على المصاطب العادية، أمّا مَن تُكِن لهن بعض التقدير سواءٌ كُنَّ زوجاتٍ أو بناتٍ، هؤلاء الرجال الذين استطاعوا بعد الثورة أن يمتلكوا بعض النفوذ مِن خلال الاتحاد الاشتراكي، أو ممن حصلوا على مراكزَ علميةٍ مرموقة، فكانت تشير لهن بالجلوس على المصطبتيْن المجاورتين لها، د. مصطفى شَعر قليلا بالاستياء في بداية زواجه مِن هذه الصرامة، لكن سميرة أقنعته بأن بنات الأصول يفهمْن الزواج بطريقة تناسب بنات الأصول، أمّا تصوراته هو فهي ليست إلا سلوكيات الناس «الهومَّل» هذا اللفظ الذي ورثته عن جَدتها ذات الأصول الصعيدية، لكنه ما لبث أنِ اعتاد هذه الرؤية، وكانت نجاحاته الدائمة وترقياته في مناصبَ كثيرة، تؤكد له دائمًا صواب زوجته التي كانت دائمًا الدافع والمخطط له، وأصبح مع الوقت تُرضيهِ زوجة بنات الأصول. ما فعلته ناهد كان بالنسبة لهما شيئًا خارج حدود استيعابهما للأشياء، كان شيئًا

fb/mashro3pdf

خارج التوقعات والحسابات، كل شيء ممكن لأبٍ أو أم أن يتوقعاه مِن ابنهما أو ابنتهما، كل شيء كان في الحسبان، إلا أن يكتشِف د. مصطفى وسميرة هانم أن ناهد قررت السفرَ إلى لبنان، لمساندة الشعب الفلسطيني ودعمِه ضد العدو الصهيوني.

بعد أن تخلصت ناهد مِن الجنين بمساعدة انشراح، التي استدعت لها الداية في منزلها، قضت ناهد يومًا كاملا مستلقية على كَنَبة انشراح، في الصالة الواقعة بين غرفة حَسن وغرفة الأولاد، وتسيطر عليها فكرة واحدة: كيف تقاوم تلك الدولةَ التي اغتصبتها وقتلتْ جنينها؟ سؤال واحد سيطر عليها، لو كان لعدنان أسرة ووطن وهوية، ألَمْ يكُن ليقدر ساعتَها على أن يتزوجها؟ وقتَها لن توجد مشكلة في أن يتقدم لخِطبتها، ووقتَها لن تمانع أُمها. كرهت ناهد إسرائيلَ وتمسكت بفكرة الدفاع عن القضية الفلسطينية، بالرغم من أنها كانت سعيدة جدًا بالسلام منذ سنوات قليلة، مثل أبيها وأُمها وكل أسرتها، ومع الوقت تماسكت ناهد واستطاعت أن تعود إلى حالةٍ نفسيه شِبه طبيعية، كان طريقها لهذا التعافي انضمامها إلى مجموعات للدفاع عن الشعب الفلسطيني، لكن مصطفى الرزيقي وسميرة هانم لم يعودا إلى حالتهما الطبيعية، فابنتهما الوحيدة خلعت جِلدهما وتفكر وتقرر وتتصرف كأنها لا تنتمي إليهما، ما حدث كارثة تشبِه بالنسبة لهما شروقَ الشمس مِن الغرب، ومِن أين أتى هذا الخلل حتى تنحرف بأفكارها؟ ربما لو كانا علِمَا بأمر علاقتها وجنينها لكان هذا أخفَّ وطأةً لهما، إنها كأي فتاة مُعرَّضة

fb/mashro3pdf

لأن يغويها شاب، ستكون أيضا كارثة لكنها كارثة منطقية.

استطاع الرزيقي احتواءها بسرعةٍ وذكاء، وبالرغم من المناقشة الحادة التي اتهمَته فيها ناهد بخيانة الدم العربي، وأنه ليس رجُلَ عدلٍ وقانون كما يدّعي، وأنها للمرة الأولى تشعر بالخِزي لأنها ابنتُه، وبالرغم من قسوة وقْع ما قالته على أبٍ مِن ابنته الوحيدة، فإنه تجاوَز هذا الألم حتى لو ظاهريًا، وتعامَل معها بمنطق زوجته سميرة، حتى يستطيع أن يعيدها إلى السياق العائلي، أما طريقه إلى ذلك فكان مجدي الليموني.

****

مجدي الليموني أحد أقارب مصطفي الرزيقي مِن بعيد، درَس في قرية في محافظة المنيا، كانت بداية دراسته في كُتّاب القرية ثم التحق بالمدارس الأزهرية، وعندما أنهى تعليمَه الثانوي التحق بكلية الزراعة جامعة الأزهر، كان يتردد على أسرة د.الرزيقي بحُكم القرابة البعيدة، بدأ يتقرب من د. مصطفى يَعرِض عليه مساعدته في أي شيء، حتى لو كان حمْل حقيبتِه، يكرر دائمًا أنه قريب للدكتور مصطفى ولكن مِن الفرع الفقير، وإنْ جاز التعبير من الفرع المعدَم في العائلة، يتباهى بأنه عِصامي، تدور كل أحاديثه عن تفوقِه الدراسي، بالرغم من أنه كان يستذكر دروسه على ضوء لمبة جاز، وكيف كان طعامهم الوحيد السريس والجبنة، وكيف عمل في القاهرة مبيِّض مَحارة في أثناء دراسته بالجامعة

fb/mashro3pdf

حتى يستطيع الإنفاق على نفسه، كانت محاولات تَقَرُّبِه مِن ناهد مستميتة، لا تقِل عن محاولات تقربِه مِن أبيها الذي أدرك هذا بخبرته الكبيرة في الحياة، ولكنه اعتبر ظهور مجدي في حياة ناهد فرصة يستعيد بها ابنته، خاصة أن مجدي استطاع أن يبهرها بنموذج الرجُل العِصامي الفارس، كان يحفظ السَّيَر ويجيد القَص ويلقِي أشعار الزير سالم وسيف بن ذي يزن، لا تعرف انشراح كيف وقعت ناهد في غرامِه، آمنت به وصدقته، أحَبته ودافعت عن هذا الحب أمام سميرة هانم، التي اعتبرت أن دخول مجدي الليمُوني حياتَهم هو أكبر كارثة حلت بأسرة الرزيقي.

****

ظل الموضوع الشائك يشغَل تفكير انشراح، كيف ستمُر ليلة الدخلة؟ وماذا سيكون رد فعل مَجدي، هذا الشاب الصعيدي خريج الكُتَاب والأزهر، على أن ناهد ليست عذراء؟ كانت تشعر بمسؤوليةٍ غريبة تجاه ناهد، بذلت جهدًا ليس بالقليل وبدأت تبحث في وصفات نرجس عن أي طريقة تُخفي بها ناهد ما حدث، وجدت عدة طُرق منها البالونة «الأمعاء المملوءة بالدم»، جهزت الوصفة واستدعت ناهد، ولكن الأخيرة أعلنت أنها ترفض أن تخدع مجدي، وأنها قررت أن تصارحه بكل شيء، حاولت انشراح بشتَى الطرُق أن تثنيَها عن عزمها:

- يا ناهد انتي بتدمري حياتك، حتى لو قال لك انه مسامحك

fb/mashro3pdf

ووافق يتمم الجواز، انتي هتفضلي عينك مكسورة قدّامه وهيفضل يشك فيكي، انتي كده بتسممي حياتكم وبتعذّبيه، حرام عليكي نفسك وحرام عليكي الراجل، يا حبيبتي الصراحة مش دايما هي الحل، وبعدين ربنا عارف قد إيه انتي إنسانه نقية، ربنا بيغفر ويسامح ويعذر، لكن البشر لأ.

لم تستجِب ناهد لكل ما قالته انشراح، ورفضت بشدة حتى أن تسمع الوصفة، كان إصرارها على أن تصارح مجدي أقوى مِن أي محاولات، وقالت:

إذا رفض أن يتمم الزواج فهذا أفضل لي، أمّا إذا وافق فسأبدأ حياتي بدون غش، حياة أساسها الحُب والصدق.

نظرت لها انشراح بحزن قائلة في سِرها: وماذا يفعل الحب إذا دخل الشك؟

حاولت انشراح أن تساعدها، ولكن بطريقه أخرى، تذكرت وصفه نرجس التي علمتها لهم، لاستخدامها في المواجهات الصعبة، التي تجعل الطرف الثاني عجينة لينة طيعة في يدها، يوافق علي كل ما تريد، فقالت لناهد:

- لو انتي مصممة تصارحيه قبل ما تفتحي الكلام، بُصي له في عينيه، وقولي في سِرك سبع مرات قبل ما تتكلمي «بالصلاة على النبي لقيتك انت النار وأنا الميّة طفيتك» وبعدها افتحي الموضوع.

نظرت لها ناهد برفق مبتسمة قائلة:

- حاضر يا انشراح.

fb/mashro3pdf

كان لسان حال انشراح يقول -مثلها مثل كل الحاضرين في فرح ناهد مصطفى الرزيقي- كيف تزوجت ناهد بهذا الصعيدي؟ بالرغم من أنها كانت تعلم كيف، فعريسها الذي تأبطت ذراعَه على سُلم فيلتها في المعادي، مرتديةً فستانها الأبيض كأميرةٍ مِن أميرات الأساطير، لم يكُن يشبِهها في أي شيء، ربما لم يكُن قبيحًا بالمعنى المفهوم، لكنه صعيدي قروي تبدو على ملامح وجهه سذاجةٌ وقَسوة، وعلى بَشرة يديه خشونة لا تتلاءم مع نعومة ورِقّة اليد المُمسِك بها، شَعره مصفف بطريقة حاول مصفف الشَّعر أن تكون وفقًا لأحدث صيحات الموضة، ولكنها جعلت مِن هذا المجدي شيئًا أقرب إلى تمثال سيئ النسب، كانت اللوحة جميعها مربكة، وعدم التناغم فيها يربِك العين والإحساس.

كانت انشراح تشعر أن ناهد لن تسعد في هذه الزيجة، حاولت كثيرًا إقناعها بالعدول عن هذا القرار مكررة جملة

«يا ناهد، مجدي ده مش لونك»

لكن ناهد أصرت على الزواج بمجدي، رغم رفض سميرة هانم والدتِها، وحيادية د.الرزيقي الظاهرية.

****

في شقة سيد الجديدة في المهندسين، التي لا تقِل مساحتها عن 320 مترا، انتقلت ليلى للسكن، بعد إصرار سيد على ترك دار السلام، لأن مكانته الاجتماعية الجديدة تحتِّم عليه أن يسكن في منطقة

fb/mashro3pdf

راقية، كما أنه يخاف على طارق، وهو في سِن الشباب، فقدْ علِم سيد أن طارق بدأ في تدخين البانجو بالرغم من أنه كان يعطيه ما يكفيه ليشتري الحشيش، كان مِن المفروض على انشراح أن تذهب لمساعدة ليلى في نقل الموبيليا وتنظيف الشقة، كنوع مِن الواجب الأسَري، توقعت انشراح بالتأكيد كيف ستحاول ليلى عمل الممكن كله من أحجبةٍ وبخور لتحمي نفسها مِن زيارة انشراح التي تصِر ليلى على أنها ورثت كل عفاريت نرجس وبالرغم من هذا لا تكف عن طلبها إذا استدعى الأمر، كَم تخاف اللومَ إذا امتنعت عن الذهاب، وإذا امتنعت كيف ستستخدم ليلى هذا للإيقاع بينها وبين أخيها؟ تعلم أن ليلى سوف تستغلها حتمًا في التنظيف ونقل الأثاث، وتعلَم أنها ينتظرها يوم عملٍ شاق، كَم تكرَه إحساسها وهي تغسل الحوائط، وليلى تنظر لها بخبث قائلة:

- «تسلم إيديكي يا انشراح، كل حاجة زي الفل، بس اغسلي البقعة دي بالكلور أحسن لسه لونها أصفر، وماتنسيش الستاير، وقبل ما تمشي اعملي حَلة محشي لاخوكي، أصله مابيحبش ياكل غير من إيديكي».

دخلت انشراح الشقة الجديدة، استقبلتها ليلى كالمعتاد بالترحاب المصطَنع لمدة خمس دقائق، ثم بدأت تشير بيديها إلى الشقة والأثاث المكوّم في أحد الأركان قائلة:

- «واللهِ لولا المرض لكنت فرشتها لوحدي، بس اعمل ايه؟ أصل الصحة مش مساعدة، واخوكي زي ما انتي عارفة بخيل،

fb/mashro3pdf

مش عايز يجيب حد يساعدني»

تتعمد وهي تشير إلى كومة الموبيليا، أن تكشِف عن الغوايش الذهب التي وصل عددها إلى قرابة الثلاثين.

ولا تتوانَ ليلى عن مضايقة انشراح بتلميحات مباشرة أو غير مباشرة، وهي تأخذها في جولة في شقتها الجديدة.

- قبل ما نفرش عايزين نجيب الشيخ عبد الله يرقي المكان ويبخر.. أحسن عفاريت سِتّك ورايا ورايا، طفشتني من كل حتة، بيت المعادي وعمارة دار السلام، وربنا يستر وماتجيش ورايا هنا!

نعَم هذه لعبتها المفضّلة لتحصل على ما تريد ولتقول ما تريد، أحيانًا كانت انشراح تتساءل: هل فعلا ليلى تصدق أن عفاريت نرجس التي ورثتها انشراح كما تردد، تؤذيهم دائمًا، أم أنها تستغل هذه القصة عن عمد حتى تحصل على ما تريد؟ وفي أحيانٍ كثيرة كانت أيضًا تتساءل: هل سيد فعلا يصدق هذه القصص التي تبدو طفولية وساذجة أحيانًا؟ أم أنه ورثَ عن نرجس الحكمة وعن حياة الصبر وأصبح يستجيب فقط حتى تسير الحياة بدون مشكلات؟

هل يُعقَل أن عفاريت نرجس أصدرت قراراتٍ بوجوب اشتراء رُبع كيلو ذهب لليلى كل عام؟ وحددت مواعيد المَصايف ومجاملات الأقارب واشتراء الملابس؟ هل يُعقَل أن سيد يصدق أنه إذا لم ينفذ التعليمات ستبور تجارته ويقِل رزقه؟

****

fb/mashro3pdf

كانت شقة المهندسين الجديدة بالنسبة لليلى، غُربة تشبه غُربة فيلا المعادي، خاصةً بعد أن تزوجت هدى وأصبح طارق شابًا يقضي معظم وقته مع شلة دار السلام، متخذًا مِن شقة دار السلام مكانًا للتجمع مع أصدقائه لتدخين الحشيش والبانجو، أمّا شقة العجَمي فهي مكان للمُتَع الأخرى، ونادرًا ما كان يعود للمنزل مبكرًا، لم تتحمل ليلى هذه الغربة المفاجئة في المهندسين، وأصبحت تقضي معظم وقتها في باب البحر، حيث مولدها بحَي باب الشعرية، كانت ليلى مِن مُريدي الشيخ الطشطوشي، وتدّعي أن جَدها كان مِن سالكي الطريق وأهل الخُطوة، وأنه كان يقيم حلقاتِ الذِكْر كل ثلاثاء في بيته، حيث هتاف الذاكرين الهائمين، والليالي الربانية، ورائحة المسك والبخور والصندل وماء الورد، والتسبيح في فضاء وردي معطر على إيقاع ألفاظ الجَلالة «الله... الحي... القيوم... الواحد... الأحد... القهار... اللطيف...» وهي الأجواء التي جعلتها مدوِامة على الحَضرة في باب الشعرية، مرة في الأسبوع، وبما أن ليلى مِن مُريدي الشيخ الطشطوشي، فقدْ كانت متعتها في زيارة الطشطوشي لا تعادِلها متعة، وذات مساء وبعد مقاطعةٍ طويلة فوجئت انشراح بليلى تطلب منها زيارتَها في باب البحر.

كنت أعلم يقينًا أن هناك ما تريده، فهي لا تكسر المقاطعة إلا إذا احتاجت شيئًا عجزتْ عن تنفيذه بمفردها، وما أن وصلت إلى منزل أُمها في باب البحر حتى فاجأتني:

-ما تيجي معايا نزور الطشطوشي

fb/mashro3pdf

لم يكن عندي مانع بالطبع، وهناك قالت لي ليلى:

- إيه رأيك أجوّز طارق؟

فاجأتني، فطارق ما يزال صغيرًا نسبيًا:

- طارق؟ ده لسه ماكملِش اتنين وعشرين سنة، وكمان ماكملش تعليمه!

- اتنين وعشرين سنة راجِل يا انشراح، وهو كده كده مش فالح في التعليم، شهادة إيه؟ هو هيشتغل مع ابوه في الورَش والمصانع والمعرض، وبصراحة أنا لقيت له عروسة، حِتة بِت قمر، وجمالها يحل من على حبل المشنقة، وأهم من ده كله ببركة الطشطوشي.

- إيه؟ عروسة ببركة الطشطوشي؟ أول مرة أسمع حاجة زي دي، يعني إيه؟

- أمها بتخدم هنا في الجامع، وولدتها هنا، جالها الطلق وهي في الشغل، خدت جنب وولّدت نفسها، أمها بتحكيلي وبتقول لي ماعرفش ازاي ولدتها، ولا وجع ولا ألم، ده حتى بعد الولادة أنا اللي ربطت لنفسي، وحتى إسمها، الشيخ الطشطوشي هو اللي اختاره، حسيت بحاجة بتقول لي بنتك منال.

كانت المهمة التي استدعتني لها ليلى هذه المرة، هي إقناع طارق بالزواج بمنال، ولكن في الحقيقة لم أساهِم بأي دور، فبمجرد أن رآها طارق، وقع في غرامها ووقعت هي أيضًا في غرامه.

تفنَّنت ليلى في التخطيط لليلة الفرح، أضاءت بوابات الأنوار ميدانَ باب الشعرية، وامتدت حتى باب البحر ثلاثَ ليالٍ، نُصبَت الفِراشة

fb/mashro3pdf

فكانت مكبّرات الصوت تدق بالأغاني بينما أقاموا منصة رئيسية سمحت لشباب المنطقة بالرقص، وقام الحاج سيد بذبح الذبائح وتوزيعها في باب الشعرية والسيدة زينب، حيث ورشته الأولى التي اعتبرها ورشة حظِه وتمسَّكَ بها حتى وفاته، وفي الدرب الأحمر والكلحة كانت أعداد الذبائح أسطورةً يتحاكى بها الناس، وبالغوا حتى قالوا إنه ذبَح ألف عِجل، أقام أيضًا الحاج سيد فراشة للطبّاخين تطعِم أهالي باب الشعرية ثلاثةَ أيام، أمّا ليلة الفرح نفسها فكانت حقًا أسطورة أخرى لسُكان باب الشعرية والطشطوشي، رأت أعينهم ما لم ترَه مِن قبل مِن أنواع السيارات ومشاهير التجار والمعلمين، وبعض نجوم الفن الذين حضروا لمجاملة الحاج سيد عويضة، الذي أصبح في التسعينات مِن أهم صُنّاع الأثاث في مصر، ويصدره إلى ألمانيا، إضافة إلى معارِض السيارات ومعارِض الموبيليا. كان سرادق الفرح ممتدًا على مساحة نِصف فدان، البيرة والحشيش والمزات لم تنقطع مِن على الطاولات فقد أمرَ الحاج سيد أن يوزَّع هذا الواجب على الجميع ، وكما كانت الطاولات عامرةً بكُل أنواع الكِيف كانت خشبة المسرح عامرة بعدة دِسَت مِن الراقصات الشعبيات، يرقصن على غناء أشهر مُطربي مِصر ،يتناوبن الرقص دَستة تحل مكان الأخرى، وقد تم انتقاؤهن لكي يناسِبن جميع الأذواق، السمراء النحيفة، والبيضاء الممتلئة لهواة الشحوم والتي تنبئ ثناياها عن حالةٍ مِن الامتلاك، والقصيرة والطويلة، وذوات الصدور وأخريات من ذوات الأرادف، حتى ملابسهن تنوعت، فمنهن مَن ترتدي الجلابية

fb/mashro3pdf

البلدي المثيرة، ومِنهن مَن ترتدي بَدلة الرقص التقليدية، ومِنهن مَن ترتدي طقم الملابس الداخلي مُغطىً بجلباب لاصق مِن الشبيكة، ومِنهن مَن ترتدي الجيب القصيرة كبنات المَدارس، ومِنهن ذات الشَّعر القصير، وأخرى شَعرها طويل كشَعر الخيل، وذوات الشعر الأسود والشقراوات، حتى رقصاتهن كانت كفريق عمل محترِف، مِنهن مَن تجيد الإثارة بشفتيها وعينيها، وأخرى بصدرِها، وأخرى بأردافها، وأُخرى برفع الجلباب حتى تُظهِر ما بين ساقيها، أمّا وجوهن فكانت أيضًا مختلفة، فهذه صاحبة الوجه الغَجري ذات الملامح الأنثوية الشرسة والتي تدخلك في تحدٍ، وأخرى ذات وجهٍ يدل على خبرة متقَنة تؤكد لك أنها كفيلة بكُل شيء، وأخرى ذات وجهٍ بريء كطفلةٍ تخطفك ببراءتها وتدفعك لاحتوائها، ورابعة تنبئ عن وقاحةٍ لامتناهية لمَن سئِموا الحياةَ المحترَمة. لم يكتفِ الحاج سيد بالمنصة الرئيسية، فكانت هناك أيضًا عربات الحَظ وراقصات المقطورة اللاتي اشتهرن بفجورِهن المطلَق، واللائي جُهزْنَ خصيصًا لملوك النعمة البيضاء.

أمّا النساء والفتيات فقدْ اعتلين خشبة المسرح في منافسة حامية مع الراقصات، خسرت فيها الراقصات بكل احترافهن أمام الأنوثة العفوية الطازجة لفتيات باب الشعرية.

ليلة حَسدت فيها كلُّ بنات باب الشعرية منال ابنةَ خادمة الطشطوشي على حظها الوافر، خاصةً بعد أن قامت ليلى بتقديم خمسة كيلوجرامات مِن المصوغات الذهب لابنِها طارق كشبْكَة

fb/mashro3pdf

ليهديها لعروسِه أمام المعازيم، وقد استغرق تلبيس الشبْكَة حوالَي نِصف ساعة!

كانت ليلة وافرة اختلط فيها الهواء بروائح المتعة والشبَق، واختفى فيها كل شيء تحت الشبورة البيضاء.

انتهى الفرح واختفت ليلى كعادتها، وبدأت المقاطَعة مرة أخرى، حتى التليفون لم تعد ترد عليه.

أحداث كثيرة تأرجحت فيها علاقة انشراح وسيد، أو بالأحرى انشراح وليلى، منذ زواجها بسيد ما بين الرضا والجفاء والقُرب والبعد، حاولت فيها انشراح أحيانًا أن تخلق ما يمكن أن نسمّيه باللفظ الشائع في هذه الأيام «التطبيع» وكما كتبت في مذكراتها: «حاولتُ أن أُحِب ليلى مِن أجل الإبقاء على سيد، كَم هو لعين أن تتحمل غريبًا يحول بينك وبين شريكك في الرَحِم»!

ما هو المنطق الذي يجعل ليلى أقربَ إلى سيد مِنّي؟ وما هو المنطق الذي يجعل لليلى كل الحق في أخي؟ كلمة واحدة لو قالها سيد لأصبحت ليلى غريبةً، أمّا أنا فكلمات العالَم لن تمحينَي مِن حياته. كنت أحيانًا أحاول أن أكون صريحة مع نفسي، وأعترف بأن كُرهِي لها هو غَيْرة مِن تلك المرأة التي انتزعت مِني أول رجُلٍ في حياتي، فمجرد ظهورِها في منزلنا لم أَعُد أنام بجواره كما تعودتُ، لم يعُد يعود من عملِه ليحكي معي، ولم يعُد يُقبّلني أنا، حتى هداياه الصغيرة أصبحت لليلى، حاولت أن أقنِع نفسي بأنها لم تكُن شريرة كما تصورتُ ولكن لم أستطع، في الحقيقة هي مَن زرعت كل هذه

fb/mashro3pdf

المشاعر داخلي، هي مَن قررت أن تبدأ بالاستحواذ عليه، كانت تتعمد ألا تعطي لي فرصةَ أن أتحدث معه على انفراد، كانت كثيرةَ الشكوى مِني له، فلم أعُد أرى منه غير القسوة والتوبيخ، كانت تعاتِبه كثيراً إذا ما فكَّر في أن يشتري أي شيء لي، بحُجة أنهم في احتياج لأي قِرش، هل كان سيد ساذجًا لهذه الدرجة فلم يستطِع أن يوازن بين حبِّه لي كأختِه وبين استحواذ زوجتِه؟ نَعَم خذَلَني سيد وكان أول الخذلان الذي لم ينتهِ، خسرت معركتي من أجل أن أحتفِظ بجزء مِن اهتمام أخي، ولم يكُن أمامي إلا طريقٌ واحِد حتى أحتفظ به في حياتي، ألا وهو الرضوخ لليلى ومجاملتها وتحمُّلها وتنفيذ طلباتها، أول إحساس بالقهر كان أمام هذه السيدة، القهر الذي لازمَني سنواتٍ طويلة وتزداد وطأته كلما حاولت التقربَ مِن سيد حتى في أبسط الأشياء، وكان رده دائمًا «زي ما ليلى تقول»! أحيانًا كنت أشعر برفضي لكل هذا القهر وأُقرر أن سيد غير مهمٍ بالنسبة لي، وأُقرر أن أقاطعهما فلا أجد أي صدىً غير سعادة ليلى في تخلُّصِها مِن غريمتها الأولى في قلب سيد، استطعت أن أقاطعهما أعوامًا تتخللها زيارات رسمية معدودة، ولكن حتى المقاطَعة لم تُرِح قلبي ولم أنْسَ أن سيد خذَلَني، حتى عندما ماتت حياة وبعد أن دفنّاها عند المقابر وأُقفِل عليها اللحد، وقتَها انهَزَنَا أنا وهو في البكاء وارتميتُ في حضنه قائلة:

- أمك ماتت يا سيد

شعرتُ بحنانه الذي افتقدتُه سنواتٍ، أخذني في حضنه، كان هو أيضًا يبكي بحرقة:

fb/mashro3pdf

- أمنا ماتت يا انشراح، حياة ماتت، ماتخافيش يا انشراح أنا جنبك، إحنا مالناش غير بعض.

نظرتُ إليه وقلبي يرقص مِن الفرحة أخيرًا سيد شعَرَ ببُعدي واحتياجِه لوجودي في حياته

لم أكَد أستشعِر طعمَ الفرحة حتى أكمل جملتَه:

- ماتبعديش كده خليكي قريبة مني بس مِن خلال ليلى

وقعت الجُملة على مسامعي كصدمةٍ أنستني موت أمي، تلجلجتُ وسألته بمرارة:

- إزاي يعني أقرب منك من خلال ليلى؟

فكان رده في منتهى البرود:

- يعني حاولي تحسّني علاقتك بيها، دي بتحبّك وبتعتبرك اختها الصغيرة

وقتَها أدركت أن سيد أخي الذي أحببته لم يعُد له وجود، حتى في أشد اللحظات حميمية وخصوصية، حتى وأنا في حضنه وجدتُ ليلى تقِف بيننا..

لم أعُد أشعر بالقهر من ليلى ولا بالغَيْرة ولا بالمَرارة، لم يعُد هناك أصلا سبب لكل هذه المشاعر، فلم يعد هناك سيد أصبحت ليلى بالنسبة لي هي وأسرتها مجرد علاقة أُسَرية عابرة، نسيتُ سيد أو بالأحرى تناسيته، ولكن مع الوقت بدأ طارق وهدى في التقرب لي، فأنا عمَّتُهما التي يحبانِ الكلام معها، فأنا التي تجهز لهما الفطائر، ويحبان زيارتي فأقرأ لهما الفنجان، ويستشيرانني في مسائلهما

fb/mashro3pdf

العاطفية، حتى استشعرت ليلى ارتباطهما بي، وأخذت في تحذيرهما وتخويفهما مِني، فبدأتْ معاملتهما تتغير معي تدريجيًا حتى وإن لم يُظهِرا هذا صراحة في بادئ الأمر، ولم يلبثا أن أخذا يمتنعان عن الأكل والشراب عندي، لخوفهما مِن أنني ربما أكون وضعت لهما أي وصفة سحرية، ثم مع الوقت بدآ يُقللان مِن زيارتي، ولكن هذا لم يمنع مطلقًا ليلى أن تحسّن علاقتها بي إذا احتاجت وجودي في شيء مهم مِن وجهة نظرها، وتَعَسّر عليها تحقيقه بمفردها، فمَثَلا عندما قررت هدى ابنتها أن تتزوج أحد أبناء الجيران، ولم تستطِع أن تقنِعها برفضه، بدأت في الاتصال بي ودعوتي، مُمليَةً عليّ بكل وضوح ما تريد مِني أن أقوله لهدى، وبما أن الجميع يعتقد في قدراتي الخاصة، سيكون مِن السهل أن أقول لهدى إنني رأيت هذا الشاب في المنام وأصِفه لها وأبلغها مَثلا أن المنام حذّرَني مِن ارتباطها به، أو أستدرجها في قراءة الفنجان وأبدأ في تلقينها كل ما تريده ليلى، حدثَ هذا كثيرًا، أحيانًا أستجيب لها ومرات أكثر أتهرب من تنفيذ ما تريد بطريقتي.

وها هي الآن تمارس ما تعودت عليه، فبعد أن أتمت زيجة طارق اختفت، ولا أحد يدري أي سبب ستفتعل هذه المرة للمقاطعة.

****

fb/mashro3pdf

- 8 -

لم تكُن هناك آلام في العالَم تساوي آلامه في هذه اللحظة، لقد وجد الحب الذي بحث عنه طيلة حياته، ولكن ما كل هذا العذاب؟ شَعر للحظة أن الحب هو أكبر وأقوى شيء في العالَم ولا يوجد ما هو أقوى منه، حتى تلك اللحظة التي استدعاه فيها أبُ اعترافِه وطلب منه أن يتخلى عن حبّه، اكتشَف أنه لا يقدر إلا أن يقول نَعم.

وقف أمام المرآة التي طالما تخايلَ أمامها، وللمرة الأولى يشعر أنه شديد الضآلة، لم يشفع له هذا الطول الفارع والجسد العريض، والحنجرة التي كانت ينطق منها صوتٌ جبلي يجعل كل مَن أمامَه صاغرًا. نَعم إنه ضعيف الآن ولا أحد سِواه يدرك مدى ضعفه، أخذ يتساءل: هل هو ضعيف أمام الأب أم أمام الرب أم أمام الحب؟ كل هذا لا يهم، المهم أنه ضعيف.

لا، لا بد أن يعرف أين نقطة ضعفه، لا بد أن يقضي عليها، لم يعتد الضعف ولن يقبله، ولكن هل بإمكانه أن يثور؟ على ماذا؟ على الحب؟ ولماذا يثور على الشيء الوحيد الذي أسعد حياته؟ على مَن إذَن يثور؟ على الرب؟ مستحيل! وقد كَبِر على عبادة الرب ويعيش بمباركة الرب.

نَعَم إنه الأب هو مَن يستطيع أن يثور عليه، ولكن كيف يثور

fb/mashro3pdf

على مَن يطبق تعاليم الرب؟

لن يعيش بهذا الألم، لا بُد مِن حل، لم تهزمه الأشياء ولا الأعراف، كان دائمًا أقوى، ولكن كان هذا الإحساس والثقة أن الرب معه هو سبب قوته، ماذا يفعل الآن وقد تخلّى عن الرب؟ مِن أين يأتي بهذه القوة التي عاش بها عمره كله وكانت سندًا له؟ نَعَم إنه الحب... الحب هو القوة الجديدة التي سيعيش بها، ولكن هل تستطيع قوة الحب أن تعوض قوة الايمان؟ كاد رأسه ينفجر، لم يملك إلا أن يبكي بحرقة كالأطفال الصغار أمام أيقونة العذراء، التي وضعها على الحائط أمام مكتبه حتى يتبارك بها، تاه مِن شدة الألم، مُلئت عيناه غشاوة عجيبة، رأى نفسه كأنه يَخرج مِن جسده يركع أمام الأيقونة، بينما هو ظَل واقفًا ينظر إليهما بتساؤل غريب وتشكُّك، نظر مِن أعلى إلى هذا الراكع، كَرِه خنوعَه، قرر التخلص منه، أحكَم قبضته وقرر أن يهوي بها على رأس هذا الراكع تحته، لا، بل الأفضل أن يأتي بسيف يهوي به على رقبتِه ليُفصَل رأسُه عن جسده فتقع على الأرض، وتتكور لتجري صارخَة مِن خارج الغرفة، فتعبُر الطرقاتِ وتذهب إلى غرفة أبِ اعترافه بالكنيسة مليئةً بالدماء... هل تكفي قربانًا؟ حاولَ أن يجري إلى غرفة والدِه ليأخذ السيف، ولكنه اكتشف أنه وهذا الراكع لهُمَا نفس الساقين، وجذعانِ، جذع مُنْحَنٍ راكعٌ وجذع آخر يقف أمام العذراء متشكّكًا، كانت ساقاه مثبتتيْنِ، حاول أن يخلعهما بقوة لم تتحركا، كانت المسامير التي دُقت بهما أقوى من أن يستطيع تحريكهما سنتيمترًا واحدًا.

fb/mashro3pdf

نظر إلى العذراء، اختلطت ملامحها في عينه، فلم يعُد يرى هذا الوجه الذي اعتاد أن يراه منذ الطفولة، تغيرت ملامحها كثيرًا فإذا بها بشرتها سمراء، عيناها واسعتان سوداوان، رموشها طويلة، أنفها إفريقي، حتى شفتاها مكتنزتان محددتان يَعرف طعمهما، لقد ذاقهما مِن قبل.

استدار الراكع، رفع رأسه ونظر إليه نظرةَ ازدراءٍ، كيف تُسوِّل له نفسه أن يرى وجه غادة الحقيرة التي ستُخرِجه عن دينِه بدلا مِن وجه العذراء؟

لم يتحمل نظرة الاحتقار التي وجَّهَها له هذا الراكع، عنَّفَه قائلا:

«لم يبقَ إلا أنت أيها الراكع الذليل لتنظر لي هذه النظرة!»

انحنى بكل ما فيه من قوةٍ وعُنف يضرب هذا السرابَ الراكع حتى يقتله، كان الراكع يقاومه بشدة، اشتد بينهما الصراع، ضعفت مقاومته حتى وقع مغشيًا عليه.

كانت الفرصة مواتيةً لانشراح أن تتقرب مِن عادل باشا، كما كان يناديه الجميع، كان قرارًا صعبًا جدًا وهي في منتصف الأربعينات من عمرها، ولكن لم تكُن هناك حلول بديلة بعد أن انقطعت المعونات التي كان يعطيها سيد لانشراح، فقدْ افتعلت ليلى مشكلة كانت نتيجتها أن مُنِعت انشراح من دخول منزلها، وحرمت على سيد مساعدة جميع أخواته بمن فيهن انشراح، وحتى القليل الذي كانت تكتسِبه من خياطة الملابس لجيرانها، لم يعد قادرًا على المنافسة بعد فتح باب الاستيراد وانتشار الجاهز بالأسواق، وأصبحت مهنة الخياطة مهنة بائدة، كَبِر أولادها وأصبحت مصاريف التعليم فوق

fb/mashro3pdf

طاقتها، لكنها ستفعل أي شيء حتى يكملوا دراستهم.

لم تكُن تتخيل يومًا أن تمشي في هذا الشارع الضيق وتجلس وسط كومة مِن النساء في مكتب مخدماتي، تقف في طابور للعرض لتختارها سيدة أو رجُل كما كان يحدث في زمن النخاسة، لكن العمل أشرفُ مِن التسول، الشيء الوحيد الذي حرصت عليه ألا يعرف أحد مِن أهلها أو جيرانها أو أبنائها أو حتى زوجها، أنها الآن تعمل خادمةً في البيوت.

بدأت انشراح حياتها الجديدة خادمةً في منزل والدة عادل هيدرا، الأستاذة إيفون جرجس، شيء ما في هذا المنزل يجعلها تشعر بالارتياح، أم هو إحساس بحريتها وتخلّصها من عجرفة ليلى واحتياجها لها؟ هي الآن تعمل وتتقاضى أجرًا عن عملها غيرَ منتظرةٍ الصدَقة، ورثت انشراح عن أُمها كثيرًا من مبادئ التمريض، وبالرغم من أن عملها الأساسي كان تنظيف المنزل، فإن معرفتها ببعض مبادئ هذه المهنة جعلها تتقرب من السيدة إيفون وتحصل على احترامها.

عندما وقعَ عادل مغشيًا عليه لم تستطِع السيدة إيفون الجليسة أن تُسعِف ابنَها، قامت انشراح برعايته، أدركت بإحساسها أن ما حدث لعادل باشا لا يمكن إلا أن يكون حُبًا، فهذا الهذَيان وذاك الألم ودرجة الحرارة المرتفعة تلك لعدة أيام، ما هي إلا أعراض حُمّى حُبٍ أكيد، لقد تملّكتها الحُمّى نفسها عندما سمعت الزغاريد في الشارع وعرَفت أن إبراهيم تزوج، ولكن مَن هي تلك التي تهجُر مثل عادل باشا؟ إن وسامتَه تفوق وسامةَ نجوم السينما، طولُه، شَعرُه الناعم الكثيف، عيناه الواسعتان، صوته الجهوري القوي الذي يُشعِر أي امرأة مهما

fb/mashro3pdf

كانت بالأمان، نفوذه الذي يعطيه هيبةً فوق هيبتِه وقوةً فوق قوتِه وسُلطةً تجعل أي امرأة تشعر بأن العالَم بين يديها. جلست انشراح بجوار عادل تداويه بالكمّادات وهو يهذي: غادة... غادة.

تُطالِبها الأم بلهجة حاسمة أن ما يقوله في ساعات هذيانه وأن ما سمعته وما حدث، لا يَجِب أن يعرفه أحد.

يرن التليفون، تقوم الأم بإغلاق الخط، تكرر هذا عدة مرات، انشراح تقرر المجازفة، في إحدى المرات وبينما السيدة إيفون في غرفتها، ترد انشراح على التليفون وتبلّغ غادة أن عادل باشا عنده حُمّى، وأنها إذا أرادت أن تطمئن عليه فمِن الأفضل أن تعاود الاتصال بها على رقم تليفونها في الكلحة، وقد أملتها إياه.

وهكذا تحولت انشراح إلى رسول غرام بين عادل هيدرا، سليلِ أغنى وأعرق العائلات المسيحية في مصرَ، وحبيبتِه غادة.

لم ترفع عينيها عن التليفون في انتظار المكالمة، مشاعرها ممتلئة بالذكريات المُرة عن الحُب والانتظار.

هل ستأمَن لها غادة وتتصل بها؟

أشفقتْ على عادل باشا هيدرا، وعلى هذه الغادة المجهولة لها، والتي لا تعرف عنها شيئًا غير أنه يَهذي باسمِها.

أكيد غادة حبيبته، وربما لا!

أتراها أخطأتْ فيما فعلت؟

****

fb/mashro3pdf

ليس بعيدًا عن منزل انشراح في الكلحة، حيث أكوام الزبالة والبيوت التي تشبِه العشش تعلوها أطباق الدش، وتشكل حاجزًا بين المئات المكدسين فوق بعضهم البعض وبين السماء، في هذه الشقة المتواضعة في حَي المنيل تسكن غادة.

وافقت غادة على مقابلة انشراح بعد إلحاح منها، اقتربت انشراح من العمارة وكلها استغراب، هل يُعقَل أن تكون غادة التي أحبّها عادل باشا تسكن في هذه البناية المتواضعة؟

فتحت غادة البابَ قائلة بلهجة تكسوها اللامبالاة:

اتفضلي..

هكذا هُيّئ لها، غادة لا يتجاوز عمرها الثلاثين لكنّ تعبيراتِها وأداءها يعطيان إحساسا بأنها شخصية مسؤولة، شقة غادة نظيفة ولكن غير مرتّبة، لا توجد آثار للتراب على الطاولات، ولا توجد بُقَع على قماش الصالون، لكن ألوانه مختلفة عن المعتاد، الشقة صغيرة بشكل واضح، ما صعَّبَ على انشراح استيعاب كل اللوحات المعلقة على الحائط ... ماذا تعني؟ وإلامَ ترمز؟ وقعت عين انشراح على صورة أعادت بها الزمنَ إلى الوراء حوالي ثلاثين عامًا، لا تتذكر اسمَ هذا الشاب منسدل الشَّعر الذي يلبس طاقية، فقدْ كان الطلبة يحملون هذه الصورة في مظاهراتِهم في أواخر الستينات، عندما كانت تذهب مع إبراهيم إلى الجامعة، لقد خانتها الذاكرة، كانت تعرفه جيدا وتعرف اسمه، مرت أعوام كثيرة لم تعد تتذكر أي شيء مما كانت تعرفه أو تقرأه، لم تعد تقرأ إلا الفنجان.

fb/mashro3pdf

مـا علاقـة غـادة بإبراهيـم؟ لكنهـا شـعرت بالألفـة في هـذا المـكان، سـألتها غـادة:

- تحبي تشربي فنجان قهوة؟

أجابتِها انشراح:

- ماتتعبيش نفسك، تسمحي لي أساعدك وأعمل أنا القهوة؟

- لا شكرا، أنا باحب أخدم ضيوفي بنفسي

عـادت غـادة بالقهـوة سريعًـا، أشـعلت سـيجارة وعزمـت عـلى انـشراح بسـيجارة أخـرى بعـد أن سـألتها: بتدخنـي؟

لفَـتَ نظـر انـشراح أنهـا تدخـن نـوع السـجائر نفسـه الـذي تدخنـه هـي، السـجائر الشـعبية «كليوباتـرا».

ساد المكانَ جو مِن الصمت المتوتر

قررت غادة أن تنهي هذا الحرجَ قائلة:

- حابَة تتكلمي بخصوص عادل، إيه المطلوب؟

لم تفهـم انـشراح مشـاعر غـادة، هـل تورطـتْ وتسرعـت في طلب هذه المقابلـة؟ هـل يمكـن أن تكـون فهمـتْ خطـأ؟ وإذا كانـت قـد أسـاءت الفهـم لمـاذا اتصلـت بهـا غـادة؟ استجمعت قواهَـا واسـترجعت طريقـة تعاملهـا مـع الأشـياء عندمـا ترتبـك وتعجـز عـن الفهـم، «الصمـت»، كانـت عيناهـا تجوبـان بحثًـا عـن فنجان غـادة المقلـوب الذي كان قاسـمًا مشـتركًا في حيـاة كل النسـاء الـلاتي أعياهُـن الحُـب.. لكنهـا لم تجـده.

غيَّرت انشراح الحوار ناظرة إلى الصورة سائلةً غادة:

- أنـا ناسـية اسـم صاحـب الصورة دي، بـس كنت باشـوفها في مظاهرات

fb/mashro3pdf

الجامعة في أواخر الستينات، أكيد انتي كنتي لسه ماتولدتيش.

تغيرت لهجة غادة، سألت انشراح باستغراب:

- هو انتي كنتي في الجامعة في مظاهرات الطلبة سنة تمانية وستين؟ يبقى انتي أكيد كنتي زميلة بابا...

أجابتها انشراح:

- لا أنا ماكملتش تعليمي، بس أنا كنت باروح الجامعة زيارات مع أصحابي.

ارتبكت انشراح أيضًا، فقد أدركت أن والد غادة أكيد كان زميلا لإبراهيم، وأكيد يعرفه وربما كان مِن شِلة إبراهيم التي تعرفها هي، ودّت لو سألتها عن اسم أبيها، تمنّت لو استطاعت مقابلتَه لتسأله عن إبراهيم. نظرت إلى غادة قائلةً في سرها: «يعني غادة دي كان ممكن تبقي بنتي أنا وإبراهيم».

أعادت انشراح السؤال: اسمه إيه؟

أجابتها غادة: تشي جيفارا

استطردت غادة: إزي صحة عادل؟ هو بخير؟

أجابتها انشراح:

- الموضوع صعب قوي، هو بيمُر بحالة نفسية شديدة جدا، بيتصارع مع نفسه ويُتهيأ له انه شخصين، يفضل طول الليل في حالة صراع مستمر تنتهي انه يبكي بهيستريا.

سكتت لوهلةٍ ثم أكملت: على فكرة عادل باشا بيحبك بجد، وأنا حبيت اطمنك عليه.

fb/mashro3pdf

بطريقة مباغِتة سألت غادة انشراح: انتي ليه مهتمة بعادل؟

لم تُعطِها فرصة للإجابة واستكملت حديثَها قائلة:

- انشراح، انتي متعرفيش عن علاقتي بعادل كتير، علاقة معقدة جدا ولكن مشاعري ناحية عادل وبالرغم من كل التعقيدات علاقة قوية، وأنا اتمنى اني أساعده لحد ما تنتهي الأزمة اللي بيمّر بيها.

شعرت انشراح أنه ليس ثمةَ داعٍ لاستكمال الحوار، وأن المقابلة انتهت، لم تفهم الكثير مما جرى، كما لم تفهم شقة غادة وكل مفروشاتها وكل ديكوراتها البسيطة الغريبة العميقة، أكيد مثلها مثل صاحبتها، استوعبت انشراح لماذا عشِقَها عادل، فهي نموذج مختلف عن كل النساء التي قابلتْهُن في حياتها، حتى ملامحها لا تشبِه أحدًا، جَمالها أخّاذ دافئ غجري على استحياء، نموذج أصاب انشراح بكثير من الارتباك والرغبة في التقرب منه، ودّت انشراح أن تسألها عن أبيها، ودّت حتى لو أمكن لها لقاؤه، هل مِن الممكن أن يكون والد غادة ما يزال صديقًا لإبراهيم؟ وهل مِن الممكن أن ترى إبراهيم؟ تمنّت لو حكت لغادة عن إبراهيم، ولكن غادة كانت لطيفةً بِجَفاء، قريبة ولكنها تُشعِرك بآلاف الحواجز، ما أربك انشراح وجعلها لا تتوقع أن يكون هناك لقاءٌ ثانٍ.

خافت انشراح أن تحكي غادة لعادل عن مبادرتها وزيارتها لها، فقررت أن تصارحه هي بنفسها، اعترفت له أنها سمِعته وهو يهذي باسم غادة وأنها أخذت رقمها وقامت بالاتصال بها وزيارتها، لم يَثُر عادل كما توقعت بالعكس تعلّق بانشراح تعلقًا غريبًا، فكانت

fb/mashro3pdf

بالنسبة له طوْقَ نجاةٍ لغريق، فهي الوحيدة التي لا تعارضه، الوحيدة التي لا تتحدث بالعقل، إنها الإنسان الوحيد الذي يفهم مشاعره، كان يعشق جملتَها البسيطة «كلنا ولاد ادم وحوا، وربنا واحد رب المسلمين هو رب النصارى، وبعدين يعني لو كان الحب بيفرّق، كانت الناس حبّت بالبطايق»

أصبحت انشراح أقربَ الناس لعادل، فهي الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يتحدث معه عن غادة فكان يحادِثها بالتليفون ساعات طويلة كل يوم مِن مكتبه، وأحيانًا كثيرة يمُر عليها في منزلها في تلك المنطقة الشعبية، ليجلس إليها ويتحدث معها عن غادة، لم يعترض حسن على وجود عادل هيدرا، ولم يسأل حتى بجدية من هو ومن أين عرفته انشراح. أقنعته بسهولة إجابتها السطحية، فدائما هناك أشياء وأشخاص فوق القانون والعرف، دائما يوجد هؤلاء المسموح لهم بكل شيء.

أصبح عادل يعشق جلستَها وحديثها كعشقّه لغادة التي امتنعت تمامًا عن الرد على تليفوناته، مكرّرًا عليها آخر حوار دار بينَه وبين غادة حتى حفِظته انشراح كلِمةً كلِمة وحرفًا حرفًا.

****

fb/mashro3pdf

- 9 -

كانت غادة تتنقل بانسيابية شديدة بين حجرات هذا المنزل الواسع، الكائن على أطراف المدينة الباردة، التي كسا الثلج طرقاتها وواجهات منازلها، تطل خلف نوافذه أشجار سيدج البرتقال المميزة بثمرتها الخضراء كبيرة الحجم ولحائها النحاسي اللون ذي الشقوق المستقيمة. ترتدي فستانا أحمر مزينة ياقته بكوريشة ناعمة من اللون ذاته، حتى دخلت غرفة كبيره تمتلئ جدارنها بلوحات وتابلوهات متنوعة، كان مشهدا غريبا الغرفة مكدسة باللوحات والكتب القديمة على أرفف خشبية ولكنها تخلو من الأثاث، أرضياتها مغطاة بحصر عليها أشكال سداسية وثمانية الأضلع من الأصفر الفاقع والأحمر القاني، وجدت نفسي معها في نفس الغرفة، وكلانا لا يشعر بالبرودة، برغم عدم وجود أي مدفئات، وفجأة سألتها:

- تعرفي يعني إيه فيريل:

ابتسمت وكررت فيريل... فيريل، ثم سألتني من أين لك فيريل؟

أجبتها بهدوء كأنني أقرأ مِن كتابٍ قديم محفورة صفحاته في ذاكرتي:

«كنت صغيرة في الخامسةَ عشرةَ، كانت هذه كلمات صديقي الزائر الليلي عندما جاءني أول مرة، وقتَها كانت جَدتي على فراش

fb/mashro3pdf

الموت ورفضَ سيد أخي الأكبر أن أكمل تعليمي، وصوت صفارات الإنذار في كل مكان كنت خائفة جدًا، أطرافي مجمدة، شفتاي لونهما أزرق، جسدي كله يرتعش، ولوهلة شعرت أنني لا أستطيع التنفس، وزادت ضربات قلبي لدرجة جعلتني أتصور أن جدران المنزل تهتز معها، استطردَ الزائر الليلي قائلا جَدتك الآن سوف تنتقل إلى العالَم الحقيقي، عالَم أكثر تحررًا وسعادة، سوف تتحرر من أهم نواقص البشر الخوف، يجب أن تكوني سعيدة مِن أجلها، كان صوته مطمئنًا دافئًا، أخذ يضحك معي قائلا لا تخافي.. يتملّك الناسَ الخوفُ عندما يشعرون بالضعف والاحتياج، وأنتِ قوية، تأكدي لن يحدث لكِ أي شيء سيئ، ومهما حدثت لك أشياء قاسية ستتغلبين عليها وتحوّليها لصالحك، تأكدي أنكِ قوية، أنا أحبك يا انشراح لأنكِ مِثلي تمتلكين فيريل، ولذا ستكونين أهلا لسيادة جسدكِ والناس والعالَم جمعًا، فيريل.. تذكّري هذه الكلمة جيدًا، ردّديها دائمًا، إنها مصدر قوتِكِ في الحياة».

استطردت قائلة لغادة لم تكُن هذه المرة الوحيدة التي أتاني فيها الصديق الليلي، وفي كل مرة كان يظهر في أشكالٍ وهيئات مختلفة فأحيانًا هو عملاق يرتدي الذهب، وأحيانًا في شكل حكيم مُسِن ، سنواتٌ طويلة وأنا أتساءل مَن هو هذا الزائر الليلي الذي تغيّرت هيئته وشكله عدة مرات؟ تكررت الزيارات وفي كل مرة كان يُنهي الزيارة بالكلمه نفسها «فيريل».

أجابتني غادة بضحكة قوية، وأنا أيضا أكرر «فيريل»، أنت يا

fb/mashro3pdf

انشراح تنتمين لمؤسسة فيريل السرية، والتي في عام 1933 تأسست في برلين، حيث فيريل تعني الطاقة الكونية الهائلة التي تشبع الكون، وهي مقياس لألوهية الإنسان، أو حسب معتقدات تلك الحركة أن مَن يملك فيريل يصبح أهلا لسيادة جسدِه والناس والعالَم، كما كانوا يؤمنون أيضًا أن هناك عمالقة مختبئين في كهوف عميقة داخل أغلفة ذهبية في مخابئ الهيمالايا، وسيَظهَرون قريبًا للناس ليحكموا العالَم، ومَن لا يستعد للقائهم وتحقيق التكافؤ معهم، سيجد نفسه في صفوف العبيد.

اطمئني يا انشراح واستمتعي معي بموسيقى شتراوس، فأنت تملكين فيريل.

استيقظت انشراح من نومها وكلها تعجب من هذا الحلم، ماذا رأت في غادة التي لم تقابلها إلا مرة واحدة حتى تراها في حلمها سندها في الحياة الإنسانة الوحيدة التي تثق فيها وتشاركها سرها ومخاوفها؟ من تكون غادة التي تظهرلها في صوره العارفة ببواطن الأمور والغيب وتلك الأشياء المعقدة الصعبة لتشرحها وتفسرها؟ بالطبع لم تتذكر انشراح من الحلم إلا القليل، ولم تفهم ما تذكرته، كل ما تبقى من هذا الحلم كما فسرته، أن غادة التي يحبها عادل هيدرا سيكون لها شأن في حياتها.

****

اشتاق الحاج سيد إلى زيارة بيت انشراح الذي غاب عنه سنوات،

fb/mashro3pdf

اتصل بها في غفلةٍ عن ليلى وهدى وطارق، أوهَمهم أنه ذاهِب إلى معرض الموبيليا الذي يمتلكه في المهندسين، تحرّك مِن هناك إلى الكلحة، تحرك بروح مشتاقة بالرغم من أنه في العشر سنوات الأخيرة أصبح مِن أهم رجال الأعمال، كانت حياته موزّعة بين لندن وألمانيا وشرم الشيخ والساحل الشمالي، ولكنه عندما شَعر بالمرض قرر الذهاب إلى انشراح، اشتاق إلى رؤية المنزل الضيق الذي عاشت فيه أُمه آخر أيامها، واختارت أن تموت فيه، افتقَد أُمه، افتقَد فنجان قهوة انشراح، افتقَد شكلَها وهي تهرول مِن السعادة هنا وهناك، صوتَها وهي تنادي مِن البلكونة بفرحة ولهفة:

- «ابعتلي علبتين سجاير مالبورو أحمر، الحاج سيد هنا، وإزازتين حاجة ساقعة»

حَنّ إلى فرحتها بزيارته وهي تمسح الكَنَبة بيدها قائلة: «اتفضل يا حبيبي يا سي السيد» كما كانت تحِب أن تناغشه، اشتاق إلي أكلِها البسيط الذي يذكّره برائحة أُمه، يجلس مستريحًا تجوب عيناه هذا المكانَ الذي رَسمت التشققات على جدرانه صورًا وشخوصًا وحكاياتٍ، ولكن كانت هذه الزيارة مختلفة، فما أن وصل إلى منزل انشراح حتى دخل في حالة غريبة كأنها غيبوبة، نظر إلى انشراح متضرعًا قائلا:

- «بلاش ياخدوني يا انشراح، أنا عايز اخرج من هنا زي ما خرجت أمي»

fb/mashro3pdf

لم تعرف كيف تتصرف، هل تستجيب لطلبه؟

خافت، قررت أن تتصل بطارق لتبلّغه أن والده عندها، وقتها قامت الدنيا ولم تقعد، اتصالات تليفونية هيستيرية، هدى وليلى أصواتهما مملوءة بالفزع والشعور بالغدر، لم يمضِ أقل من ساعة حتى كان طارق قد أتى بالسيارة ليأخذ أباه، نظر طارق إلى انشراح نظرة حادة جعلها ترتجف ولم تستطع أن تنفّذ طلب أخيها في أن يَظل عندها، كانت أضعفَ مِن أن تواجه طارق، وبدون كلمة اتَّجَه طارق إلى أبيه ليحمِله إلى السيارة، تَحسَّس محفظة أبيه ليتأكد من وجودها ثم فتحَها وهو ينظر إلى انشراح نظرة شكٍ، تجاهلت انشراح هذه النظرة فهي تعرف جيدًا أنهم لم يأخذوا مِن سيد إلا الاسمَ، لقد كانوا صنيعةً ليلى، يفكرون بمنطقها ويَدينون بالولاء لها، أمّا سيد بالنسبة لهم فكان مجرد محفظة، كانت تعلم جيدًا أن هذه الحالة الهيستيرية ليست خوفًا على أبيهم، بل خوفٌ مِن أن يكتب الحاج وهو في هذه اللحظة جزءًا من أملاكه أو ثروته لإخوته.

****

مات سيد في المستشفى الذي أمضى فيه ساعات معدودة، بعد أن ترك منزل انشراح.

عشرات مِن المُتَشِحات بالسواد يجلسن في البيت ليُقدمن واجب العزاء للحاجة ليلى، كانت انشراح تبحث عن هدى، فهي لم

fb/mashro3pdf

تذهب إلى المقابر لدفن أبيها، هناك تصورت انشراح أنها في المنزل لأنها لا تتحمل هذا اللحظة، ولكنها عندما عادت بعد الدفن لم تجدها أيضا هناك، لاحظت انشراح غيابَ هدى ومنال، سألت بجزع، أجابتها ليلى بأن منال لم تتحمل صدمة موت حميها، فأخذتها هدى وذهبت معها إلى الطبيب. عادت منال إلى المنزل وهي في حالة هذيان شديدة، هدى تسندها يدخلان مِن باب الشقة بسرعة إلى إحدى الغُرَف، أدخلت ليلى وهدى منالَ إلى إحدى غرف النوم وخرجت الاثنتان، أغلقت ليلى البابَ بالمفتاح بينما جلست هدى على كرسي بجوار باب الغرفة لا تسمح لأحد مطلقًا بالدخول قائلة:

- منال حزنت على موت الحاج سيد، سقَّطت العيل ربنا يصبرها

مضت فترة ليست بالوجيزة، بدأ صوت صراخٍ يعلو من الغرفة:

- وديتو فين ابني يا ولاد الكلب؟

رفعت ليلى صوت الراديو بالقرآن حتى يغطي على صوت منال فلا تفسر كلماتِها المعزياتُ، تنتبه انشراح لهذا الصراخ العالي وتسأل هدى:

- حصل إيه؟ افتحي لي الباب عايزة اطمئن عليها

ترد هدى:

- ادخلي وقولي لها تِهدى مفيش فايدة مِن اللي هي بتعمله

ظلت انشراح بجوار منال في هذه الغرفة المغلَقة وهي شِبه غائبة عن الوعي، تفيق لحظاتٍ قليلة تبكي بدون صوت، ترفع

fb/mashro3pdf

الغطاء تتحسس تبحث عن طفلها الذي فقدته، تتلمس بطنها وتتساءل بصوتٍ واهن «عملوا كده ليه؟»

تكمِل ساردةٌ بهذيان:

- هدى قالت لي انها تعبانة قوي وعندها نزيف، وعايزاني اروح معاها عند دكتور النسا بتاعها، وهناك الدكتور قال لي اني مجهدَة ومحتاجة حقنة فيتامين، ضحكوا عليا، طلعت حقنة بنج، فتحت عنيا لقيتني غرقانة في دمي والملاية كلها دم، ضحكوا عليا وسقّطوني».

خرجت انشراح منفعلةً، وبدون أن يسمع أحد سألت هدى بجِدة:

-عملتوا كده ليه؟

أجابتها هدى باستنكار:

-فيه إيه يا عمتي؟ انتي عايزة واحدة من الشارع بحِتّة عيل تاكل دماغ طارق وتتحكم هي وابنها في كل ثروتنا وفينا؟ بالعيل ده منال كانت هتبقي الكل في الكل، وبعدين هو فيه إيه؟ لا حرام ولا حاجة دول كانوا شوية دم سُخنين ونزلوا، على فكرة أنا سألت شيخ قال لي طالما لسه ما دبّتش فيه الروح مش حرام، هدّيها يا عمتي وقولي لها بُكرة تحمل تاني وتخلّف دَسته عيال، بس احنا نكون عرفنا راسنا من رِجلينا وقسّمنا ميراثنا وكل واحدأآخد حقه، وطبعا مافيش داعي تحكي لطارق لأنه أكيد مش هيصدقها وهتخرب على نفسها.

fb/mashro3pdf

صدَقت هدى، طلبتُ مِن منال السكوت وأقنعتها ألا تحكي لطارق عما فعلوه بها لأنه لن يصدّقها وقلت لها:

- معلش يا بنتي لما الموجة تبقى عالية لازم نطاطي لها، عيشي وبُكرة تحبلي تاني، إنتي لسّه صغيرة.

طلبتُ منها أن تتعايش وأن تقوم بخدمة المُعزيات ومساعدة ليلى وهدى

استجابت منال قليلا ولكنني لم أستطِع أن أجيبَها على سؤال عملوا كده ليه؟

هذا ما أرادته ليلى. وبعد انقضاء أيام العزاء وانفضاض المُعزين والمعزيات، استدعت ليلى ابنَها في حضور هدى وقالت له:

طارق انت لازم تطلّق منال، إحنا اتاكدنا انها كانت بتخونك وإن العيل مش ابنك، وبصراحة هدى ربنا يكرمها أنقذتنا كلنا من الفضيحة، وأنقذتك مِن إنك تربّي عيل مش منك، وأجهضت منال والحمد لله انها جَت على قد كده، شوف مؤخرها كام واديهولها، إحنا مابناكُلش حق حد.

حاولت منال أن تدافِع عن نفسها أو تحكي له كيف قاموا بخداعها وإجهاضها، كان سكوتها كل هذه الأيام أكبر دليلٍ على صدق روايتِهم، عندما حاولت انشراح أن تشرح له ما حدث، اتهمَها هي الأخرى أنها شريكتُها في الإثم.

كانت انشراح مذهولةً مِن الجبروت، طلبت من ليلي أن تحدثها على انفراد:

fb/mashro3pdf

- طيب منال مش مهمة، ابنك مش صعبان عليكي تجرحيه في رجولته وتطعنيه في شرفه وتحرميه من أول فرحته؟ وبعدين ده بيحبها!

- تاني يا انشراح؟ منال إيه وزفت إيه وحب إيه؟ انتي مش هتبطلي الرومانسية بتاعتك دي؟ منال دي حاجة كده، أنا جوّزتها له علشان يلعب بيها قدام عينَيا، علشان تلِم ابني ويبطل الخروج مع اصحابه في سهرات ماعرفش عنها حاجة، وكمان توفر مرتّب خدّامة، لكن يكون هو دا النسب لابن الحج سيد عويضة؟ دي جوازه كده فَك زنقة للواد بدل ما يجيلوا سيلان ولا زهري.

- كل الفرح اللي عملتيه ده، والليالي والدبايح ما كانتش الجوازة اللي تليق بيكم؟ والخمسة كيلو دهب وبَرَكة الطشطوشي راحت فين؟

أكملت ليلى حوارها:

- الفرح عملناه لابننا والصيت لنا والدبايح لله، والدهب بتاعنا مالهاش فيه حاجة، دي خاينة، وتحمد ربنا اننا هنتسترُ عليها ومش هنخرّجها بفضيحة، وبَركة الطشطوشي حلت، ابننا عاش سنتين في الحلال، وبصراحة يا انشراح انتي كمان كفاية قوي لحد كده، احنا استحملناكي كتير قوي علشان غلاوتك عند الحاج الله يرحمه، بس انتي من دلوقتي ورايح لازم تعرفي ان مالكيش حاجة عندنا، مش علشان الحاج مات، لا علشان انتي أصلا مش أخته شقيقته، الحاج سيد مش ابن عويضة تاجِر المخدرات، الحاج سيد

fb/mashro3pdf

الوحيد من اخواتك اللي نَسلُه طاهر وعَصَبه نضيف، علشان كده ربنا كرّمه وادّاله مِن وسَع، مش زيك انتي واخواتك، غضب ربنا باين عليكم!

كانت انشراح مصدومةً مما فعلوه بمنال وطارق، فعلا إذا كانوا فعلوا ذلك بابنِهم فمِن الممكن أن تتوقع منهم أي شيء، لكنها تماسكت وسألتها بسخرية:

- ليلى، انتي كمان عايزة تقنعيني بعد العمر ده كله ان سيد مش شقيقي؟

أجابتها ليلى بهدوء:

- أخوكي الحاج سيد ابن قُطب، عارفة يعني إيه قطب ولا اعرفك؟ درويش من الدراويش اللي ربنا اختارهم واصطفاهم على الكُل، أخد عقله وادّاله بداله البَرَكة، الدرويش بيبقى ماشي في الدنيا مالوش عقل ولو شاف سِت أو بِنت وحَب يعاشرها ماحدش يقدر يقول له لا، حتى لو في الشارع يجيبوا ملاية ويغطوه ويسيبوه يعمل اللي عايزُه فيها، علشان البِذرة اللي هيحُطها دي بذرة مبروكة والعَيل اللي هيجي منها هيجيب لأهله السعد، ودا اللي حصل مع أمك، وكل الناس عارفه القصة دي، حتى أبوكي وافق يتجوزها وهي حامل في سيد وادّاله اسمه، أمّال انتي فاكرة الخير اللي ربنا ادّاه لسيد ليه؟ دا عشان مبروك.

نظرت انشراح إلى ليلى قائلة:

- فعلا اللي كان مَخلّيني استحملكم مات، وكفايه كِدب وافترا،

fb/mashro3pdf

أنا كِده كِده خارجة.. حسبي الله ونِعمَ الوكيل.

أجابتها ليلى:

- على فكرة دي مش كِدبة، وممكن تتأكدي من خالك، وبالمَرّة خُدي منال في إيدك وصليها لأمها، طارق رمَى عليها اليمين.

خرجت منال ولم تحصل إلا على مؤخر صداقٍ هزيل وجرحٍ كبير، أمّا طارق فقدْ تحوّل مِن الصدمة والحزن والانكسار إلى خيال مآتة تُحركه ليلى وهدى، وقد تَحقق لهما ما أرادتا.

لم يكُن أحد يُخرِجني مِن حزني على وفاة أخي إلا هذه الصغيرة، وقتَها أدركتُ أن الموت أحيانًا رحمة عن معاشرة هؤلاء ، ولم أُعفِ نفسي من اللوم بالرغم من أنني لم أكُن أعلم أن لمُخططاتِهم بقيةً، وأنهم سيتهمونَها بالخيانة ويطردونها مِن جَنتِهم.

ظلت منال في مكانها على الكَنَبة، التي تحولت لسرير في هذه الصالة الضيقة الواقعة في منتصف المسافة، بين حجرة حَسن وحجرة الأولاد في منزل انشراح، كانت في شِبه غيبوبة، جسدها ممدد على الكَنَبة، هاتانِ العينانِ القويتان المليئتان دائمًا بالحيوية أصبحَتا باهتتيْنِ حائرتيْنِ تنظرانِ إلى انشراح نظرة استجداءٍ، أصبحت حياة منال معلقةً بأي كلمة تتفوه بها انشراح، لسانها ثقيل تتحدث بصعوبة، مرت شهور ومنال لا تزال في هذه الحالة المرعِبة.. لا تستطيع انشراح أن تفعل لها شيئًا.

قلبي يتألم وأنا أنظر إليها، لم أتصور أن الوحشية تصِل بهم إلى هذا الحد، كنت أتصور أنه يحبها وأنه سيدافِع عن هذا الحب، وأنه

fb/mashro3pdf

سيفرِضها عليهم ولكنهم كانوا أقوى، وأنا كنت ضعيفةً خائفة منهم.

لماذا لم أدافع عنها؟ لماذا أكملتُ في هذه الجريمة وأعطيتها أملا بأنه سيعود وأنه ما يزال يحبها؟! لماذا أخفيت عنها خبرَ زواجِه مِن ابنة د. عبد الفتاح رضوان؟ إنني أيضًا مِثلهم، أيضًا أخدعها بحُجة أنني خائفة على مشاعرها، نَعَم أنا ضعيفة لا أملك حتى القدرة على أن أساعدها، على أن تواجِه الحقيقةَ وتواجِه مصيرها، كل هذه الفناجين المقلوبة والتي تنتظر منال أن يَخرج منها طارق، هي خديعتي وضعفي وقِلة حيلتي، هل لو كانت ابنتي كنت سأتركها تعيش في الأوهام منتظرةً أملا غيرَ حقيقي، بينما هو يقضي شهر العسل مع زوجته الجديدة في أوروبا؟

لا لن أتركَها فريسة لأمل لن يتحقق كما وقعتُ أنا فريسةً له وانتظرتْ سنواتٍ وسنوات، سوف أساعدها لتكون قويةً وبأي طريقة.

بدأت منال تتعافَى قليلا مِن أثر الصدمة، وأصبحت قادرة على الحركة بعد أن لزمت الكَنَبة فترة ليست بالقليلة، طلبت انشراح من ناهد أن تأخذ سيارتها الجِيب، شرحت لها أنها تحتاجها ضروريًا وأن منال تجيد القيادة.

****

لماذا هذا الإصرار الشديد على البحث عن كلبٍ في الصحراء؟ شوارع المدينة مليئة بالكلاب الضالة؟

fb/mashro3pdf

سؤالُ بِلِح علي منال بينما السيارة الجِيب الـ 4 × 4 المسرعة تطوي تحتها هذه الرمالَ الناعمة وتتوغل في العمق بدون وجهةٍ محددة سِوى البحث عن كلبٍ ضال.

ضوء السيارة يكشف الطريقَ، القمر في كمالِه يُضيء الصحراءَ فتبدو كطبق من الفضة تتلألأ فيه المياه.

تجلس منال على عجَلة القيادة، تتدلى على وجهها المستدير كوجهة القمر في اكتماله خصلاتُ شَعرِها الكستنائي، وبينما تنظر عيناها اللتان تملأهما رغبة متوحشة تخفي مسحةَ الحزن فيها إلى الصحراء شاردة كأنها نَمِرة كاتمة غيظَها.

سألت انشراح بنبرة ضيق:

-أنا مش فاهماكي يا عمتي إيه إصرارك على كلب في الصحرا؟ ما الكلاب ماليين الدنيا ولا انتي غاوية مغامرات؟

-لا يا منال أنا مش غاوية مغامرات وعارفة أنا بعمل إيه كويس، ولو مش عاجبك لفّي وارجعي على البيت.

ترددت منال، فقدْ استفزَّهَا رد انشراح وهي التي لم تتعود منها على هذه الطريقة في الكلام، كادت تتحرك في الاتجاه المعاكس للخروج من الصحراء لولا احتياجُها الشديد... كظمتْ غيظها من انشراح مستطرِدة:

- ماقصدتش يا عمتي، بس انتي هتعرفي تصطادي كلب في الصحرا لوحدك ومش هتخافي؟

- مش دي المشكلة دي سهلة، المهم ألاقي كلبة زيك!

fb/mashro3pdf

بـدأت انـشراح تسـمع صـوت نبـاح كلاب كثـيرة، طلبـت مِـن منـال أن تُطفـئ محـرك السـيارة، نزلـت انـشراح مـن السـيارة وفي يديهـا كثـير مـن الطعـام المَحْقـون بمخـدّر، تجلـس بهـدوء وتبـدأ في إلقـاء اللحـم، اجتمعـت حولَهـا قافلـة مِـن الـكلاب، أخـذت تقـترب مـن الطعـام. بـدأت في الأكل.. خـلال دقائـقَ معـدودةٍ أصبحـت الـكلاب مخـدَّرة.

جلسـت انـشراح عـلى الأرض وأخـذت تقلّـب في الـكلاب المُلقـاةِ أمامَهـا تتفحصهـا بدقـة.

كان لهـا مواصفـاتٌ خاصـة تبحـث عنهـا ولا تـرضى أن تتنـازل عـن إحداهـا، لا بُـد أن يكـون كل شيء دقيقًـا، لـن تـترك أي تفصيلـةٍ حتـى لا يكـون هنـاك أي احتـمالٍ للفشـل.

لم تحـاول منـال أن تشـارِكَها، كانـت تجلـس في السـيارة ممسِـكةً بعجلـة القيـادة متجاهلـةً كل مـا يحـدث كأنـه لا يعنيهـا، تختلِـس أحيانًـا نظـرةً إلى انـشراح وهـي منهمِكـة في البحـث عـما تريـد.

- أخيرا لقيتها الكلبة اللي شَبَهك، انتي محظوظة.

نظرت إليها منال بضيق قائلة:

- كفاية إهانه يا عمتي، هو انتي شايفاني كلبة فعلا ولا إيه؟

- إهانـة ايـه؟ أنـا فعـلا لازم الاقـي كلبـة، نتايـة يعنـي، ولازم تبقـي شَـبَهك في شـكلك وروحـك وطريقتـك، الكلبـة دي انتـي.

- انتـي عايـزة تجننيني؟ روحـي إيـه وطريقتـي إيـه؟ ناقـص تقوليـلي وقَصّـه شـعري كـمان!

- كفايـة هـزار، أنـا بعمـل حاجـة بجَـد هتغـير حياتـك، وهتكـوني

fb/mashro3pdf

غنيه جدا وهتتجوزي اللي يعجبك مهما كانت ثروته أو نفوذه.

نظرت منال في عينيها نظرة يأسٍ وهي تقول:

- اذا كان ده حقيقي كنتي قدرتي تغيري حياتك انتي.

قرأت انشراح أفكارَها، فأجابتها بنظرة تقول

- إن ما أردته في الحياة كان حبًا طواعية، حبًا بكامل الإرادة، حبًا لا تجلبه لي وصفات السحر ولا رؤى العارفين، ولقد كنت أريد لكِ أيضًا هذه الحياة، ولكني أعرف جيدًا أن البدائل أمامكِ معدومة، أعلم أنكِ تحتاجين الثأر لكرامتك والانتقام مِمن غدروا بكِ، وليس بوسعي إلا أن أساعدك.

بدأت انشراح في إخراج المشرط مِن حقيبة يدها، وقامت بِقَطع بَظر الكلبة، سال دَمُها كما سال دَم منال من قبل في عشرين شارع الليبيني، وكَمُمَرضَةٍ محترِفة داوت الكلبةَ وطهّرت مكان الجرح.

عادت إلى السيارة وأخرجت من حقيبتها كيسًا مملوءًا بخلطة من الفلفل الأحمر المطحون والفلفل الأسمر، وضعت فيه بَظر الكلبة وأغلقته بإحكام، أعطته لمنال قائلة:

-الكيس ده لازم تفضلي شايلاه على طول، وتأثيره هيفضل طول ما الكلبة عايشة، فهمتي ليه أنا اخترت كلبة من الصحرا؟ علشان ما حدش يصطادها بسهولة، والأعمار بيد الله وانتي وبَختك، ومتحاوليش تجربي الوصفة دي مع نفسك، ليها طلاسم مُعَينة.

****

fb/mashro3pdf

- 10 -

لم تتصور انشراح بعد تلك المقابلة الباردة، أن غادة يمكن أن تعاوِد الاتصال بها، بالرغم من أنها كانت متأكدة بعد أن رأتها في الحلم، أن علاقتها بالفتاة التي أحَبها عادل هيدرا، الفتاة التي جلس أبوها في الجامعة نفسها مع إبراهيم، سيكون لها بقية، ولكن طريقتها الجافة جعلت انشراح لا تتصور أن المبادرة ستكون من غادة، لم تكُن تدري أن هذه المشاعر المرتبِكة تملكت غادة أيضًا، فقدْ أعادتها انشراح بكلامها عن الجامعة ومظاهرات الجامعة إلى حنين أصابها كما أصاب انشراح.

طريقتها مختلفة، سألتها بإلحاح إذا كانت تستطيع مقابلتها غدًا في الثالثة عصرًا في مقهى جروبي في وسط البلد، طلبت منها بشدة ألا تتأخر عن الميعاد لارتباطها بمواعيدَ أخرى بعدَها، كما طلبت منها أيضًا ألا تحكي لعادل عن هذه المقابلة.

وصلت غادة إلى مقهى جروبي قبل انشراح التي تأخرت عشر دقائق عن الموعد، اعتذرت انشراح عن تأخرها.

رحَّبت بها غادة وسألتها إذا كانت وجدت صعوبةً في الوصول إلى مقهى جروبي؟

مقهى جروبي.. بدأت انشراح تشُم رائحة أُمها وبريان وأغافني، وهل للذكريات رائحة؟ نَعَم طغت رائحة الذكريات على كل

fb/mashro3pdf

شيء، هنا تجلس حياة، وهنا يجلس ببريان، وهنا الطفلة تأكل الآيس كِريم السويسري بنَهَم، وهنا ليس بعيدًا في العمارة المجاورة استوديو ببريان الذي التقطت فيه أول صورة، لم يعُد وسط القاهرة بجماله نفسه، ولم يعُد مذاق آيس كِريم جروبي الذي تجلس فيه الآن هو نفسه الذي كانت تأكله قديمًا، أصبح يشبِه ما كانت تبيعه أم قويق في الحارة، كل شيء أصبح باهتًا.

مِن أين ظهرت غادة التي تأخذها إلى نفسها؟ مَن هي غادة التي استطاعت بسهولةٍ أن تخترق عالَمَها الحقيقي دون أن تدري، وتحدّثها عن جامعة إبراهيم وتدعوها لتناول الآيس كِريم عند حياة وببريان كأنها تعرفهم جميعًا؟ لا، كأنها تعرف انشراح منذ طفولتها.

سألتها غادة: هل أعجبكِ المكان؟

أجابتها انشراح:

- جروبي ده المكان اللي أمي كانت متعودة تفسّحني فيه، نظرت إلى نفسها قائلة:

- ماتستغربيش العباية البلدي اللي أنا لابساها، أنا عارفة ان جروبي ده بتاع الباشاوات

قاطعتها غادة قائلة:

- لا أنا مستغربة حاجة تانية، أصل بابا الله يرحمه برضه كان متعود يفسّحني هنا، المكان ده أقرب مكان لروحه، بصراحة مش جروبي أقرب مكان لروحه، أقرب مكان لروحه الميدان اللي في آخر الشارع. ميدان التحرير- الكعكة الحجرية

fb/mashro3pdf

- إيه؟

- الكعكة الحجرية

الإصحاح الأول

«أيها الواقِفونَ على حافةِ المذبحةْ

أشهِروا الأسلِحةْ!

سَقطَ الموتُ؛ وانفرطَ القلبُ كالمسبحَةْ.

نظرت انشراح إلي غادة متسائلة:

بتقولي إيه؟ بتكلميني؟ مش فاهمة حاجة خالص

- أكيد هاحكيلك في يوم من الأيام عن الكعكعة الحجرية وعن المشاغب اللي مات في حب بهية، هاحكيلك عن «دُعَاةِ الشغب وهُم يَستديرون، يشتعِلون - على الكعكة الحجرية - حوْلَ النُصُب شمعدان غضب».

احترمتْ انشراح حالة الحنين التي استولت على غادة، فقدْ تملَّكتها الحالة نفسها فلم تقاطعها ولم تحاول أن تسألها عن معاني تلك الكلمات الصعبة عليها، انتظرت حتى عادت غادة إلى الحاضر وإذا بها تفاجِئها:

- عايزاكي تروحي معايا مشوار، وبالرغم من إني ماعرفكيش قوي، بس حسيت بارتياح ليكي، خفت أروح لوحدي، وحسيت اني عايزاكي معايا، هنروح دير القديس سمعان الحراز، أبونا بطرس اتصل بيّا، مش عارفة جاب رقمي منين، انتي عارفة مين أبونا بطرس؟ ده عضو في المجلس المِلّي، انتي عارفة يعني إيه حاجة مهمة قوي

fb/mashro3pdf

وحَد مهم قوي؟ يعني كده زى وزير، أنا مش عارفة هو عايزيني ف إيه، بس أنا قلقانة، عندك استعداد تيجي معايا؟

الذهاب إلى دير القديس سمعان الخراز لم يكن شيئًا سهلا، رائحة القمامة النفاذة من الزرايب، حركة الزبالين الذين يملأون المكان وينتشرون كالجراد، عربات الزبالة المكوَّنة مِن صندوق كبير من الخشب، له عجلتانِ من الخشب أو مِن عَجل كاوتشوك ويجرهما حمارانِ أو أكثر في نشاط رهيب، عربات صاعدة وعربات هابطة، وعدد كبير من الرجال والأطفال والبنات منهم مَن يقود العرباتِ، ومنهم مَن يساعد الحمير في دفع العربات للصعود إلى أعلى للتغلب على صعوبات الطريق، كان المدخل إلى الكنيسة أيضًا مَليئًا بالعشش الصاج، انشراح تنظر مدهوشةً مِن كَم الزرائب، ومنظر الخنازير الذي لم تألفه عيناها يثير بداخلها الاشمئزازَ، ولكن ما أن عَبَرَت السيدتانِ منطقة الزبالين واقتربتا مِن مدخل الكنيسة الجَبَلية حتي شعَرتا بالارتياح، وهناك شاهدَتا فجوةً كبيرة تحت صخرةٍ مَهولة في حضن جبل المقطم، وبها كنائس، فكل مغارةٍ تم تحويلها إلى كنيسة، والكنيسة الكبيرة منها عِبارة عن مدرَّج داخل مغارة كبيرة. في حضن الجبل وجدوا كراسيَ بها على هيئة مدرجات مثل مدرجات الاستاد، تَسَع عددًا مَهولا من البشر لا يقِل عن عشرين ألفًا على أقل تقدير، كان هناك أيضًا مجموعات كبيرة من السُيّاح، نظرت غادة إلى انشراح، مِن أين كل هذه الحياة والجَمال بعد المدخل الغريب مدخل الزبالين؟ إنها الحياة بكُل تناقضاتها، كان هناك أيضًا تماثيلُ منحوتةٌ في حضن

fb/mashro3pdf

الجبل للسيد المسيح والسيدة العذراء، وقفتْ أمامَها غادة مبهورةً بروعة العمل الفني، مرددةً أنه لفنان مَن استطاع نحْتَ هذا الجَمال في الجبل. فوجئت بانشراح تتجِه إلى الحائط محاوِلةً أن تتلمس العذرَاء المنحوتةَ على جدران الجبل قائلة: شي لله يا ست.

وسألت غادة إذا كان بمقدروها أن تُضِيء شمعة للعذراء؟

شي لله يا ست، شي لله يا عدرا يا بتول يا أُم النور، صيامك ندر عليا ومحبتك في قلبي يا أطهر نساء الكون.

لم تعرف انشراح حتى وفاة أُمها لماذا كانت حياة تصوم صيام العدرا، ولا ما هو الندر الذي وفَته، ولكنها تتذكر جيدًا كيف كانت تصومه بالماء والمِلح، وكيف كانت أحيانًا تأخدها معها إلى كنيستها بمسطرد لتحتفل هناك بالعيد وتشعل الشموع.

وصلَنَا تقريبًا إلى الدير، قبل الموعد بعشر دقائق اتجهت غادة إلى الإدارة .

- عندي موعد مع الأب بطرس في السادسة

- أستأذنك، بيانات حضرتك؟

- أستاذة غادة أمين عبد الله

- وحضرتها؟

صمتت قليلا، نظرت غادة لانشراح ثم أجابته:

-والدتي

كما توقعت غادة كان اللقاء بخصوص عادل، وبالرغم من الطريقة اللطيفة المهذبة التي تحدّث بها الأب فإن غادة شعرت في قرارة نفسها

fb/mashro3pdf

بالضعف، فهي تجد نفسها فجأة في موضع اتهام بغواية رجُلٍ ليتخلّى عن دينه، ولولا نظرات انشراح لها التي أعطتها كثيراً من القوة، لكانت انهارت من البكاء أمامَه، لم يكن هناك ما تقوله غير أنها حاولت بقدر الإمكان وبكياسةٍ ولَبَاقة أن تنفي التهمةَ عن عادل وعن نفسها، قائلة إن عادل مجرد صديق عزيز، ويبدو أن هناك سوء تفاهُم.

في طريق العودة مِن دير سمعان الخراز احتضنت انشراح غادة كأنها فعلا ابنتها التي أنجبتها، كَلِمة «والدتي» التي قالتها غادة لموظف الاستقبال في الدير تحولت إلى حبل سُرِّي ربَط بين انشراح وغادة، نَعَم غادة هي ابنتي مِن إبراهيم، أمّا مشاعر الأمان والحماية التي أعطتها انشراح لغادة أثناء المقابلة فقدْ جعلتها فعلا تشعر أنها أخيراً وَجدتْ أمّا.

انطلقتا معًا إلى منزل غادة في المَنيَل، وهناك دخلت انشراح المطبخ وقامت بإعداد فنجانَيْن مِن القهوة، بينما كانت غادة مشغولة بإدارة جهاز تسجيل تنطلق منه أغنيات لم تسمعها انشراح من قبل، حاولت أن تركّز في كلماتها التي جعلت غادة تحلّق مِن النشوة كمدمنٍ أخذ جرعتَه المطلوبة، كانت غادة تغنّي مغردة:

«شابة يا ام الشَّعر ليلي والجبين شق النهار، والعيون بحرين أماني والخدود عسل ونار، واللوالي في ابتسامتك يحكوا أسرار المحار، يا اللي ساكنه القصر عالي، امتى يهنالي المَزار»

شعرت انشراح أن الأغنية كأنها كُتِبت لغادة، بشَعرها الأسود الليلي وعينيها الواسعتين الغامضتين اللتين يملأهما شجن لا

fb/mashro3pdf

تخفيه الابتسامة الدائمة.

نظرت إليها انشراح بحنان:

- كانت حلوة قوي منك كلمه والدتي، تعرفي اني أول ما شفتك تخيلتك بنتي؟ سألتها بحَرج: هي مامتك عايشة؟

- يعني.. أقصد آه!

- ربنا يديها طولة العمر

- بس هى مش عايشة معايا، هي مع جوزها في السعودية، أنا والدي اتوفى وأنا عندي عشر سنين وبعدين هي اتجوزت وسافرت السعودية، وأنا عشت مع خالي ومراتُه، وبعدين قررت ارجع هنا في بيتنا اللي فضل مقفول بعد وفاة بابا سنين طويلة، كل حاجة هنا في البيت زي ما سابها، شرايط الكاسيت دي بتاعته، صورة جيفارا، المكتبه دي بتاعته، أوريكى حاجة أجمل؟

فتحت غادة درجًا فيه أوراق مختلفة الحجم، منها ما هو كبير الحجم يشبِه اليافطات، ومنها قصاصات ورَق، أخذت تقرأ غادة ما كُتِب على هذه الأوراق:

«يا مجلس شعب صباح الخير وانت رئيسك مليونير

قول للنايم في عابدين حكمك زفت وحكمك طين

أصل الوالي يا ناس مش داري بِهَمّ الفُقَرا في الحواري»

- بابا كان أهم واحد بيكتب شعارات المظاهرات، مظاهرات الطلبة، انتفاضة الحرامية، سِمعتي عنها سَنَة سبعة وسبعين؟ السادات قال عليهم حرامية وهُمّ طلبة ومهندسين، طفولة غريبة كل الأطفال

fb/mashro3pdf

تقرا ميكي وسمير وأنا باقرا شعارات سياسية، وقتها مكنتش فاهمة معانيها، بس كنت بحبها قوي واحس أن دمها خفيف، عمري ما بانسَى سهرات بابا وأصحابه ونجم والشيخ إمام وهُمَ بيغنوا ويضحكوا ويتريَؤوا على بعض وينادوا بعض القلة المنحرفة.

عمرى ما هانسى منظر المُخبِرين وهُمَ جايين يهجموا على البيت وياخدوا بابا، كنت باخاف قوي وأكرهم قوي، المرة الوحيدة اللي وافقت أمي انها تاخدني معاها علشان ازوره كان في سجن القلعة، ساعتها حسّيت بأسوار القلعة ضخمة وعالية وأنا تايهة مش فاهمة حاجة، صغيرة قُدام كل الأسوار دي، كان بيضحك لما شفته وعينه كلها قوة، بَصّ ليّا وقال لي أنا مش حرامي، كان عندي تسع سنين، وقلت له أمّال انت مسجون ليه؟ قال لي أنا هنا علشان بادوَر على حق الغلابة!.

رجعت الذاكرة بانشراح قُرَابة أربعين عامًا، وقتما كانت تزور أباها في سجن طُرَة، ولكنها متأكدة أن أباها كان لِصًا، تاجِر مخدرات وبلطجيًا بالرغم من كل محاولات أُمها للدفاع عنه وتحسين صورتِه أمامهم، ولكن هل هناك فرْق بين ألَم وحرمان طفلة ترى أباها خلف القضبان لأنه يدافع عن حق الغلابة أو لأنه يتاجِر في المخدرات؟

أخذت غادة تحكي ما كان يرويه أبوها عن كل المظاهرات التي شارك فيها، وكيف اعتُقِل، ذكرياته في سجن القلعة وفي طُرَة، وكيف خرج الطلبة متجهين لمجلس الشعب في مظاهرة مكوّنة مِن ثلاثة آلاف طالب، وكيف اعتصَموا أمام المجلس، وكيف كان الضباط يخاطبونهم

fb/mashro3pdf

بـ»يـا شـيوعيين». نظرت إلى انـشراح متسـائلة: عارفـة يعنـي إيه شـيوعي؟

تلجلجت انشراح وأجابت: لا

قاطعتها غادة: تصدّقي ولا أنا، كل اللي عارفاه اني بَكرَه الكلمة دي.

كَـم تَكـره كلمـة شـيوعي، كانـت دائمًـا تشـعر أن هـذه الكلمـة إهانـة وتُهمـة، ولا بُـد أن تتـبرأ منهـا بالرغـم مـن أنهـا كانـت متأكـدة مـن أن والدهـا بَطَـل، رجُـل صاحِـب موقِـف يدافـع عـن أشـياء لم تعُـد تهـمّ أحـدًا الآن عـلى مشـارف الألفيـة الثانيـة، مَـن يعـرف أباهـا؟ مَـن يتذكـر نضالـه؟ مَـن يتذكـر أصـلا أنـه كان هنـاك في يـوم مـا مَـن يسـيرون في مظاهـرات ويُرمَـون في السـجون مدافعـين عـن حـق الفقـراء، مُنددين بسياسـات هـذا العميـل الأمريـكي الـذي بـاع مـصرَ للأمريـكان؟!

إنهـا غربـة في الوطـن، عندمـا لا تجـد مِـن جيرانـك أو أصدقائـك أو معارفـك أو زملائـك في العمـل أو حتـى أقاربـك مَـن يفكـر مثلـك! مَـن يسـمع الأغـاني نفسـها التـي تسـمعها؟ مَـن تتحـرك مشـاعره لأبيـات شِـعرٍ لا يعرفهـا أحـدٌ غـيرك؟

«دقت الساعةُ القاسية»

أبطالُـكَ غـير أبطالِهـم، رمـوزُكَ غـير رموزِهـم، تتذكـر عندمـا كانـت تلميـذةٌ في المدرسـة تجْمَـع حولَهـا الطالبـاتِ وتقـول لهـم أشـعارًا حفِظتهَـا عـن أبيهـا، تسـأل صديقاتِهـا في المدرسـة: بتحبـوا تسـمعوا الشـيخ إمـام؟ فـترد إحداهـن: هـو شـيخ كويـس وبتـاع ربنـا، بـس بابـا بيحـب الشـيخ كشـك.

تجيبهـم بتلقائيـة: الشـيخ إمـام ده مغنّـي.. فـيردون بضحكةٍ سـاخرة:

fb/mashro3pdf

مين المغنّي ده اللي عمرنا ما سمعنا عنه؟ تنظر إليهم راجيةً اهتمامهم: أغنّي لكم أغنية باحبها. وتجلس في الفصل تَجمَع عددًا مِن زميلاتها وتبدأ بحماس في الغناء.

تصورت غادة أن انشراح تنتمي إلى عالم أبيها بجامعته ومظاهراته، عالم ترسَّخَ في ذاكراتها وروحها ولم يتبق منه إلا صوت خالها وهو يعنفها عند أي تصرفٍ لا يعجبه منها، قائلا: العيب مش منك، أصلك بنت الشيوعي الكافر.

لم تعُد ترى أيًا مِن أصدقاء أبيها، لم تعُد تسمع أغاني الشيخ إمام، ولكنها ظلت تحِن إلى أيام أبيها وتتمنى أن تعود هذه الأيام... وتكره كلمة شيوعي!.

انتظرت انشراح أن تبدي غادة أي تعليق على مقابلة الأب بطرس، لم تفتح غادة الموضوعَ مطلقًا كأنها تحاول عن عمدٍ أن تتجاهل تلك المقابلةَ الساخنة التي حدَثت منذ ساعات.

قررت انشراح أن تكسر رهبة ما حدَث:

- على فكرة اللي حصل ده عادي، لو ابوكي عايش كان قال لك كده، ولو عايشة في الفلاحين كان العمدة عمل معاكي كده، ماتديش الموضوع أكبر من حجمة، كلمتين اتقالوا اعملي نفسك ماسمعتيهمش.

كانت إجابة غادة غريبة:

- المشكلة اللي بيني وبينه مش مشكله الدين، الحقيقة اني مش قادرة اتخيل اني أرتبط بشخص مليونير.

- نَعَم؟ مش فاهمة! مشكلتك مش انه مسيحي؟ مشكلتك انه

fb/mashro3pdf

غنـي؟ أول مـرة أعـرف ان الواحـد يبقـى مليونـير دي حاجـة وِحشـة، إوعـي تكـوني مصدقـة الـكلام بتـاع الأفـلام العـربي انـه هيتسـلى بيـكى ويرميـكي أو هيعايـرك أو الـكلام الفـارغ ده!

- يعايـرني إيـه ويتسـلى بيّـا إيـه؟ ده أنـا الـلي كنـت فاكـرة انـك فاهـماني، عـادل هيـدرا رأسـمالي، هُـمّ دول الـلي مخليينـي أنـا وانتـي كِـده وعيشـتنا كـده، بيسرقونـا ويرجّعـوا يشـترونا بفلوسـنا، وكـمان خايـن بيسـتغل ان أمريـكا بتحميهـم وبتدافـع عنهـم، تقـدري تقوليـلي كل التوكيـلات الكبـيرة ليـه واخدينهـا مسـيحيين؟ وبتـوع الدهـب وشركات المحمـول وتوكيـلات العربيـات والسـياحة والمنتجعـات! الـلي يـسرق أهلـه وناسـه، الـلي مسـتقوي بأمريـكا ده خايـن وعميـل.

أرجـوكي يـا انـشراح اقفـلي عـلى موضـوع عـادل ده، وتعـالي نتكلـم عـن حاجـة تانيـة.

لم تسـتوعِب انـشراح كيـف يكـون هـذا الرجُـل المهـذب الخلـوق ابـن هـذه السـيدة الفضـلى لِصًـا!

- ماشي نتكلم في حاجة تانية، انتي اتجوزتي قبل كده؟

شردت غادة وحدّثت نفسها كأنها تجيب لانشراح

«إصرار خـالي عـلى الـزواج بالمهنـدس محمـد كان إصرارًا عجيبًـا، كأنـه يريـد أن يثبِـت لأُمـي وزوجهـا أنـه تمَّـم مهمتـه بسـلام، مهمتـه التـي أخـذ عنهـا راتبًـا شـهريًا مـن مـال الحَرَمـين، كل شيء كان يجـب أن يكون حسـب الخطـة، غـادة كـبرت، غـادة دخلـت الجامعـة، غـادة خُطِبـت، محمـد لم يكـن شـخصًا سـيئًا. لا أعرف لمـاذا نفرتُ منه كل هـذا النفور، حـاول إرضائي

fb/mashro3pdf

بكل الطرق، عمل أشياء كثيرة لي، اشترى لي شبكة ألماظ، صرفَ مالا كثيرًا في الفُسَح والخروج والملابس الغالية ليكون لائقا أمام عائلتي، في البداية أعجبت به، ولكن مع مرور الوقت أصبحت لا أطيقه، لا أقبل منه أي كلمة ولا لمسة ولا مداعبة، كان يسخَر مِن حُبي للموسيقى، وكان يعتبر ضحكتي العالية قلة أدب وقِلة تربية وعدم احترام، ويغار بشدة من زملائي في الجامعة، هل مِن الممكن أن تنقلب المشاعر مِن الإعجاب إلى النفور بسبب جُملة؟ جُملة واحدة قلبت حياتي رأسًا على عقِب، جُملة لو لم يكُن قالها ما كنتُ أنا أصبحت هذه الفتاةَ التي تجلس أمامكِ الآن. ربما إذا قلتها لك تقولين عني مجنونة كما اتهمَني الجميع وقتَها.. قال لي في بداية خِطبتِنا وأنا أكتشِف معه هذا العالَم في حوار معه، فجأة قَطعَه ونَظر لي بقرف قائلا: إنتِي محتاجة الواحد يشيل دماغك دي ويرميها في الزبالة!

تحولت مشاعري تماما، نظرتُ إلى هذا الرجُل متسائلةً: لماذا يريد أن يتزوجني؟ ولماذا يجِب عليّ أن أُعاشِر رجُلا يرى أن دماغي مكانه صفيحة زبالة؟ كنت صغيرة وحساسة، لم تمُر الكلمة عليّ مرورًا عابرًا، ولم آخذها على مَحمل أنْ قد خانَه التعبير أو أنه شخص غير لبِق.. كان قرارًا.. لن أتزوجه!».

انتبهت من شرودها وأجابت:

- لا.. كنت مخطوبة، وانفصلنا قبل الزواج.

****

fb/mashro3pdf

- 11 -

كانت انشراح تواصل بدأب تجربةَ كل وصفات نرجس، ربما تفلح إحداها في حل مشكلة منال التي ما زالت تحب طارق، وضعت انشراح طاسة الزيت على النار، أخذت ثلاثة قرون فلفل أحمر ودهنت كل قرن بزيت الزيتون، ثم وضعت الفلفل فوق النار وأخذت تردد وتقول «مساء الخير يا حرور، يا اللي انت أحمر زي الدم وقلبك أبيض زي السم، احرق قلب طارق ابن ليلي على منال بنت فردوس، زي ما انت بتتحرق قدامي»

سمعت صوتًا في الصالة:

- ماما فين يا شيماء؟

- في المطبخ يا أبله ناهد

- الله.. ريحه الفلفل المَقلي تُحفه، أنا محظوظة

استقبلتها انشراح بحرارة قائلة:

_ عينَيّا.. أقلي لك مخصوص، أصل دول مش للأكل، دول للحُب

_ وصفة مِن وصفاتك؟

- لا، وصفات نرجس، أهو بنجرب هنخسر إيه يمكن تيجي بفايدة، خفضت صوتها

- تعرفي يا ناهد بتمنّي الوصفة دي تجيب نتيجة، ليلى منها لله طلقت البت من طارق علشان غلبانة ومش قدهم.

fb/mashro3pdf

- وبتوطي صوتك ليه؟

- أصل منال هنا عايشة عندي من ساعة ما اتطلقت، ربنا يكون في عونها البت نفسيتها تعبانة قوي، بتحِبه.

كان اللقاء الأول بين ناهد ومنال، ولم يكن الأخير.

تناوَل الجميعُ طعام العشاء معًا، حضَرته انشراح في جو حميمي، دخلت منال إلى الغرفة تاركة ناهد وانشراح يكمِلان حديثهما.

قررت انشراح أن تسأل ناهد عن عادل هيدرا.

- ناهد هو انتي تعرفي رجل أعمال اسمه عادل هيدرا؟ هو تقريبا عنده قري سياحية

نظرت لها بدهشة:

- عادل هيدرا.. طبعا اعرفه، كنا مع بعض في نادي المعادي، بس أنا اعرف اكتر اخواته الأكبر منه، هُمّ اللي كانوا من سني واصحابي، وجده كان من مؤسسين النادي، انتي تعرفيه منين؟ وبتسألي عليه ليه؟

- بصراحه بس الكلام ده سر بيني وبينك، أنا بقالي فترة بشتغل في البيوت تنضيف وطبيخ، يعني مديرة منزل، وعندنا مش هيفهموا كده وهيقولوا خدامة، العيال كبروا ومحتاجة أزوّد دَخْلنا، حَسن زي ما انتي عارفة، وكمان مش عايزة اجرحهم...انا بشتغل عند والدته الأستاذة إيفون.

- ياه يا انشراح، الدنيا صغيرة قوي، تصدقي نفسي اكلمه واللهِ وحشتني ذكريات الطفولة دي، متتعوضش، معاكي نمرته؟ ولا اقولك

fb/mashro3pdf

بـلاش احسـن مجـدي يعمـل لي مشـكلة.

ـ بِجَد كنت بتسألي عليه ليه؟ أو على إيه يعني بالتحديد؟

- مـش عارفـة اقـول لـك ازاي! أصـل فيـه نـاس بيقولـوا عليـه انـه حرامـي بيـسرق النـاس وبياخـد فلـوس الشـعب وانهـم تبـع أمريـكا.

- إيـه؟ مـين بيقـول عـلى مـين حرامـي؟ ويقصـدوا إيـه بكلمـه حرامي؟ مـين هُـمّ دول الـلي تبـع أمريكا؟

- المسيحيين.

- إيـه؟ المسـيحين تبـع أمريـكا وبيسرقـوا فلـوس الشـعب؟ انتـي جبتـي الـكلام ده منـين؟

- مـش مهـم مـين، بـس اصـلي بحـب عـادل باشـا قـوي وشـايفاه راجـل محـترم جـدا، والـكلام ده ضايقنـي قـوي.

ـ بُـصي يـا انـشراح، لـو بتسـألي عـن عـادل هيـدرا أنـا اقـدر أحكيلـك عـن الأُسر المسيحية في الصعيـد، زي عيلـه عـادل هيـدرا وغيرهـم كتـير، كنـت اسـمع مـن ماما، بـس هـي طبعـا كانـت بتحكي مـن بـاب أنهـم بُخـلا وانـا كنـت شـايفة انهـا أسر مكافحـة انهـم بيعيشـوا عـلى المِـش والملوحـة وبيبعتـوا ولادهـم يدرسـوا في كامبريـدج، معظمهـم بـدأت ثروتهـم بنخلَـة، تخيـلي نَخلَـه! ماكانـش عندهـم فلـوس يشـتروا أرض اشـتروا نخلـه واحـدة، كانـوا ياخـدوا البلـح يبيعـوه والسـتات يعملـوا مـن البلـح مـربّى ويبيعوهـا ويبيعـوا الجريـد، وحتـى جـذع النخلـة الهايـش بتاعـه كانـوا بيبيعـوه قَـش، والفلـوس الـلي تطلـع يشـتروا بيهـا نخلـة تانيـة وتالتـة، وبعـد كـده بـدأوا يشـتروا الأراضي، بـس بصراحـة

fb/mashro3pdf

المسيحيين كانت عندهم فرصه أكبر لتعليم ولادهم في مدارس الإرساليات، وفي المدارس دي كان الطفل يتعلم اللغات الأجنبيه وخاصه الفرنسية ومبادئ المحاسبة، وكان الطفل اللي يبان عليه التفوق أو النبوغ تصر أسرته انه يسافر أوروبا يكمل تعليمه في السوربون أو كامبردج، وكان ده في أحيان كثيرة يضطر الأسرة انها تعيش على المِش والملوحة طول السنة علشان يقدروا يصرفوا عليه.

- أمّال ازاي وصلوا للعز ده كله؟

- الكلام اللي أنا باحكيلك عنه ده من أجيال أجيال قديمة، مع الوقت ظهرت طبقة من أبناء الأسر المسيحية متعلمة وتعرف لغات كويس، فكانت فرصتها في التوظيف في البنوك والأشغال اللي ليها علاقة بالدول الأوروبية وتحتاج لغات أكبر من غيرهم.

- وليه المسيحين بس؟ والمسلمين ليه لأ؟

-مين قال المسلمين لأ؟ طبعا كان فيه مسلمين بيعملوا كده، بس المسيحيين كانوا مهتمين أكتر بموضوع التعليم لأن الفلاحين المصريين كانوا بيشتغلوا في الأرض أكتر، وأكيد قُرب الديانة برضه بيكون سبب، يعني أنا اعرف مثلا أن كتير من الأجانب اللي كانوا مقيمين في مصر كانوا يفضلوا أن يشتغل عندهم أطفال مسيحيين لتقارب الديانة، علشان كده كتير من المِهن زي صناعة البمبوبون والآيس كريم والشيكولاته والدهب اللي كانوا الأجانب محتكرينها لما هاجروا، الأجانب معظمهم سابوا محلاتهم للصنايعية اللي

fb/mashro3pdf

كانوا شغالين عندهم، وكمان في حاجة تانية معظم الصاغة كانوا مسيحيين وده اداهم فرصة للتعامل مع الطبقات الراقية اللي تقدر تشتري الدهب، ولما الابن المتعلم كان يرجع من أوروبا كانوا بيعرفوا يلاقوا واسطة لتوظيفه في مكان كويس.

- طيب إيه علاقتهم بأمريكا؟

- نفسي اعرف جبتي الكلام ده منين؟ مش عارفة، بس اعتقد ان ده كلام مش مظبوط، ده أي كلام في أي كلام، عيلة عادل هيدرا بالذات عيلة وطنية، جده كان واحد من أهم المسيحيين اللي وقفوا مع سعد باشا ضد الانجليز، ده حتى في شارع متسمّي على اسم جده علشان الدور الوطني اللي قام بيه ضد الاحتلال الانجليزي.

وبعدين انتي إيه علاقتك بأمريكا والمسيحين والكلام ده؟ انتي رايحة تشتغلي عندهم وهُمّ ناس محترمين، أول مرة اسمعك بتقولي حاجة كده، ده انتي طول عمرك كوزموبوليتان يا انشراح.

- إيه بقي الكلمة دي؟ وهي تضحك

- يعني بتحبي كل الناس المسيحيين واليهود جريك وأرمن، معنديكش مشاكل من النوع ده

- آه أحب الناس كلها إلا أمريكا اللي جبتنا ورا وما أحبش الخاينين.

أخبار مجدي إيه؟

- تمام

fb/mashro3pdf

- ومالك بتقوليها كده من غير نفس؟.. متخانقين؟

- لا احنا مش بنتقابل علشان نتخانق، أنا بافكر آخد الولاد وارجع أعيش في فيلتنا في المعادي، البيت مقفول بعد وفاة ماما وبابا، وأنا كده كده لوحدي بشوفه قليل قوي، مجدي مشغول بكل حاجة في الدنيا إلا احنا، في الأول كان مشغول برسالة الدكتوراه مشغول في الجامعة والمحاضرات، وبعدين بقي مشغول بتأسيس وإشهار جمعية استصلاح الأراضي اللي أسسها تبع جامعة الأزهر، وبعدين تقسيم الأراضي وبيعها، ومزراع الموالح والتصدير ومصانع العصير ومنتجات الألبان، ودلوقتي بيفكر ينزل انتخابات مجلس الشعب، سياسة وحصانة ونفوذ وكده يعني.

- ربنا يزيده، وإيه المشكلة؟ على الأقل بيعمل لكم، حاجة، فلوس ومركز مش أحسن من اللي برضه مابيوزّكيش وشّه طول النهار والليل علشان قاعد يحشش على القهوة! على الأقل مجدي مش مخليكي محتاجه حاجة.

- مش عارفة يا انشراح، بس أنا مش لاقية نفسي، أنا فعلا بفكر ارجع اعيش في الفيلا.

- وهو هيرضي؟

- أكيد أنا حاسة انه مش معايا خالص، وهو بصراحة حتى مابيحاولش يقرّب لي بقاله كتيير.

- شكلك انتي كمان محتاجه قرنين فلفل على الطاسة، لأ تلاتة، الوصفة بتقول تلاتة،

fb/mashro3pdf

ممكن يكون في واحدة تانيه في حياته؟

- مـا اعتقـدش، بـس بصراحـة ماعادتـش فارقـة، أنـا عايـزة ارجـع لنفـسي، بفكـر اشـتغل بـدل مـا الدكتـوراه بتاعتـي محطوطـة في الـدولاب، أرجـع لأصحـابي، لدنيتـي.

- مش عارفة يا ناهد، بلاش تستعجلي، كده بداية النهاية

- أو يمكن بداية البدايـة، مش عارفة إيه الصح وإيه الغلط، بس هـو مـش معايـا وأنـا تعبت.

- أنـا مـش عارفـة واحـدة متعلمـة زيّـك وبتعـرف لغـات ليـه مـش بتحـاولي تِقـري كُتـب عـن العلاقـات الزوجيـه وأسـباب الفتـور والحُـب، دا أنـا زمـان اتعلمـت حاجـات كتـير قـوي لحـد النهـارده لسـه بسـتفيد منهـا مـن مجلـة طبيبـك، يـا ريـت أنـا بعـرف انجليـزي وفرنسـاوي زيـك، كنـت أكيـد فهمـت حاجـات أكـتر.

تذكـرت ناهـد مـا قرأتـه ذات مـرة في أحـد الكتـب عـن أسـباب فتـور العلاقـات :

«إن المحبـين المصريـن عـلى إجبـار الحـب عـلى الاسـتمرار في أكـثر أشـكاله الإيجابيـة، يقضـون أيامهـم في علاقـة يـزداد تحجرهـا يومـا بعـد يـوم. إذا لم يسـتطِع العُشّـاق فهْـمَ دوائـرِ التحـول ومتـى ينبغـي أن تمـوت الأشـياء وتسـتبدَل بهـا أشـياء أخـرى، فهُـم لـن يسـتطيعوا أن يحِـب أحدهـم الآخـر أعـلى أو أبعـد مـن طمـوح هرمونـات الجسـد».

ابتسـمت ناهـد بحـسرة قائلـة لنفسـها حتـى طمـوح هرمونـات الجسـد لم يعـد موجـودا عنـد مجـدي.

fb/mashro3pdf

استكملت انشراح حديثها:

أقولـك أنـا نويـت أسـتغلك لمّـا هاجـي لِـك المـرة الجايـة تكـوني اشـتريتي كتـب وتقريهـا وترجميـلي، أنـا اشـتقت قـوي لمعرفـة جديـدة لازم ارجـع اقـرا زي زمـان وعايـزاكي تسـاعديني.

ومـا أن أخـذت ناهـد سـيارتها وغـادرت المنـزل، حتـى جـاءت غـادة في زيـارة غـير متوقعـة، كان يبـدو عليهـا الإرهـاق كأنهـا خارجـة لتوّهـا مِـن معركـة.

سألتها انشراح:

-غادة انتي كويسة؟

- لا

-مالك؟ ايه اللي حصل؟

-رموا علينا مَيّة نار

- إيه؟ ميه نار؟ يا لهوي.. فين؟ ومين دول؟ انتي كويسة؟

- أيوه الحمد لله، كنت خارجة أنا وزميلتي من الـdps

- ايه؟

-الجامعـة الأمريكيـة، كنـا بنعمـل شـوية شـغل هنـاك، واحـد مِـن ضهرنـا بيسـأل لـو سـمحتي يـا آنسـة، لفّـت زميلتـي قبْـلي وأنـا لفّيـت بعدهـا بثـواني، رمـى علينـا مَيـة نـار، هـي جـت في وشـها ورقبتهـا ولأني اتأخـرت نسـبيًا عنهـا مَيّـة النـار جـت عـلى ضهـري وكتفـي، طبعـا صرخنـا ومافهمنـاش حاجـة، اختفـى، فيـه نـاس أخدونـا في عربيـة ونقلونـا مستشـفى المنـيرة.

fb/mashro3pdf

- مية نار!

كانت انشراح تعيد وتكرر مِن الصدمة.

ميه نار! ميه نار!

- أيوه يا انشراح، أنا الحمد لله اللبس حماني شوية، كويس اني كنت لابسة جاكيت تقيل، حروق بسيطة في ضهري وكتفي لكن هي حالتها صعبة جدا، الحروق في وشها ورقبتها ربنا يستر

- عملتي محضر؟

-أنا طول اليوم في المستشفى، وبعدين رحت اعمل محضر

-هيه وعرفوا مين؟

دي مش أول حادثة بالطريقه دي، الجماعات الإسلامية يا ستي يرموا مية النار على اللي مش محجبات واللي خارجين من كليات الفنون والجامعة الأمريكية.

- إيه؟ وهُمّ مالهم؟ يرموا على اللي مش محجبات مَية نار ليه؟ هُمّ فاكرين نفسهم ربنا؟ أستغفِر الله!

-بس اقولك على حاجة خفت، من ساعة ما خرجت من المستشفى وأنا خايفة امشي في الشارع، ده حتى وأنا راكبة التاكسي كنت خايفة لدرجة اني قفلت الشبّاك، كان عندي إحساس ان فيه حد هيمد إيديه من الشباك ويرمي مَية النار المرة دي في وشّي، وماحسيتش بالأمان غير أول ماوصلت المنطقة هنا.

-وماكلمتيش عادل؟

-عادل هيعمل لي إيه يعني؟ هيعيّن لي حراسة مثلا؟

fb/mashro3pdf

-لا ما اقصدش، يبقي جنبك يكلّم الظابط يهتم بالموضوع يعني، هو حد مهم برضه هيعمل أي حاجة.

- على فكرة أنا اعرف ناس مهمين غير عادل، بس ماحدش فيهم هيعرف يحميني من واحد يرمي عليا مَية نار في الشارع، انشراح أنا تعبانة والحروق وجعَاني وهدومي محروقة زي ما انتي شايفة، شوفيلي حاجة خفيفة البسها بدل الهدوم المحروقة دي.

خلعت غادة ملابسَها المحترقة، قامت انشراح بمراجعة الحروق وأعطتها جلبابًا خفيفًا واسعًا لترتديه وهي تقول لها:

-تصدقي كنت قلقانة عليكي طول اليوم، وبالرغم من أن ناهد كانت عندي بس كل شوية كنتي بتيجي على بالي.

-ناهد مين؟

ناهد، دكتورة ناهد، وسألتها عن عادل

-مش فاهماكي سألتي عنه ازاي؟ ومين ناهد دي؟ وهي تعرفه منين؟

اتعشّي بس وارتاحي واحكيلك في السهرة

بعد العشاء وفنجان القهوة استطردت انشراح في حكي ما دار بينها وبين ناهد عن عادل

-سألت عن موضوع انه بيسرق الشعب وانه بتاع أمريكا، وطبعا اللي انتي بتقوليه ده افترا اللي أنا عرفته ان جده كان راجل وطني وكان مع سعد باشا ضد الانجليز، وانه مِن عيله مكافحة

fb/mashro3pdf

- محسساني ان أهله كانوا بيعزقوا في الغيط، مين ناهد؟ وتعرفه منين؟

- ناهد، دكتورة ناهد بنت مصطفى بيه الرزيقي، ده كان وزير.

-مصطفى الرزيقي أستاذ القانون!؟ وزير بَس دا كان الكُل في الكل، ده كان تَرزي القوانين اللي بيفصل لهم كل حاجة علشان يسرقوا البلد وكله بالقانون، طبعا بنته هتقول ايه؟ وانتي تعرفيهم منين؟ كنت بتشتغلي عندهم؟

- لا، ناهد دي أنا مربّياها، كانوا جيران أخويا في المعادي

- وناهد ما قالتش ليكي انهم أيام السادات كانوا بيعملوا بيع لاراضي الدولة والمصنع والشركات الحكومية؟ وان السادات كان بيسترضي أمريكا ويدّى التوكيلات المهمة للمسيحيين؟

- مش عارفة ليه يا غادة حاسة انك مابتحبيش عادل، ده مش كلام واحدة بتحب، الحب بيخلي الواحد يشوف حبيبه أحسن حد في الدنيا، انتي بتدوّري له على غلطة على رأي المَثل مالقوش في الورد عيب قالوا يا احمر الخدين.

-ربنا يهديكي يا بنتي ده بيحبك ومستعد يبيع الدنيا والدين علشانك، فكري في الموضوع.. انتي بتحبّي حد تاني؟

- لا

- طيب بتحبّي عادل؟

- لا، يعني، مش عارفة، باحب اهتمامه بيّا، ذوقه، شياكته في تصرفاته، حنانه ساعات بحس اني بحبه وساعات لا

fb/mashro3pdf

-اسمعي مِني، الحب رزق، نِعمة، ولو رفضتي النعمه هتزول، عادل بيلِح عليّ عايز يقابلك، في المكان اللي تختاريه، قابليه مش هتخسري حاجة.

كان إصراره على مقابلة غادة والحديث معها وجهًا لوجه، هو طلبه الوحيد مِن انشراح، التي قررت أن تساعدهما، فهي ترى في نجاح أي علاقه حُب عوضًا لها عن فشلها مع إبراهيم.

استطاعت انشراح أن تؤثر على غادة قليلا، وأن تقنعها أن تعطي نفسها فرصة وأن يَذهبا مع عادل إلى الفيلا التي اشتراها، لتكون بيتًا له ولغادة إذا ما وافقت على الزواج.

كانت الفيلا تقع في هذا المنتجَع الكائن في الصحراء ليس بعيدًا عن الكلحة المسمّى بالقطامية هايتس، أول شيء تذكرته انشراح عندما دخلت هذا المنتجَع وشاهدت الحراسة المكثفة على الأبواب هو منظر ليلى وهي تتباهَى بشقتها في عباس العقاد، حاولت أن تطرد صورة ليلى التي تقتحمها طول الوقت وفي أي مكان، بينما كان عادل يشرح لهما بانبهار ويتحدث عن المشروع، كأنه خبير استثماري فخور بإنجازاته.

«انتم متخيلين الاستثمار الهايل اللي حوّل الصحرا لواحة بالجمال والفخامه دول، انتم عارفين مساحة الكمبوند قد إيه؟ مليون ونُص متر مربع، شفتوا جمال اللاند سكيب معمول بشكل احترافي ازاي؟ ده يأكد أن لاند سكيب ديزاينر متمكن ورا التناغم والتنسيق بين أحجام وأنواع الزرع وبين الممرات والمرتفعات، القطامية هايتس

fb/mashro3pdf

دلوقتي تعتبر أكبر منتجعات الجولف والتنس في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بعد ما نشوف الفيلا هنروح نشرب القهوة في ال clubhouse وبالمرة افرجكم على أحسن ملاعب التنس في مصر تبع أكاديمية سماش».

نظرت انشراح لغادة وهي كالتانهة وسألتها بصوت منخفض «ايه السكب ده؟»

أجابتها غادة: «الجنينة الزرع»

وعاد عادل مكملا شرحه:

- حمّام السباحة ده بقى بيسموه أنفينيتي بوول، مصمَّم بحيث يدّي انطباع الشلال اللي بيصب في الفراغ، واللي قاعد في البوول بيشوف كل حاجة مِن على حرفه»

وصلوا إلى الفيلا التي كانت عِبارة عن دوريْن وبيزمنت وروف، الدور الأول له حديقة فيها حمّام سِباحة خاص بالفيلا.

استطرد عادل في شرح كل التفاصيل كمَنْ يحاول أن يقنِع مشتريًا بجَمال بضاعته، كانت عيناه تنظران إلى غادة باستعطاف وتوسّل

«شوفتوا الشياكة، الباب من الخشب البلوط واخد لون تيك كلاسيك ومتطعم بالنحاس بشكل رقيق بس يعطي فخامة والمدخل مرسوم بالتطعيم بطريقة الوتر جيت من رخام الترافرتين علشان يعطي انطباع انه أنتيك» فتح عادل الباب ودعاهم للدخول، اتساع الصالة كان مبهِرًا وكَم الشبابيك المصنوعة مِن الزجاج السيكوريت الملون الذي يطِل على فراغ أخضرَ زاد مِن إحساس

fb/mashro3pdf

الاتساع، قِطع الأثاث كانت موزعة بشكل يبدو عشوائيًا، وعلى مسافات كبيرة وأشكال مختلفة

استطرد عادل في الشرح موجهًا كلامه لغادة:

-أنا عامل هنا Home automation system الستاير والنور والتكييفات والمزيكا كل حاجة ممكن تفتحيها أو تقفليها عن طريق التليفون.

أنهوا جولتَهم في الفيلا ذهبوا جميعًا لتناول الغداء في swing restranut، كان عادل مرتبكًا متوترًا، اقترب مِن غادة وهمس لها:

-أنا مش عارف ليه باكون ضعيف قدامك كده، مش بعرف اقول أي حاجة علشان كده كتبت ليكي الجواب ده.

مد يده في جيبه وأخرج الورقة وأعطاها لغادة.

الحُب لا يعرف وطنًا ولا دِينًا ولا جسدًا، الحياة أقصر مِن أن نضيعها في حسابات لا تهم الرب، لن يغضب الرب إذا ما أحببتك وتزوجتك، إنني سأعيش معك روحًا واحدة في جسديْن، سأنفذ مشيئة الرب وأنجِب منكِ أطفالا يعبدونه ويحبونه لأنه أعطاهم الحياة مِن بذرة حُب.. لم أعرف السعادة إلا معكِ

قولي أُحِبّكَ كي تزيدَ وَسَامتي

فبغيرِ حُبِّكِ لا أكونُ جميلا

قولي ولو كَذِبًا كلامًا ناعمًا

قَد كادَ يَقتُلُني بكِ التمثالُ

صنعتُ منكِ إلهي، عبدتُكِ، تنازلتُ عن كل أيقوناتي مِن أجلك،

fb/mashro3pdf

غـادة لم أعـرف الحـب إلا معـكِ أنـتِ روحـي ونصفـي الآخـر

قرأت غادة ما كَتبَه عادل سرحت قائله لنفسها كأنها تخاطبه

الـربُّ في السـماء ولـو أراد لنـا أن نجتمـع لخلقنـا عـلى ديـنٍ واحـد، إن مـا يحـدث لـك هـو اختبـار لإيمانـك، لا تضلّـل نفسـك، لـن تَجنـي مـما ترغـب إلا تعاسـة، إن حبـك لي خطيئـةٌ والخطايـا لا تجلـب السـعادة، عـادل هـل تتخيـل أن هنـاك مَـن يسـمح لـك أن تكـون كـما تريـد؟ نحـن نعيـش في مجتمـع لا يعـرف إلا القيود، ولا يسـمح بالبقـاء إلا لمن يرضخ لهـذه القيود، كُلنـا جبَنـاء، تربّينـا عـلى الخـوف أنـا وأنـت، هـل تسـتطيع أن تقـاوم؟

مَـن سـتقاوم؟ أسرتـك؟ مـاذا لـو سـمعتَ أن والدتـك ماتـت مـن الحسرة إذا علمـتْ أنـك تركـتَ دينـك؟ هـل سـتقدر أن تعيـش بـدون تلـك الـثروة التـي سُـتحرَم منهـا؟

هـل سـتتحمل أن يتلمّـز عليـك الآخـرون لأنـك تركـتَ دينـكَ مِـن أجـل امـرأة؟

هـل ستسـامحني إذا أغضبتُـكَ يومًـا مـا؟ أم أنـك سـتصرخ في وجهـي أننـي لم أكـن أسـتحق أن تـترك العالَـم مِـن أجـلي؟ سـتعيش مهزومًـا مكسـورًا ولكـن الأكـثر قسـوةً مِـن كل هـذا عندمـا تـأتي الشـيخوخة ويقـترب المـوت، ألـن تخـاف مِـن مواجهـة اللـه؟ سـوف تبـكي في سرك مسـتغفرًا ربّـك أنـك في يـومٍ مـا تركـتَ دينـكَ مِـن أجـل امـرأة

حبك لا يهم أحدًا، سعادتك أو سعادتي لا تعني أحدًا

ماذا سيخسر العالَم إذا عاش شخصانِ تَعيسيْن؟

المهم ألا يتمرد أحد، ألا يتحرر أحد

fb/mashro3pdf

قطع عادل أفكارها قائلا

-سرحتي في إيه؟

-عادل المشاعر دي عاملة زي النبتة لازم الظروف تساعدها علشان تكبر وإلا هتموت، هتعمل اللي انت عايزة وتغيّر دينك، ولما الحُب يخلص هتندم وساعتها أنا اعمل ايه؟ أنا مش عايزة آأذيك وأضيّع عمري في تجربه صعبة هتنتهي أكيد بعد فترة بس بعد ما تكون خسرت كتير.

نظر لها عادل وأجابها بهدوء

_أنا مش موافق، الحب مش بيموت

تدخلت انشراح قائلة: تسمحوا لي أقول رأيي

عادل أنا مش متفقة معاك في اللي انت عايز تعمله، وكفايه المشاكل اللي حصلت لما رحت الأزهر علشان تغيّر دينك، الحياة مش أبيض وأسود، بالعكس دول اللونين الوحيدين اللي مش شَبَه الحياة، ما تضحكوش.. الرمادي هو اللون اللي شَبَه الحياة، عارفين ليه؟ لأنه اللون الوحيد اللي ما بيكشفش القذارة.

استكملت موجهةً حديثها لغادة:

غادة انتي عندك حق ان الحب مش بيقدر دايما يقف قدام المشاكل والخسارة، عندك حق انك تخافي عليه انه ياخد الخطوة دي ويخسر كل حاجة وممكن بعد كده يندم.

وجهت كلامها لعادل:

مش لازم نهدم حياتنا وندمر نفسنا علشان الحب أو نثبت للي

fb/mashro3pdf

بنحبهم اننا متمسكين بيهم، ليه ما تدورش على حل وسط، على فكرة في بداية الإسلام ناس كتير أسلمت وأخفت إسلامها علشان مايقتلوهمش ولا يعذبوهم، صدقني أحيانا العبادة في السر أصدق، هتستفيد ايه انك تعلن إسلامك وتحارب مجتمع؟ هيطلعوا عينكم هيدمروكم، واوعى تفتكر انك وانت محطم هتعرف تستمتع بالحب ده أو هتقدر تديها حاجة، مش هيسيبوا في روحك حاجة تديها لها.

حبيبتي العمر قصير جدا، مفيش وقت لكل الصراعات دي، الحياة عايزة اللي يحايلها ويحترم قوانينها، والسعادة بتبقي لحظة لازم نخطفها بدل ما تسيبنا وتروح للي بيعرف يمد إيده وياخدها.

طلبت انشراح من عادل أثناء توصيلهما أن تنزل عند موقف ميكروباص السيدة عائشة، لأن الليلة مولد سِت فاطمة النبوية، قررت غادة الذهاب معها إلى هناك، كان عادل يود أن يبقى معهما ولكن انشراح اعتذرت له لأن هناك الأهل والأقارب وسيكون غير مقبول وجوده. استوعبَ عادل الموقف وقام بتوصيلهما مشيراً إلى المحمول قائلا:

-اتصلوا بيّا وانتم مروحين ابعت السوّاق يوصّلكم

مولد النبوية عيد سنوي لانشراح، تقابل فيه كل أحبتها وجيرانها القُدامى، حتى هؤلاء الذين تحسّنت أحوالهم المادية وتركوا الدرب الأحمر يأتون في هذه الليلة فلا أحد يتأخر عن النبوية

ما كل هذا الصخب؟ وما كل هذه البهجة؟ الشوراع الضيقة الملتوية تغرّد فوقها موسيقى إيقاعية مزيج من الدفوف وتصفيقات موحدة

fb/mashro3pdf

مع أصوات منشدة تتزاحم وتتدافع كأنها في سباق أيهم أقرب إلى مسامع النبوية، فرحي فرحي يا أُم الحنان، يسيرون يحملون لافتاتٍ من القماش الأخضر الستّان المطرز بخيوط ذهبية كُتِبت في حب النبوية كأنها زَفة عروس، موكب جماعي تتزايد الأصوات علوًا والتصفيق انتظامًا وتوحدًا كلما اقتربوا من المقام، يخترق هذا الهديرَ الجماعي أصوات جانبية لأطفال يهللون لا يقوى صوتهم على مجاراة الموكب، يكوّنون مجموعاتِهم الصغيرة تتخللها أصوات المزامير والصفارات بينما تتعالى الزغاريد النسائية الجماعية، تدعم الزخم المنظم في محبة أُم الحنان، تندمج انشراح كالباقين لا وقت حتى لتحية الأهل والأقارب، السلام فقط بالعين فالكُل يهتف يا أم الحنان يا أم الحنان.

يصل الموكب إلى المقام، لا يلتفت له هؤلاء الذين اندمجوا في حلقات الذِّكر حتى تاهوا عن هذا العالم، فلا لوم عليهم ولا هُم مطالَبون باتباع الموكب، أجسادهم تمايلت وأرواحهم سبقت الحاضرين إلى سِر النبوية، لا حرج عليهم فهُم يتراقصون مرتَدين ملابسهم الفضفاضة المغطاة بالأوشحة الخضراء تغرب أعينهم وتلتف رؤوسهم وأجسادهم في الحركات الدائرية حيث اللامنتهي وحيث الاكتمال، دقات الدفوف تدق على أجسادهم وتحركها، تحرك كل ما مات وكل ما أُجبِر على الاختفاء، أصوات المُنشدين كزجاجات خمر معتقة سكبت أنهارًا فهرع إليها العطشى والمولَعون.

جلست غادة بجوار انشراح تراقبها وهي تقبّل الأعمدة وتبكي بحرقة، عندما تتذكر كل مَن ذهبوا ولم يعودوا، حتى إبراهيم.

fb/mashro3pdf

لم تكُن غادة تعوّدت من قبل على زيارة الأضرحة ولا تفهمها، ولكنها شعرت بدفء هذا الجمع الهائل من البشر، قارنته بهذا المكان الواسع الممتلئ بالكراسي الفخمة والعمارة الجميلة والمساحات الخضراء الشاسعة الخالية من البشر.

انتهت الزيارة قالت انشراح لغادة:

اتصلي بعادل يبعت لنا العربية

أجابتها: لا مش مهم

كانت إجابتها مصدر شكٍ لانشراح

-إيه رأيك تيجي تباتي عندي النهارده؟ ما انتي كده كده لوحدك

وفي هذه الليلة الحميمية قامت انشراح بتحضير العشاء ثم فنجان القهوة .

سألتها مباغتة:

- انتي ليه ما اتصلتيش بالسواق بتاع عادل ييجي يوصلنا؟

- انتي فهمتي؟ صح

- فهمت ومش عايزه افهم، ليه ما اتصلتيش؟

-اللي شفته النهارده الصبح ده مش عيشتي ومش بتاعي ومش هاعرف اعيشه.

-ليه مش عيشتك؟ وكانت عيشة مين يعني؟ ده هو البتاع ده اللي كنا فيه النهارده أصلا لسه عاملينه السنة دي، وكل اللي اشتروا هناك كانوا برضه عايشين في شقق يمكن أشيك أو أغلى من شقتك، بس عادي يعني الدنيا بتتطور والناس بتطور نفسها، واللي معاه

fb/mashro3pdf

فلوس بيحسّن عيشته.

-انتي قُلتيها، اللي معاه فلوس، لكن دي مش عيشتي، دي عيشة عادل وفلوس عادل

-ما انتي هتبقي مراته وحاجته حاجتك

-وافرضي بعد فتره كرهني؟ أبقى أنا اعمل ايه؟ لا هخلّف منه طفل ولا هيكون ليّا أي حقوق، وبعدين أنا ممكن اكون بالنسبة له مجرد حاجة نفسه فيها، ولما ياخدها يزهق منها.

- أنا نفسي اعرف انتي جايبة القسوه دي منين؟ ليه مش مصدقة ان فيه حاجة اسمها حب؟ وبعدين ماشي اعملي حاجات تضمن حقوقك، وانتي ليكي حق في كده لأن جوازكم في السر، وأنا هاكلمه، أنا زي امك يكتب لك الفيلا باسمك ويحط لك مبلغ في البنك بدل المهر يعني، وبعدين ولو اني مبحبّش الأذى، لو قّل بأصله معاكي انتي تقدري تخربي بيته، ده بالعكس عمره ما هيعرف يعمل كده حتى لو فكر، ده روحه في إيديكي، انتي باين عليكي غاوية فقر، حد يرفض الحُب والعز؟

السعادة دي عاملة زي العَجلة بتلف لو مالحقتيش تخطفيها هتروح لغيرك.

تذكرت إيريني وكلماتِها، ضحكت بحسرة قائلة:

«عجلة فورتونا»

****

fb/mashro3pdf

- 12 -

إنها المرة الأولى التي تقابل غادة فيها ناهد، شيء ما بداخلها ضد ابنة مصطفى الرزيقي ترزي القوانين، وربما كانت غادة استأذنت وغادرت لشعورها بعدم الارتياح لوجود ناهد، ولكن ما أن بدأ التليفزيون في نقل مراسم جنازة ديانا سبنسر، التي هَز خبر وفاتها العالَم، حتى التفوا جميعًا أمام شاشة التليفزيون لمتابعه الجنازة، كما تابعوا جميعًا منذ ستة عشرَ عامًا زفافها الأسطوري.

كان جثمان ديانا في النعش يجوب شوارع لندن قبل وصوله لملاذه الأخير، موضوعًا على العربة الخشب تجرها الخيول ويتقدمها ستة مِن الخيول السوداء، مغلفًا بالعَلَم المَلَكي فوقَه باقات من زهور اللي لي الأبيض، التي وضعها تشارلز وابناها ويليام وهاري، كان النعش محاطًا بأفراد الكتيبة الثانية بزيِّهم الأحمر وغطاءات الرأس الفرو، يتقدم الجنازةَ زوجها السابق الأمير تشارلز وابناها وأخوها، بينما مئات الألوف من المفجوعين بخبر الوفاة المفاجئة وغير المتوقعة للأميرة ديانا أميرة القلوب، يُصدِرون همهماتٍ من البكاء المكتوم ويحمِلون الورود والشموع واللافتاتِ المكتوب عليها عبارات الحب. كانت شاشات العرض في شوارع العاصمة تنقل الجنازة بينما صوت ساحر يغني على الملأ، ساد صمتٌ غريب على انشراح وناهد وغادة ومنال وشيماء ابنه انشراح، عندما

fb/mashro3pdf

بـدأت موسـيقى بصـوت سـاحر تـودع ديانـا مبـاشرة خـلال مراسـم الجنـازة، تولـت غـادة ترجمـة كلـمات الأغنيـة لانـشراح ومنـال وشـيماء «goodby England rose» وداعًـا وردةَ لنـدن، حياتـك كانـت مثـل شـمعة في مهـب الريـح، بينـما بـدأت ناهـد التـي عشـقت ديانـا في الحـكي عـن حياتهـا لبسِـها، أناقتهـا، رقصتِهـا الشـهيرة مـع ترافولتـا، دعمِهـا للسـود والمَـرضَي، ذهابهـا إلى حقـول الألغـام، صراعاتهـا في القـصر المَلَـكي، وتصرفاتهـا التـي لا تناسـب التقاليـدَ المَلَكيـة التـي أثـارت انتقـاداتٍ كبـيرةً، وأكـبر مأسـاة في حياتهـا حُـب تشـارلز لأخـرى وإهمالـه لهـا وطلاقهـا، حتـى نهايتهـا كانـت مختلفـة، حادثـة سـيارة تمـوت فيهـا هـي وصديقهـا المـصري دودي الفايـد في نفـق في شـوارع باريـس! حقًـا شـمعة في مهـب الريـح، دمعـت أعينهـن جميعًـا عندمـا ظهـر عـلى شاشـة التليفزيـون جبـل مـن باقـات الزهـور والشـموع والكـروت والرسـائل الخاصـة، والقلـوب المصنوعـة مـن الـورق المفضـض، والشرائـط والأعـلام، وحتـى لُعَـب الأطفـال غطـت مدخـل قـصر كينجسـتون. عقّبـت ناهـد عـلى هـذه اللقطـة قائلـة:

كل هـذه الملايـين التـي تحبهـا ولكنهـا لم تشـفع لهـا عنـد قلـب تشـارلز، فعشـق امـرأة أخـرى حتـى كادت ديانـا تصـاب بالجنـون.

علاقـة امتـدت لسـنوات وسـنوات جمعـت بـين غـادة ومنـال وناهـد، بـدأت مـع دمـوع ملايـين النسـاء عـلى ديانـا، ووطدتهـا انـشراح برابطـه حـب والتـي جمعتهـن شـهريًا كطقـس عائـلي مقـدس حـول فنجـان قهـوه ، اسـتطاعت ناهـد بحكـم تلـك الصداقـة أن تفاتـح غـادة

fb/mashro3pdf

بخصوص عادل وتوضح لها كيف ينتمي عادل إلى أسرة وطنية، ولكن هذا لم يغيّر شيئًا من قرار غادة، رفضت الارتباطَ بعادل وامتنعت عن رؤيته تمامًا بالرغم من موافقته على كل الطلبات، أجابت بحزم «مش هاقدر».

أمّا هو فقدْ أجابها برسالة كتَبَ فيها:

«إنني أنتظر تلك اللحظة التي يتوارى فيها خوفك من المجهول أمام رغبتك في البدء، أنتظر تلك اللحظة التي تشعرين فيها أنكِ إنسانة تدركين فيها قيمًا أخرى غير تلك التي يلقونها لنا، قيمًا أكثر حقيقية وفِطرية، قيَم الحب والانصياع لمشاعرنا، ربما لن تدركي هذا إلا عندما تدخلين معركتكِ وتنتصرين فيها، وقتَها ستدركين أن كل ما انتصرتِ له جعلكِ واقفة في أرضٍ جدباءَ لا حياة فيها، وقتها ستكونين مجبَرة على البحث عن الحياة، عن الحب».

ظَل عادل يطمئن عليها مِن خلال انشراح التي أصبحت في حياته الصديقةَ والأخت الكبرى، كان يتابع غادة ويسهّل لها أمورها ويساعدها في أشياء كثيرةٍ في حياتها، ولم تعلم غادة مَثَلا أن الوظيفة التي تقدمت لها كان عادل السببَ الرئيسي في تعيينها فيها، حتى نشاطها المدني الذي بدأته بعد ذلك كان عادل يحميها ويسهل لها ممارسة نشاطها دون أن تعلم، أما انشراح فقدْ كان عادل قد قرر إبعادها عن أمه إيفون، التي أدركت بحاسة الأمومة أن انشراح ضليعة في علاقته بغادة، وحدّد لها راتبًا شهريًا وفي الوقت نفسه ساعدها عن طريق علاقاته في أن تعمل عند الطبيبة الإنجليزية

fb/mashro3pdf

السيدة مادلين، التي تسكن في المعادي ليس بعيدا عن الكلحة، وهو ما سيجعل نفقات المواصلات أقل كُلفة.

****

في بيتٍ مادلين كل شيء مختلفًا تمامًا عما شهدته من قبل، مختلف عن منزل كاترين أو ببريان، فهناك كنت تشعر أنك في منزل مِصري مخلوط ببعض أشياء، أمّا هنا فهي الغربة التامة، حتى رائحة هذا المنزل مختلفة، مزيج من روائح الصندل الأرز الريحان الباتشولي، بشكل عملي جدًا تتعرف السيدة على الخادمة الجديدة قائلة: الأستاذ عادل بيشكر فيكي جدا، اسمك انشراخ؟

تجيبها:

- انشراح

تحاول أن تنطق الاسم بلا جدوى، كل مرةٍ تعيد المحاولة تقول لها انشراخ انزعجت انشراح .

- كفاية يا مدام انشراخ انشراخ انشراخ، ربنا ما يجيب حاجة وحشة.

سألتها مادلين:

- ليه بتقولي حاجة وِحشة؟

حاولت انشراح أن تشرح لها معني كلمة «انشراخ» حاولت أن تجد في المنزل أي شيء فيه شرخ حتى توضح لها معنى الكلمة، لكنها لم تجد قامت مادلين بسرعة وأحضرت قاموس اللغة العربية

fb/mashro3pdf

وبحثت عن معنى كلمة «شرخ» وقتها نظرت إلى انشراح وقالت:

- لماذا فزعتِ عندما نطقت هذه الكلمة؟

- ده فال وِحش، احنا المصريين عندنا لو في طبق مشروخ أو كوباية لازم نرميهم علشان ده بيجيب النكد.

كانت الدهشة في عين مادلين إلى أبعد الحدود، هل يعرف المصريون قانون الجذب؟ هل يؤمنون بهذه النظرية التي تقول Where intentions goes energy flows؟ تتدفق الطاقة حيث يتوجه الانتباه، ضحكت في سرها قائلة إن انشراح سوف تفيدني كثيرا.

نظرت إلى انشراح وقالت:

- أوكي، هناديكي انشرا

أُعجبت انشراح باسمِها الجديد، كانت سعيدة بهذه الآتية من بلاد التقدم والعِلم والحضارة، وبالرغم من حدتها الخارجية، لمحت داخلها انشراح إنسانة رقيقة حنونة أحيانًا غريبة تملك من التصرفات الشاذة أو غير المألوفة، ولكن انشراح كانت تعلل ذلك بأن لكل شعب طباعَه.

- انشرا، أنا سيدة منظمة جدًا، كل شيء لا بُد أن يوضع في مكانه، لا يجوز لكِ تغيير مكان أي شيء، تسير أمامها لتوضح لها أهمية بعض الأشياء، تشير إلى برطمانات زجاجية مملوءة بالمياه إحداها تحت السرير وأربعة أخرى في أركان الغرفة، قائلة لها: هذه البرطمانات لا بُد أن تغيّري المياه فيها كل يوم وتُضيفي لها قَدرًا مِن المِلح، ثم تعيدي وضعها في الترتيب نفسه، السرير يقع في

fb/mashro3pdf

منتصف غرفة النوم، لا يجب تحريكه ولا سنتيمترًا واحدًا.

أمّا مِرآة التسريحة فكانت مغطاة بقطعة قماش داكنة ترفعها الخواجاية عند احتياجها للنظر في المِرآة، ثم تسدل قطعة القماش مرة أخرى .

- هذه القطعة الداكنة لا ترفعيها أبدًا

كان هناك على مدخل المنزل مِرآة شكلها غريب، ذات شكلٍ هندسي ثمانية أضلاع ومرسوم عليها أيضًا أشكال غريبة، بِها مِرآة محدّبة في المنتصف، أشارت مادلين إلى انشراح:

- هذه مِرآة البكاوا لا ينبغي لكِ أن تلمسيها

وجدت انشراح أيضًا ثماني عُملات مضفرة بشريط أحمر ومُعلّقة بجوار النافذة، أشارت لها مادلين:

- هذه النافذة يجب أن تظل مفتوحة طوالَ الوقت

أعطت مادلين لانشراح بعض التعليمات أيضًا، غلّق باب الحمّام دائمًا، وضْع غطاء التواليت وعدم ترك المرحاض مكشوفًا أبدًا، لا يجوز أن يوجد أي تراب على أي جزء في الشقة، هذا بالإضافة إلى الالتزام التام بالمواعيد.

أنهت مادلين تعليماتِها قائلة:

-أهم شيء يا انشرا بعد كل ما قلته أنه يجب عليكِ أن تمسحي الشقة يوميًا بالماء والمِلح.

نظرت انشراح مذهولة إلى هذه القادمة من بلاد العِلم والتحضر تؤمن وتفعل ما كانت تفعله نرجس قائلة في سِرها «واضح ان مش

fb/mashro3pdf

بس جدتي اللي جاهلة ولا ان المصريين بس هُمّ اللي عندهم تخاريف، وواضح ان الخرافات دي موجودة عند الناس كلها حتى الإنجليز!»

كانت مادلين عندها عادات أخرى غريبة، منها أنها كانت تأتي بكلب ثم تُطلِقه داخل الشقة وتنتظر أين سيجلس الكلب، ثم تقوم بعد ذلك بوضع كُرسيها الهزاز في المكان نفسه الذي اختاره الكلب، والعكس تأتي أحيانًا بقِطة وتتركها في المنزل فإذا اختارت القطة مكانًا لتجلس فيه فإن السيدة تقوم بوضع قصاري الزرع والورد في المكان نفسه الذي اختارته القِطة، إنها ذكريات شديدة البعد نَسيتها سنواتٍ طويلة وتعاملت معها على أنها جهل مِن جَدتها، وهي الآن ترى هذه السيدة الأوروبية المتعلمة تفعل ما كانت تفعله جَدتها، تمسح الأرض بالماء والمِلح، تصرخ في انشراح عندما تجدها أمام المِرآة قائلة لها ماتبصيش في المراية كتير احسن تتجنني

تتذكر جَدتها وهي تُذكّرها دومًا بغلق باب الحمّام، ووضْع حَلة على عين الحمّام، ذكريات شديدة البعد لم تهتم بها انشراح ولم تفهمها كما لم تفهم مطلقًا كيف تحل الباذنجانة مشكلةَ إنسان «لقد حيَّرتني هذه الباذنجانة منذ طفولتي تأتي جَدتي بمنتهَى الحماس قائلة:

انزلي يا انشراح هاتي كيلو بتنجان عشان نخلص مِن النكد اللي في البيت ده وتعالي بسرعة قبل ما حد ييجي»

تَجري انشراح إلى السوق، وجهها شديد الجِدية، طفلة في مهمة رسمية سرية، تشعر بنظرات خَضرَه بائعةِ الخضار تراقبها، أكيد هذا

fb/mashro3pdf

ليس اسمَها الحقيقي ولكنهم هناك في درب شغلان اعتادوا على تلك الأسماء، بائعة الخضار خضره، السمكري بِليَه، صاحِب دكان الجبنة والمِش والمرتي حلاوه، أمّا هيام الراقصة اسمها هيام سوسته، وتاجِر البوظه اسمه الباشا، أحيانًا كانت الطفلة تتلكّأ في طريق العودة وخاصةً عندما تمُر بجوار منزل هيام سوسته، تقترب مِن شُبّاك غرفتها الذي تستره قطعة قماشٍ مهترئة، تمعن النظر مِن خلال قضبان الشبّاك الحديدية في شكل التسريحة وكَمَ أدوات الزينة الموضوعة عليها وعدد الباروكات، مِن الشبّاك تشب على أطرافها حتى تتمكن مِن رؤية حُجرة هيام سوسته بتفاصيلها الأنثوية المثيرة التي لم يكُن عند أُمها أو جَدتها أبدًا ما يشبهها، ولكن دائمًا صوت أُم قويق - كما كان أطفال الحارة يطلقون عليها لشراستها في التعامل معهم - يقطع هذا التأمل صارخة فيها «امشي على بيتكو يا بت يا انشراح، لو أمك شافتك هتنسل الشبشب على جتتك، لا يكون نفسك تطلعي رقاصة زي مرات ابوكي! دي أمك تموت من الغيظ؛ أمّال هتعايره بإيه؟»

لم أصدق يومًا أن الباذنجان هو بيض الجان كما كانت نرجس تقول دائمًا، وأن رائحة شيه على النار تُذهِب النكدَ وتفك السحر حتى ذلك اليوم الذي طلبتْ مِني مادلين أن أضع باذنجان على النار، ولكنها بخلاف جَدتي طلبتْ مِني أن أُحضِر باذنجانتيْن إحداهما بيضاء اللون والأخرى سوداء، وأن أضعهما على خلاف بعضهما البعض بحيث يكوّنَانِ معًا شكْلا شِبه دائري ثم أضعهما على النار، سألتها لماذا؟ فقدْ أصابني الفضول، مادلين تفعل كما كانت تفعل جَدتي وعندما سألتها

fb/mashro3pdf

عن السبب أجابتني أن الباذجان هو «اليانج واليين» الأبيض والأسود يكوّنانِ معًا دائرة الحياة وبشؤيهما على النار تتجدد الحياة وتتحسّن.

وأنا أيضًا أشعر أن حياتي سيئة، حَسن دائمًا في غرفته التي دخلها منذ الأشهر الأولى مِن زواجنا، أسمع آهاتِه وتأوهاتِه على أصوات أنثوية تعدت على زوجي وغرفة نومي وفراشي، أمّا أنا فاعتدتُ على تلك الأصوات التي كنت أسمعها مِن الكَنَبة التي أنام عليها في الصالة سأفعل ما كانت تفعل جَدتي وتفعل مادلين، سأقوم بِشَيّ الباذنجان وسأصدق ما قالته لي نرجس أن رائحتة تجلب الطيبين إلى المنزل.

كان العمل عند مادلين سببًا كافيًا لأن تعيد انشراح النظر في علاقتها بنفسها و بجَدتها وبما كانت تفعله، وخاصة بعد أن شرحت لها مادلين أن هذه العادات هي عادات سليمة، تفسرها علوم الطاقه، وأن كثيرا مما يعتبره الناس معجزات وخوارق، ما هو إلا ظواهر يكشف العلم أسبابها المنطقية بالتدريج، حتى موتها المتكرر الذي جعل الجميع يثق بأنها تملك شيئا خارقا، فسرته لها مادلين علميا، وأن ما يحدثَ معها كان شيئًا عِلميًا يفسره العلماء بظاهرةٍ يسمونَها أو- بي - إي O-B-E Out Of Body Experince بمَعنى «خبرة خارج الجسد، ولكن المدهش أنها عندما حاولت شرح هذا التفسير للجميع، اعتبروا أنها تخفي عليهم قدراتها وتبخل عليهم بالمساعدة.

****

fb/mashro3pdf

- 13 -

احتلت غادة مكانَ منال تدريجيًا في الغرفة القابعة بين غرفة حَسن وغرفة الأولاد، بعد أن بدأت غادة في تحقيق حُلمها وعمل دروس محو أُمية بالمجان في منطقه الكلحة، تشارَكتا المكان قليلا، ولكن منال أصبحت تتغيب كثيرًا ما بين إقامتها المتقطعة عند أمها في باب الشعرية، وسهراتها التي تنتهي عند حلول الصباح، تأتي بعدَها إلى انشراح، تغيرت منال كأن الحزن أضاف لها مسحة جمال خاصة، فأصبح كل مَن يراها مِن الرجال يشتهيها، لا أحد يعلم هل هذا بفضل ما صنعته لها انشراح من وصفة، أم بسبب ما كانت تملك مِن جمال وحلاوة، لكن المؤكد أنها قررت ألا تظل هي الفتاة الفقيرة التي تعيش على السطوح في باب الشعرية، أو تَقبَل بعريس مِن مقاطيع قهوة الطشطوشي، كانت الفترة التي قضتها مع طارق كفيلةً أن تعرف أماكن الكافيهات والبارات التي ترتادها هذه الطبقة، قدمت نفسها في كل مكان طليقة رجُل الأعمال طارق عويضة، كان هذا اللقب بطاقةَ مرورٍ داخل هذا المجتمع، كما أن منال امرأة «حِرشة» في لغة رجال هذه الطبقة، والتي تَعني مِن وجهة نظرهم تلك التي تملك أصولا شعبية، ولكنها تجيد تقديم نفسها كسيدة مجتمع.

لم تتوانَ عن أن تكون جريئة وفَجة مع هؤلاء الرجال، وفي أقل

fb/mashro3pdf

من سَنة ضاجعت منال كثيراً مِن رجال الأعمال المعروفين، ولكن بعد أن تعاشِر الرجُل مرة تختفي ولا ترد على تليفوناته، وإذا قابلها صدفة تتجاهله أو تنظر إليه نظرةَ احتقارٍ، لم تفهم انشراح ماذا تفعل منال؟ يلاحقونها بهدايا الذهب والألماظ والسيارات، حتى عروض الزواج، جميعهم يعرفون انشراح وعنوان منزلها، حيث يقومون بتوصيل منال إليها بعد السهرة، وكثير منهم يعرف رقم تليفون منزلها يُمطِرون انشراح بالتوسلات وطلبات التدخل للواسطة في إقناع منال، يتركون مع انشراح مفاتيح السيارات والشاليهات والشقق، تَعِدهم انشراح بالتدخل ولكن دون جدوى، فمنال ترفض كل شيء، لا تريد الارتباط بأي شكل من الأشكال حتى لو مجرد علاقة.

منزل انشراح هو محطة الوصول، بعد كل سهرة تحكي لها مع مَن كانت وكيف قضت سهرتها، وأحياناً إذا كانت راضية عمّن معها تدعوه إلى الصعود إلى منزل عمتها لشرب فنجان من القهوة، حَسن لم يعترض على كل هؤلاء الضيوف الذين تستدعيهم منال، بل كان يدافع عنها وعن زوجته إذا تطفّل أحد من الجيران أو الأقارب وعلّق على زيارات منال الليلية بصحبة رجال مختلفين، لدرجة أن انشراح شكّت أنه ربما يُحِب منال، ولذا يوافق على كل ما تفعله حتى ولو على حساب سُمعتِه، في الحقيقة ما كانت تفعله منال لم يُرضِ انشراح، لأنها عندما عملت لها الوصفة كان هدفها أن تجد منال لنفسها فرصةَ زواج جيدة مِن وسط هؤلاء المعجبين، ولكن

fb/mashro3pdf

ليس أمامها إلا أن تتحملها وتصبر عليها، بل وتتحمل مِن أجلها لَمَزات وغمزات الأهل والجيران وتدافِع عنها وعن نفسها قائلة:

منال عاملة زي الطير المدبوح، سيبوها تفرفر، حتى الفرفرة مستكترينها عليها؟

ولكن عندما علمت أن منال ضاجعت أعز صديق لطارق، مِن الممكن القول أنه صديق طفولته، وقامت بتصويره معها في الفراش وأرسلت لطارق الصور.. وقتَها جُن جنون انشراح، كانت تشعر أنها المسؤولة عن كل هذا الانهيار، نَعَم تعلم أن أصل الوصفة أن كل مَن يراها مِن الرجال يشتهيها جنسيًا ، ولكنها تصورت وقتَها أن منال ستستغل هذا وتختار لنفسها زوجًا مناسبًا، كانت تشعر بالذنب وكانت مضغوطة، لدرجة أن رأت في منامها كأنها انهالت على منال بالتوبيخ قائلة:

«أنت تقطعين كل الخيوط وتؤكدين له كل ما قالته ليلى عنكِ، إذا كنتِ متصورة أنكِ تثيرين غيرتَه فإنني أؤكد لكِ أنكِ تثيرين قرفَه ورفضَه، ثم قولي لي كيف قَبِل هاني أن يخون صديقَه؟!

بدت منال في الحُلم كأنها خبيرة عالِمة بأسرار الرجال، وردت عليها ببرود امرأة محنكة:

ما الخيانة في علاقتي بهاني؟ لا توجد خيانة، أنا لم أَعُد زوجة طارق، أمّا كيف وافق هاني فلماذا تتعجبين؟

تأكدي يا انشراح أن أي امرأةٍ في العالَم مهما قلت درجة جمالها، تملك ليلة مع كل رجُل في العالَم إذا أرادت، الليلة الأولى لها كأنها

fb/mashro3pdf

حـق أو مِلـك، كأن الطبيعـة أهـدت كل امـرأة ليلـة مـع كل الرجـال، لا يوجـد رجُـل مهـما عظُـم يرفـض الليلـة الأولى، وعـلى المـرأة ألا تكـون غبيـة وتسـعى إلى الليلـة الثانيـة، لا أريـد مـن الرجُـل غيرَهـا تلـك الليلـة التـي يأتينـي فيهـا راغبًـا شَرّهـا مُحِبًـا، ولا بُـد أن ينتهـي المشـهد عنـد تلـك الليلـة، مشـكلتك يـا انـشراح أنـكِ تحكمـين عـلى الرجـال مِـن خيالـك وتتصورينهـم، وتتعاملـين معهـم مِـن خـلال الأغـاني والأفـلام ومقـولات جَدتـكِ ونصائـح أُمـك، تعـالَي معـي السريـر لتتعلمي مَـن هـو الرجـل! هنـاك عندمـا يكـون عاريًـا مِـن كل شيء تستطعين رؤيـة الحقيقـة!

إذا أردتِ أن تتعامـلي مـع الرجُـل فـأول الـدروس أعطيهـا لـكِ، لا تسـتمعي إلى مـا يقولـه هـو، إن هـذا الكائـن تحركـه أشـياء أخـرى لا نعلمهـا نحـن ولا يعلمهـا حتـى هـو عـن نفسـه، ولا تكـوني كالأغبيـاء وتتصـوري أن مـا يحركـه هـو الجنـس، إنهـا الخدعـة التـي يـروّج لهـا الرجـال حتـى لا نفهمهـم، الخدعـة التـي صدقناهـا وحوّلنـا أنفسـنا إلى دُمَـى أو عرائـس متحركـة يحركونهـا بخيـوط تُمسِـكها أيديهـم، فترقـص لهـم وقتَـما يريـدون ونحـن واثقـات أن هـذا مـا يجعلنـا نملكهم، نَسِـينا أن الرجُـل مخلـوق بداخلـه فِطـرة المحـارِب، وهـل يَهـوى المحاربـون أن يقضـوا حياتَهـم في تحريـك دُمَـى؟

إنهـم يملكـون الرغبـةَ الأكيـدة في البقـاء، والقـدرةَ الهائلـة عـلى تلقّـي الضربـات والاسـتمرار، يتعاملـون معهـا بحكمـةٍ وقـوة لأن الهزيمـةَ تَعنـي المـوت، حبُّهـم للحيـاة وإحساسـهم بهـا يفـوق إدراكنـا، مـا

fb/mashro3pdf

يجعلنا نتصور عنهم اللامبالاة، ولكن في الحقيقة هم يعلمون أنهم لا يملكون رفاهية الانهيار أمام أي ضربة...

في السرير تكتشف المرأة هذا المحارب، فقط عليها ألا تكون مجرد دُميَة.

ربما تتصورين أنني أبالغ، لقد تخلّى عني طارق لأنني كنت مجرد دُميَةٍ راقصة، ولكنني الآن بعد أن فهمت طبيعة المقاتِل أستطيع أن اقول لكِ بكل ثقة

سيأتي طارق يومًا ما راكعًا، حتى بعد أن رأى صوَري في الفراش مع هاني».

استيقظت انشراح من نومها وبداخلها رفض عجيب لتلك المرأة الجافة، وحمدت الله أنه كان مجرد حلم ولأول مره تتمني ألا يعود طارق لمنال.

وكأن القدر يلعب لعبتَه، قررت منال أخيرا الزواج، اختارت أحد رجال الأعمال أو بمعنى أصَح أحد التجار الأثرياء، كان يكبرها بفارق عُمْر كبير جدا، لم تفهم انشراح اختيارها وهي التي كان بمقدروها الزواج بمن هم أكثر شبابا وجاذبية منه، انتقلت لحياة جديدة معه كأنها تركت مكانَها على الكَنَبة لمرزوق، أمّا الجزء الثاني مِن الكَنَبة المصمّمة على شكل حرف L التي تقع في الصالة بين غرفة حَسن وغرفة الأولاد، والتي ظلت لفترة طويلة لغادة التي تركتها أيضًا بعد أن أتمت برنامج محو الأمية، تركتا الكَنَبة التي ظلت تستضيفهما سنواتٍ ليست بالقليلة، وكانت شاهدًا على كثيرا من

fb/mashro3pdf

انكساراتهما وخيباتهما، حتى تستقبل مرزوق وزوجتَه أُم لقاء وابنتَهما، والذين عادوا إلى مصرَ هربًا مِن الحرب والغزو الأمريكي، بعد أن سقَط تمثال صدّام في بغدادَ، كان مرزوق يحكي وهو يبكي وصوته مَليء بالانكسار وتشعر أن قلبه يسقط على الأرض، مع صوت السقوط المروع للتمثال تسمع صوت ارتطام قلبِه، لم يكُن لمرزوق وزوجته مأوى عند عودتهما فمنزل درب شغلان قد تركته حياة وانتقلت إلى السكن مع انشراح حتى وفاتها، سيد أيضًا مات، وأبناؤه لا يعرفون مرزوق وليس مِن الطبيعي أن يقيم عند ليلى.

الكَنَبة الواقعة بين غرفة حَسن وغرفة الأولاد، كانت الملجأ الأول والمؤقت لمرزوق وأم لقاء، حتى يستطيعانِ توفيق أوضاعهما وتدبير مسكن وعمل، كما كانت ملجأ للكثيرين قبلهما وبعدهما.

****

fb/mashro3pdf

- 14 -

خرجتْ مِن حجرتها شِبه عاريةٍ لا يكسوها إلا ورقة توت، متهدلة الثديين، شامخة النظرة، تتحرك بكل حريةٍ وتلقائية كأنها بكامل ملابسها، تنادي على الشغالة والطبّاخ، وتستدعي السائق لتعطي لهم تعليماتِها اليومية، لم يستوعب أحد ماذا حدث! الدكتورة تجلس على الكرسي جلستَها الصباحية المعتادة، تلف ساقًا على ساق، تشعل سيجارتها، تطلب مِن الشغّالة بهدوء أن تصنع لها فنجانًا مِن القهوة، كل شيء عادي، الطقوس الصباحية اليومية نفسها، الفَرق الوحيد أنها عارية، لم يجرؤ أحد من الصدمة أن يتكلم، ربما كان هدوؤها وتلقائيتها هما ما جعلهم ينكرون ما ترى أعينهم، تلعثَموا، وضعوا وجوَهم في الأرض خجلا من النظر إليها، حاولوا أن يتماسكوا أمام هذا المشهد الغريب، أمّا هي فكانت مستمرة في إعطاء التعليمات بداية للطباخ فقدْ طلبت منه أن يحضر لها على الغداء تيبيناكي الذي أصبحت تعشقه الفترة الأخيرة، لدرجة أنها أرسلت طباخهَا في دورة متخصصة لتعلُّم أصول الأكل الياباني والصيني، بدأت تشرح للشغالة ما يجب عليها أن تفعله، تعطي للسائق برنامج خط السير اليومي، مضت دقائق قليلة لم يسمع فيها أحد ما قالت، ذهبَ تأثير الصدمة التي ألجمتهم جميعًا، أخذ كل منهم يستوعب الموقفَ، الطباخ شرد في جسدها العاري

fb/mashro3pdf

تمامًا أمامه بكل مفاتنه كأنه في حُلم ألف ليلة وليلة، نَعَم الأميرة مِلك يديه تقف عاريةً أمامه، ولكن الغريب أنه لم يتحرك له ساكن، حاول أن يستغل هذه الفرصةَ ليستمتع قليلا ولكن صدمة الواقع جعلته لا يشعر بأي شيء، بل بدت له لوهلةٍ أنها تشبِه البقرةَ التي اقتناها يومًا ما عندما كان يعيش في قريته الصغيرة ورآها منفرة!

تأكدت الخادمة في قرارة نفسها أن الدكتورة جُنّت، قررت أن تساير أمورها وتتحجج أنها ذاهبة لتشتري أي شيء، ستخرج ولن تعود هربًا مِن هذا الجنون.

أمّا السائق فكان تفكيره الوحيد كيف ستخرج الدكتورة لقضاء مشاويرها بهذا الشكل؟ تَخيّل نفسه يقود السيارة وهي تجلس في المقعد الخلفي كعادتها هادئة لا تتكلم، ترتدي نظارتها وتقرأ شيئًا ما في كتاب أو جريدة، لا تتكلم معه على الإطلاق، لقد أملت عليه البرنامج اليومي كعادتها، سوف يذهب إلى الجامعة ثم إلى إحدى المؤسسات الخيرية، ثم إلى زيارة صديقتها ثم... ماذا سيفعل؟ وكيف سيتصرف لو قررت أن تخرج بهذا الشكل وهي السيدة الفضلى التي لم يرَ منها أي تصرف مسيء؟ ماذا حدث لها؟ لا لن يَقبل هذا، لن يتحرك في شوارع العاصمة يقود سيارة لامرأةٍ عارية.

دَق جرس الباب، التفت الجميع رعبًا، ماذا سيفعلون؟ هل يفتحون الباب؟ نظر بعضهم إلى بعض، أجابت السيدة بهدوء

fb/mashro3pdf

افتحوا الباب، لم يستجِب أحد، قالت بلهجة آمِرة افتحوا الباب.

كانت انشراح، لم يكن أحد مِن العاملين بالمنزل يعرف أصل هذه العلاقة، تصوروا أنها ربما كانت مِن إحدى المؤسسات الخيرية التي تتولى إدارتها الدكتورة أو من أحدي أقاربها من البلد ممن يطلبون المساعده ، ولكن كل ما كانوا يعرفونه أن الدكتورة تُكِنّ لها كل الاحترام، فلم تسمح لأحد أبدًا أن يناديها باسمِها، وكانت تعرفها دائما بأنها «الحاجّة» مع عِلم الكُل أنها لم تَحُج، تَدخل انشراح مبتهجةً كعادتها، ولكن ما أن رأت ناهد عاريةً حتى صرخت فيها:

-فيه إيه؟ قاعدة كده ليه؟

أجابتها ناهد بهدوءٍ مفتعَل:

-مافيش حاجة يا انشراح عادي

استدارت انشراح لكل الموجودين صارخةً فيهم:

- هو معادش فيه ضمير؟ سايبينها كدا وقاعدين تتفرجوا عليها؟ معندكوش ولايا؟ حسبي الله ونِعمَ الوكيل

وبحركة لاإرادية سحبت انشراح مفرش الترابيزة ولفّتها به، حاولت ناهد أن تقاوم انشراح، تفوهت بكلمات وجُمَل مِن قبيل إيه اللي انتي بتعمليه دا؟ أنا حُره، أنا ماسمحلكيش، أنا عملت إيه يعني؟ بيّنت جسمي؟ عادي زيّه زي الترابيزه مافيهوش حاجة، مابيحركش حد، ما بيثيرش حد».

ولكن انشراح كانت أقوى منها، لم تستسلم لمقاومتها، لفّتها

fb/mashro3pdf

بالمفرش وأخذتها في حضنها بحنان أُم تحمي ابنتها، وضعت يدها على فمِها حتى لا تكمل ما تقول أمام الشغالين.

طلبت منهم الانصراف، أخذت تفكر كيف تنقِذ ناهد مِن هذه الفضيحة، فهؤلاء الشغالون مؤكد سيحكون لمَجدي أو لأولادها وللجيران والبوّابين، وحتى إذا لم يحكوا كيف ستكون نظرتهم إليها؟ وكيف سيعاملونها بعد ذلك؟ كانت انشراح تعلَم جيدًا أن مجدي هجر ناهد منذ فترة طويلة، ولكن هل مِن المعقول أن يكون هذا السبب؟ ما الذي فجَّرَ الموقف حتى تصل إلى ذروة الانهيار؟ ولكن مهما كان السبب وقوته فلن ينقذها مِن أن تسوء سُمعتها وأن تلوكها الألسنة حتى لو قالوا جُنّت، فالجنون في حد ذاته وصمة. نظرت انشراح إلى الطباخ قائلة:

-الحقني بسرعة ببتنجانة سودة وحطها لي على النار.

أمّا السائق فأمرته:

اذهب بسرعة للعطار وهاتلي من عنده كف مريم وبخور جاوي و..»

لم يتحرك أي منهم مِن مكانه، ظلوا ينظرون إلى انشراح بذهول، صرخت فيهم قائلة:

-اتحركوا بسرعة، الدكتورة ملبوسة بواحدة خوجاية عايزاها تمشي على حَل شَعرها»

احتجت ناهد مقاطعة انشراح:

- ملبوسة إيه وتخاريف إيه؟

fb/mashro3pdf

لم تُعطِها انشراح فرصة، قالت وهي تنظر في عينيها نظرة بقوةٍ وحسْم معناهما «اسكتي»

«أيوه ملبوسة بواحدة خوجاية، انتي ماتعرفيش حاجة، أنا اللي بعرف في الحاجات دي، اسكتي واسمعي الكلام».

كان جميع الخدم والسائق يعملون بهِمةٍ لتنفيذ كل ما طلبته انشراح، وضَع الطباخ الباذنجان الأسود على النار وهو يتعجب مِن هذه المرأة التي تملك هذه الحِيَل، رائحة البخور الجاوي تملأ الفيلا حتى تعذرت الرؤية مِن كثرة الدخان، طلبت مِن ناهد أن تدخل غرفة نومها وأن تسترخي على الشازلونج، أغلقت عليهما الباب، وقف الطباخ والسائق والشغالة خلف باب الغرفة كي يتنصتوا، انشراح كانت متأكدة أنهم سيفعلون ذلك، تركتهم حتى يسمعوا ما أرادت إيهامَهم به، خَفّفت نور الغرفة، ظلت تقرأ آياتٍ قرآنية وتهمهِم بجُمَلٍ غير مفهومة تتخللها كلمات هي قَوي.. قادر.. لا ينام.. نَعَم... طلباتكم مُجابة في ما لا يُغضِب الله.

استرخت ناهد على الشازلونج مستسلِمة لانشراح، سألت انشراح كأن هناك أشخاصًا آخرين في الغرفة توجِّه لهم السؤال:

- بتعملوا فيها كدا ليه؟ دي سِت طيبة وعمرها ما أذتش حد

بالطبع لم يجِب أحد، أعادت السؤال، وبالطبع أيضًا لم يجب أحد.

أجواء البخور تهيمن على المكان، انشراح موجهة حديثَها إلى ناهد:

- انتي سليمة، ماتخافيش بس احنا مش عايشين لوحدنا على

fb/mashro3pdf

الأرض دي، ربنا خالق مخلوقات حوالينا، وساعات هُمّا بيعملوا معانا مقالب لو احنا زعلناهم في حاجة، عشان كدا لازم نصالحهم ونعمل رضوة، والبخور دا هو الرضوة بتاعتهم، نامي دلوقتي وارتاحي وبعدين نتكلم، بس ماتطفيش البخور دا، سيبيه لمّا يتطفي لوحده.

استراحت ناهد وبدأت تطمئن وتَدخل في النوم كطفلٍ هدهدته أُمه، خرجت انشراح من الغرفة، جلست في الصالة تدخن سيجارتَها وقلبُها يعصره الحزن، هل مِن الممكن أن تكون ناهد ابنة الدكتور مصطفى الرزيقي، تلك الفتاة التي ملأت المعادي ضجيجًا وصخبًا بحيويتها وجمالها وعلمها وثقافتها الواسعة، ضعيفةً إلى هذا الحد فتصدق خرافاتي التي ابتدعتُها حتى أنقذها مِن ألسنة الشغالين؟ هل لهذه الدرجة كسَرها رجُل؟ هل إهمال مجدي لجسدها يصل بها لهذه الدرجة؟

أصبحت ناهد هشةً، نَعَم فقدت ناهد ثقتها بأنوثتها وبنفسها، فقدت أصلا الإحساس بأنها أنثى وأنها مرغوبة وأنها تملك جسدًا ربما يشتهيه رجُل، لدرجة أنها خرجت على الرجال عاريةً دون أن تشعر بالخجل. ناهد على حافة الجنون، أخذت انشراح تفكر كيف تنقذها، إن علاج ناهد الوحيد أن يقع في غرامها رجُل ترتضيه وتحبه، يعيد لها ثقتَها بنفسها، ولكن مِن أين تأتي انشراح بمثل هذا الرجُل؟ وهل تستطيع أي قوةٍ في العالَم -حتى السحر- أن تجعل أحدًا يحِب أحدًا؟.

****

fb/mashro3pdf

- 15 -

كان لقاءً همجيًا جمَع بينهما، وما المانع؟ فالهمَج أيضًا يتحابون ولكن بطريقتهم، لو كان مهذبًا وسيمًا، لو كانت متحضرةً راقية لَمَا كانا تجانَسَا، نظرت إليه نظرة سافِرة، عضت على طرف شفتيها وخاطبته:

- إنت يا...

أجابها بطريقتهم:

-عايزه إيه يا بت؟ عينك مِني ولا إيه؟

أجابته:

- هو البعيد حمار؟ مابيفهمش؟ أُمال أنا عورت شفايفي عليك ليه؟ مش علشان أعرّفك ان انت اللي مَليت دماغي!

ركبا معًا الميكروباص ودفع لها الأجرة وتكمل حديثها:

- عايزاك في مصلحة.

ابتسم ابتسامة عريضة فقالت:

-لا مصلحة بجد، الهزار ده ييجي بعدين

****

- زوبة.. المشهورة بـ»زوبة انت يا...»

-عمتي

-اعملي لي وصفة مِن بتوعك، عايزة الواد وليد ييجي تحت رِجليا

fb/mashro3pdf

-وليد مين؟

-هو فيه غيره؟ وليد البطل!

-انتي اتجننتي؟ وليد البلطجي؟

-بلطجي؟ والنبي يا عمتي بلاش أفكارك القديمة دي، هو اللي يعرف يدافع عن نفسه ويخلي الدنيا تعمل له حساب يبقي بلطجي؟ ده كفاية ان الواحدة تبقي ماشية مع واحد عارفة ان الكل بيهابه.

-يهابه إيه وحساب إيه؟ ده الواد ده اتضرب ضرب واتخرشم خرشمة، ده كان هفية

-آه ما هي في الأول بتبقي كده يفضل يتضرب يتضرب ويتهان لحد ما جِتّته تنحّس وقلبه يجمد، ويتعلم ان السنجة مابتموّتش.

- يا زوبة اعقلي ده كل يوم متجرّجر على الاقسام.

-لا ده كان زمان لما كان صغير، دلوقتي بقي الكُل في الكل، الظباط دول قلبهم ضعيف هُمّ شطّار بس جوّه القسم، علشان كده بيحتاجوا الرجالة اللي زي وليد يسدوا بدالهم برة في الشارع.

-وانتي بقي لو اتجوزتيه هتعيشي منين؟ دا مافلحش في حاجة ولا عنده ولا صَنعة ولا شهادة، ده حتى زمان اُمّه ودّته في ورشة خالك سيد الله يرحمه، اتضرب ضرب لمّا قال كفاية علشان يتعلم ومافيش فايدة.

- ما هو عنده صنعة ومش أي صنعة «فتوة»، أو زي ما بتحبي الشياكة يا عمتي «بودي جارد» ده بياخد في الخناقة شيء وشويات.

- هيضربك ويبهدلك.

- لا يا خالتي مابيضربش النسوان غير اللي مابيعرفوش يضربوا

fb/mashro3pdf

الرجالة، واللي مابيعرفوش ياخدوا حقهم من الدنيا، وبعدين أنا مش غبية.

- والنبي انتي هتودّي نفسك في داهية، وأمّك وابوكي هيوافقوا؟

-هُمّ يطولوا؟ ده أنا لو اتجوزت البطل هيتعمل لهم حساب في الحتة كلها، المهم أنا علّقته في الميكروباص انهارده وقلت له اني عايزاه في مصلحة، وادّيته معاد عندك في البيت بُكرة، اتصرفي بقي اعملي له وصفة شرّبيه حاجة، المهم يطلع من هنا على المأذون.

-إيه؟ معاد عندي في البيت؟ تجيبي لي البلطجي ده عندي؟ وعمك حَسن اقول له إيه؟ ووصفة ايه يا بِت اللي هتخرجه من هنا على المأذون؟ ماكانش حد غلب، انتي مصدّقة الكلام اللي أمك وليلى بيقولوه عني؟

-يا خالتي دا انتي تنقلي الحيطة، وبعدين ما انتي كل الناس بتيجي عندك، غادة وعادل والدكتوره ومنال ورجالتها، اشمعني أنا يعني؟ خليكي جدعة معايا واللهِ هبسطك لو الموضوع تم.

-خرّجيني انا من الموضوع ده يا زوبة، يحصل حاجة أمّك وليلى ياكلوني ويرجعوا يقولوا انشراح ميّلت بخت البِت.

-أنا جايّه بُكرة والمعاد الساعة سبعة، بَلا أمي بَلا ليلى، كل واحد يشوف مصلحته.

زوبة الجريئة التي تعوّدت أن تأخذ ما تريد حتى وهي طفلة، فعندما كانوا يجتمعون على الطبلية يجلس الأطفال جميعًا ينتظرون نصيبهم من اللحم أو الفراخ، كانت زوبة تمد يدها في الطبق وتأخذ ما تريد دون انتظار.

fb/mashro3pdf

زوبة الشهيرة بـ «إنت يا»

فقدْ كانت تبدأ حديثها مع أي رجُل بهذه الجملة «انت يا» ثم تصمت قليلا، ثم تطلب ما تريد، تنطقها بطريقة فيها مزيج من الكِبْر والتعالي والميوعة والدلَع، تصاحِبها نظرة شقية متحديّة والتي تربِك أي رجُل، لدرجةٍ تجعله غالبًا ينفذ ما تريده دون تفكير.

رغمًا عنها ترددت انشراح قليلا، فلم تكُن راضية عن اختيار زوبة، وأخذت تفكر: أليس مِن الأفضل أن تقوم بعمل وصفة تبعِدها عن هذا البلطجي؟ زوبة مثل ابنتِها ومِن حقها كأُم أن تدافع عنها، ليس في الأمر أي خيانة.

أعياها الصداع ربما مِن التردد والتفكير، فقدْ كانت دائمًا أمينة مع كل مَن طلب منها وصفة، بالرغم من عدم اقتناعها التام بجدوي ما تعمله، ولكنها زوبة، انتابها خوف من أن تكون وصفاتها فعلا صائبة وتكون النتيجة أن تتزوج زوبة هذا البلطجي، وفجأة شعرت برأسها يثقل كأنها على مشارف حالة نُعاس وبدأت تسمع صوت الزائر الليلي لأول مرة في المطبخ وليس في الحلم كالعادة! الصوت يلِح عليها وهي تقوم بتحضير العشاء لحَسن، أصابها ارتباك شديد كأنها عشيقة لا تعرف ماذا تفعل بعشيقِها وزوجُها على وشك الوصول.

ودّت لو طلبت منه أن يختفي ولكنه بادَرَها بالحديث:

أعلم كيف تحبين زوبة، كيف ترين فيها الوجه الآخر لكِ الذي ما يزال يملك قوة أن يحارِب على الملأ، لا تلوميها على اختيارها، إنه اختيارها ويكفي أنها امتلكت القدرة على الاختيار، ولا تشارِكي في هدمها، هل تريدين لها أن تعيش مثلما عاشت أُمّكِ تعاني

fb/mashro3pdf

من الشعور بالضآلة والجفاف، حتى تسلم جسدها في ليلة لعرّاف نصّابٍ تحت وطأة الاحتياج؟ أم تريدينها مثل ناهد تتحمل الخِزي والتجاهل بدعوى الفضيلة حتى تصاب بالهلاوس والاكتئاب؟ هل ترغبين أن تكون منال ثانية تتحول إلى وحشٍ ضارٍ يريد أن يلتهِم أي شيء وكلّ شيء بعد أن جاعت روحها؟

كانت نقطة تحولٍ في علاقة انشراح بالزائر الليلي، فبعدَ ظهورِه في المطبخ ليقنِعها أن تدافع عن زوبة، أصبح ظهوره متكررًا في أي وقت وأي مكان، لم يعُد يأتي في المنام متشكلا في صور مختلفة كما كان يفعل سابقًا، تحوّل إلى صوتٍ يلازمها ويقتحم مناقشتَها مع أي شخص، صوت لا يسمعه غيرها، يتدخل في الحوار ويقول رأيه، يوضّح أشياء ويشرح لها معانيَ، ويعطي مقترحاتٍ ويذكرها دائما أنها تملك «فيريل» وكما قالت في مذكراتها:

«ما زلت أشك أن هناك قوة غريبة تحركني، أنطق بلسانها، أميل لتصديق أنها عقلي الباطن، ولكنها أحيانًا تتحدث عن معارفَ بحكمةٍ وخبرة ولغة وفصاحة لا أمتلكها، ولكني كنت قد قرأت مرة معلومة لست متأكدة من صحتها، تقول إن الإنسان يحتفظ في ذاكرته بخبرات الأجيال السابقة والتي تنتقل إليه كعواملَ وراثيةٍ، ربما يكون هذا مصدر المعرفة».

****

fb/mashro3pdf

- 16 -

هـل تُطلِـق سراحَ أنوثتهـا وتسـلمها لهـذا المجهـول؟ سـألت ناهـد نفسـها، كانـت رائحـةُ الرغبـة تفـوح مِـن سريرهـا ومِـن دولاب ملابسـها، مِـن جـدران الحوائـط، مِـن الأَسـقُفِ المعلقـة مثـل حياتهـا بـين السـماء والأرض، هـذا المثـير القرمـزي الـذي يئِـس مِـن مكانـه في خزانتـه، هـل حـان أخـيرًا الوقـت لترتديـه؟! كانـت تتذكـر كلـمات انـشراح وتنفـذ تعليماتِهـا بـكل الدقـة، يجـب أن تسـلمي نفسـك لملـك الجـان الـذي يحبـك ويعشـقك، والـذي مِـن غيْرتِـه عليـكِ وقـف في طريـق أي رجُـل يقـترب منـكِ حتـى زوجـك، إنـه أحـق بـكِ مِـن أي رجُـل.

أدارت الموسـيقى التـي تحبهـا، أغرقـت جسـدَها بروائـح القُطـن والشـاي الأخـضر ومزجتهـما برائحـة الفانيليـا والشـيكولاتة، شربـت حتـى الثمالـة كـؤوس نبيذهـا الأحمـر والـذي عتَّقَتـه رغـمًا عنهـا، سـنوات لم يـأتِ وظلت زجاجـة النبيـذ في انتظـاره، تسـمع صوتًـا مفعـمًا بالرغبـة والحـب:

«أرجـوكِ ارضي عنـي أحبّينـي، أحببتـك عمـري كلـه اشـتقتُ لـكِ ولم أشـتَهِ امـرأةً غـيرك»

تملأهـا زهـوة متعـة الأنثـى المرغوبـة، يَطلـب منهـا أن ترقـص لـه، تـكاد تـتردد ولكنهـا تتذكـر كلـماتِ انـشراح افعـلي لـه مـا يريـد فهـو يحبـك ويسـتحق منـكِ أن تمتّعيـه وتمتّعـي نفسـك معـه، رقصـت في البدايـة عـلى مضـض وخجـل مـن نفسـها ومـما تفعلـه، هـل جُنَـت

fb/mashro3pdf

لهذه الدرجة؟ ترقص استربتيز لرجُلٍ غير موجود؟ ولكنها سرعان ما اندمجت في الرقص المتواصل كأنها في زار، تعِبت وألقت بجسدها على سريرها المخملي، رأته شديدَ السمرة ذا ملامحَ جميلةٍ، مفتولَ العضلات، ولكنه كان ضخمًا جدًا تمثَّلَ في أركان الغرفة الأربعة قابعًا عليها مثل الإلهة نوت إلهة السماء، سألته ما اسمُك؟

أجابها: اختاري لي ما شئتِ من الأسماء.

أجابته: لا.. أنا أريد أن أعرف اسمَك الحقيقي

- بماذا تهم الأسماء؟ نادِيني كما تريدين، اسمي شهاب ولكن قولي لي حبيبي

- ماذا تريد مِني؟

- أحِبكِ

-ما معنى هذا الحُب؟ وكيف تريدني أن أُحبك وأنت دمرتَ حياتي؟ كل هذه الآلام التي عشتُها كانت بسببك، حَرَمتني مِن زوجي.

-لا تقولي هذا، لقد أحَبكِ مَن هو أعظم وأشرف مِن هذا التافه الوصولي، لقد أحَبكِ وأغرِم بكِ مَلك مِن ملوك الجان، استمتعي بهذا، استمتعي بحُبي لكِ وتأكدي مِن أنكِ أنثى فوق العادة.

ودّت أن تصرخ فيه قائلة ولكني أُحِب زوجي هذا الوصولي، مَن أعطاك الحق في أن تجبرني أن أكون لك.

مرت بذاكرتها كل لحظات القسوة والتخلي، أرادت أن تطرده مطالِبةً إياه أن يتركها حتى تحيا حياة طبيعية، ولكن ضعفها واحتياجها ورِقّة عَرضِه لحُبه، وصوته وهو يقول أحبِّيني كما أحببتكِ وادخلي في

fb/mashro3pdf

عالَمي، أيتها المَلِكة أحبّيني حتى تعرفي معنى العشق، دِفء قُبلاتِه على جسدها، يداه السمروانِ اللتان التفتا على خصرها، رائحة النبيذ المعتّق، صوت الموسيقى، ملمس قميصِها القرمزي، كل ذلك جعلها تستسلم لليلةٍ استوائية برائحة الشيكولاتة، أطلقت فيها ناهد العنانَ لأنوثتها وسلمتها لهذا المجهول، ولم تدرك كيف انتهت هذه الليلة الصاخبة إلا عندما التصق قميص نومها علي جسدها وراحت في نوم عميق حتى الصباح.

كانت ليلة صعبة على انشراح، تعلَم أن ناهد في هذه الليلة تنفّذ تعليماتِها مصدقه أنها تقضي ليلة حمراءَ مع الجان الأسمر، شيء ثقيل على قلبها يؤلمها جعلها تعيد النظر في علاقتها بالزائر الليلي، هل يكون هو الآخر جانًا؟

وللمرة الأولى ينتابها هذا الشعور، وبدأت تتحدث إلى نفسها:

أنا لا أريد هذا الزائر الليلي، لا أريد هذا الصوت الذي يطاردني ويأمرني، للمرة الأولى أشعر أنه غريب وأنه عِبء؟ لم أجرؤ مرة أن أسأله كأنه منطقة محظورة ممنوع الاقتراب منها، لا أعرف لماذا الليلة بالتحديد أتتني الشجاعة أن أسأله:

- إنت مين؟

أجابها

-انتظرت هذا السؤال كثيرًا، أخيرا يا انشراح تخلصتِ من خوفك وأصبحتِ قادرة أن تفتشي في نفسك وتبحثي عن ذاتك، انتظرت اللحظة التي تكونين فيها قوية وتملكين القدرة على المواجهة.

fb/mashro3pdf

أعادت السؤال بشكل أكثر إصرارا:

- انت مين؟

- أنا روح من أرواح سوماتي، نحن موكلين بالبحث عن البشر الذين يملكون حب الخير والإرادة والقدرة على المقاومة والعطاء، نحن أرواح معلّمة ودورنا ببساطة أن نمدهم بالمعرفة والطريقة التي تساعدهم في تنفيذ الخير، لأنهم هُم مَن سينقذون البشرية من الدمار، هُم السبيل لإطالة الحياة على الأرض، لأنهم مَن سيحققون التوازنَ أمام قوَى الشر.

_انت جِن؟ انت عفريت وأنا ملبوسة صَح كده؟

-لا، أنا روح سوماتي

انهارت انشراح قائلة

أنا مش عايزه أرواح معايا، أنا مش نرجس، وحتى لما كنت بعمل وصفاتها كنت مقتنعة ان دا نوع مِن العلاج النفسي، حاجة بتصبر الناس وتديهم أمل يخففوا به وجعهم، لحد ما يقدروا يعدوا أزمتهم، ومش هاقبل تكون حياتي تحت رحمة جان يسخّرني ويأمرني.

- اهدي يا انشراح، في الحقيقة الموضوع بعيد تمامًا عن فكرة الجان، نحن أرواح معلمة ولا نملك قوة أن نأمر أحدا أو نسخره، ولم أُعْطِ لكِ قوة خارجية، كل ما فعلته أنني نبهتك أنك تملكين الكثير.

سأذكّرُكِ كيف تم تنبيهك أول مرة، هل تتذكرين ليلة عُرس نجوى؟ عندما منعت ليلى سيد مِن أن يعطيكِ بعض المال لتشتري فستانًا جديدًا لتحضري العرس.. هل تتذكرين ماذا حدث؟ وجدتِ على

fb/mashro3pdf

السلّم مَبلغًا كبيرًا من المال يكفي لشراء عدة فساتين وليس واحدًا! هل تتذكرين كيف تصرفتِ؟ أعلنتِ أنكِ وجدتِ مَبلغًا من المال حتى يَظهر صاحبه، وبالطبع لم يَظهر أحد حتى أصبح المال حقًا لكِ فاشتريتِ من الفساتين ما يحلو لكِ وقمتِ بتصفيف شَعركِ عند الكوافير، هل تتذكرين ماذا قلتِ لنفسك وماذا قال لكِ الآخرون؟

شردت انشراح بذاكرتها بعيدًا، تذكرت كل ما حدث، تذكرت كيف بكت مِن السعادة لشعورها أن الله لم يَخذلها وأرسل لها مالا أغناها عن ليلى، ابتسمت ابتسامة واسعة وأجابت نَعَم تذكرت، وقتَها شعرت أن الله يحبني، أُمي وسيد وعواطف أيضًا قالوا لي إن الله يُحِبك يا انشراح.

-هذه كانت الرسالةَ الأولى، وهي أهم رسالة أن تعلَمي أن الله يحبكِ، وهذه رسالة يترجمها العقل البشري في اللاوعي إلى معادلة «الله يحبني، إذن أنا إنسان جيد» فليس مِن المعقول أن يحب الله شخصًا شريرًا، أما بقية المعادلة والتي تحدث أيضًا في اللاوعي، فلا بُد أن أظل إنسانا جيدًا حتى أحتفِظ بمحبة الله ومساندته.

كانت انشراح تسمع ما يقال ولا تفهم شيئًا، وما علاقتها هي بإنقاذ البشرية مِن الدمار؟ ولماذا هي بالتحديد؟ وما دورها؟ ومَن هذا السوماتي؟ وما فائدته؟

ازدحمت كل الأسئلة الصعبة عليها والإجابات الأصعب، تمنّت لو كانت صمتت ولم تسأله مَن أنت، وأكملت الباقي مِن عمرها دون أن تسأل.

fb/mashro3pdf

لاحَظَ السوماتي ارتباكَها وتشتتَها، لكنه استطرد شارحًا:

انشراح، إن الإنسان نفسه يملك مِن القوَى ما يغيّر به مسار الحياة بل مسار الكون والمَجرات في السماء وحركه دوران الأرض، أنتِ تملكين قوة خارقة حقيقة، قوة جبارة هي قوة الرأفة، وتتمتعين بقدره نفسية شافية، لقد كان عيسى المسيح يعالِج الناس بقوة الرأفة.

قطعت انشراح حديثَ هذا السوماتي منفعلةً عليه قائلة باستنكار:

إأنت بتتكلم عنّي أنا وتشبّهني بالمسيح والقديسين وأولياء الله الصالحين! أنا مَن سأنقذ البشرية من الدمار، واضح انك مش فاكر بير السلم وزغلول الباشا وغيره، نسيت اني اختليت بإبراهيم وتركت له نفسي؟ أنا واحدة من النادرين اللي هينقذوا البشرية؟ واضح أنك أخطأتَ أيها العفريت... تضحك ساخرةً.. ولبستني بالخطأ.

قلت لك أنا لست عفريتا ولم ألبس جسدك، أنا فقط قمت بدور المعلّم الذي يكتشف الطالب الموهوب ليدعمه ويعطيه مزيدًا من الثقة في نفسه وقدراته، ثانيا أنتِ لستِ ملاكًا، أنتِ بشر، هذا الذي تقولينه لا يعني شيئًا، كل ما قلتِه هو طبقًا لحدود معرفة العقل الضيقة وتصوراته عن الفضيلة، أما الروح فلها حسابات أخرى، الروح تقوى عن طريق المعاناة وتتطهر وتسمو وتصبح أكثر قدرة على العطاء والتفاعل، كلما زادت معاناتها وآلامها، وكل ما تعتبرينه خطيئة هو في واقع الأمر معاناة، وكل ما اعتبرتِه رذيلة كان إذلالا وقهرًا، إن من يفعلون الخير مِن برج عالٍ ويمدون أيديهم بالعطاء مِن خلال النافذة، كمَن يقف تحت المطر وهو يحمل مظلة، أما

fb/mashro3pdf

هـؤلاء القلائـل مثلـك، الذيـن رغـم كل هـذه المعانـاة ظلـت قلوبُهـم تملـك الرأفـة والصـدق والرحمـةَ والحـب والقـدرة عـلى المقاومـة والحلـم والعطـاء، فهُـم أعمـدة اسـتمرار البشريـة، ويجـب علينـا نحـن أشـخاص سـوماتي أن ندعمهـم.

اسـتيقظت انـشراح مـن نومهـا مفزوعـة، لا توجـد أي إجابـات عـلى أي أسـئلة، فقـط تـزداد الألغـاز، والآن يوجـد لغـزٌ آخـر غـير فيريـل، شيء يسـمّى روح سـوماتي!

****

fb/mashro3pdf

- 17 -

وقفتْ غادة في شرفة منزل انشراح تدخن سيجارتها على استحياء، وفجأة لمحت سيارةً تشبِه سيارته، لا بل هي سيارته، مِن المستحيل أن يكون الأمر قد اختلط عليها، وبالرغم من بُعد المسافة النسبي فهي تقف في شرفة منزل انشراح في الدور الثالث لتستطيع التحقق مِن وجْهِ مَن يجلس أمام عجلة القيادة، ولكنها لا يمكن أن تخطئه حتى بعد أن مرت سنوات، هو بوجهه الخمري النحيف وشَعرِه البُنّي الغامق، الذي يبدو أنه بدأ يتساقط على استحياء، جلستُه الواثقة أمام عجلة القيادة والتي لم يبدّلها الزمن، وربما زادت ثقة، فهو الآن يشغل منصبًا شديد التميز في الدولة. ما الذي أتى به إلى هنا؟ كيف استطاعت سيارته أن تعبُرَ فوق أكوام القمامة؟ وأن تمشي في تلك الحواري الضيقة الملتوية، التي لا تستطيع تحمل نتواءتها والتواءاتها إلا عربات الكارو أو السيارات القديمة التي رفض المرور تجديد رخصتها لعدم صلاحيتها، والتي اعتبرها أصحابها مربعًا صفيحًا ففضّلوا الانتفاع بها وتأجيرها كوسيلة انتقال، ينقلون بها السكان مِن الشوارع الرئيسية إلى تلك المنطقة التي لا يعلم أحد بوجودها على الخريطة إلا الله؟! فهُنَا لا مرور ولا رُخَص! بدأت ضربات قلبها تعلو وهي تتابع السيارة تبحث عن مكان للركن، وكأن الدم تجمّد في عروقها وأصبح وجهها شاحبًا، وشعرت ببرودة شديدة في أطرافها

fb/mashro3pdf

وبدأت تتصبّب عَرَقًا، لم تصدق ما رأت عيناها.

إنه يركن سيارته بجوار منزل انشراح! كيف عرَف أنني هنا؟ لقد غيرتُ رقم موبايلي وتركت بيت الزوجية الذي جمعني به سبْعَ سنوات، سبع سنوات من الممنوعات، نَعَم هذا سر حياتي الكبير الذي لا يعلمه أحد، هذه هي المنطقة المظلِمة التي لا أستطيع البوحَ بها حتى لانشراح أقربِ الناس إلى قلبي، لا أعلم لماذا لم أحكِ؟ هل أنا حقًا باقية لهذه الدرجة على عهدي له بأن زواجنا سيظل سرًا مدى الحياة؟ أم أنني لا أريد أن أحكي لأنني ما زلت أتألم؟ بعد هذا الصباح حين وجدت على المِرآة ورقةً مكتوب عليها بقلم فلوماستر أنتِ طالِق! كيف عرَف أنني هُنَا؟ وهل هذه مشكلة بالنسبة له؟

ما زلت أتذكر تلميحاتِ زوجة خالي السخيفة، «تفتكري طنطك سوسن هترضى تخطُبك لحاتم؟ أنا شايفة ان عينُه مِنك يعني والابتسامات رايحة جاية ما بينكم»

كنت أرد بحِدة: ماعرفش، وبعدين أنا وحاتم مفيش بينا حاجة

كنت أشعر أن حاتم يرمقني، يلاحقني بنظرات إعجاب، ولكنه لم يصارِحني بشيء، كان هناك أيضًا شيء ما في إحساسي لم أصارح نفسي به ولم أعترف حتى به، تقابلنا في مأتم خالي بعد عدة سنوات، حضرَ حاتم المأتم مع نهال أختِه وزوجته، أمّا طنط سوسن والدته قريبة أُمي فقدْ توفّاها الله.

كُنا في قاعة النساء في الجامع، أتى حاتم ليقدم واجب العزاء لي، اقتربَ مِني وهمَس لي: غادة.. البقاء لله، ده رقم موبايلي اتصلي بيّا

fb/mashro3pdf

ضروري علشان أساعدكم في إجراءات الميراث، الحاجات دي هتبقي صعبة عليكم هابعت معاكي حد يخلصها ليكي.

كان اللقاء الثاني مباشِرًا، إذ باغتني «انتي عارفة ان ماما كان نفسها تخطُبك ليَا، انتي عارفة ان انتي الست اللي أُمي كانت شايفة انها هتسعدني».

وقتَها تذكرت كلام زوجة خالي فإذا بي أساله أيضًا بشكل مباشر «غريبة، طيب وليه طنط سوسن الله يرحمها ماجاتش تطلب إيدي؟».

أجابني بلهجة تملأها الحسرة: «النصيب»

تعددت اللقاءات وانتقلتُ مِن منزل خالي في بادئ الأمر إلى شقة المَنيَل، حيث انتقلت أنا للإقامة بعد وفاة خالي.

وقتَها كان حاتم يعمل في النيابة، لم يكُن دخْله كبيرًا، كان دائم الشكوى مِن أن راتبه ضعيف، وأنه لا يكفي التزامات أسرته، لم تكُن هذه المسألة تمثل لي شخصيًا أي أزمة، فقدْ كنت أعمل في أحد برامج الأُمَم المتحدة التي كانت تحقق لي عائدًا محترَمًا، وكان يضحك دائمًا ويقول: إحنا بنقبض ملاليم وانتوا بتقبضوا بالعُملة الصعبة. ولذا وافقت على الزواج حتى بدون دِبلة، لن أنكر أن هذا كان موجِعًا، فأنا أعلم جيدًا أن سِعر دِبلة ذهب لن يساوي الكثير، ولكني ترفعت عن هذه الصغائر، هل سأتضايق من أجل دِبلة وهو يعطيني نفسه؟

ولكن ظلت المشكلة الكبرى التي ازددات تعقيدًا مع مرور الزمن،

fb/mashro3pdf

«غادة انتي عارفة ليه ماما ماقدرتش تخطُبك ليّا؟

علشان تاريخ والدِك السياسي كان هيعمل لي مشكلة في التعيين في النيابة، ودخول السلك القضائي، النهاردة المشكلة بقت أكبر، أنا قطعت شوط في وظيفتي أكتر من اتناشر سَنة، يعني قطعت المرحلة الصعبة، تقاريري كلها زي الفل واللي جاي هي مرحله جني الثمار، صعب أشطب على كل ده بأستيكة واترمي في الشارع محامي حُر، وكمان في سِني ده، ده طبعا غير مراتي والبنات، دول متعلقين بيّا قوي.

كانت إجابتي: حاتم أنا موافقه نتجوز عُرفي، أنا مش هستفيد حاجة لما ادمر مستقبلك المهني أو أحرمك من ولادك، أو حتى أجرح شعور مراتك.

صارحت أُمي وقتَها برغبتي في الزواج بحاتم بهذه الطريقة، لا أتذكر إلا وهي تجري إلى المطبخ لتأخذ سِكّينة وهي تصرخ بهذيان:

إنتي ناسية انتي مين وبنت مين؟ أبوكي راجل اسمه بيتكتب في كتب التاريخ، وناسية مين عيلة أُمّك أخوالك جدودك، الصعيد كله بيقف لما يتقال اسم عيلتك، ناسية مين جوزي اللي ف مقام أبوكي الشيخ المرشدي اللي كل مشايخ المسلمين بيكبّروا له ويبوسوا إيده في السعودية قبل مصر، ناسيه انتي إيه؟ وخريجة مدارس إيه وكُلّيه إيه وبتشتغلي فين؟ مافضلش غيرا ابن سوسن يتجوزك عُرفي وفي السر؟ وكمان من غير حاجة!

أنقذتني زوجة خالي مِن يدِها بأعجوبة، وقتَها وعدتهما بأنني لن

fb/mashro3pdf

أفعل ذلك، ولكن ما أن سافرت أُمي مع زوجها إلى الرياض، حتى أتممت ما اتفقنا عليه أنا وحاتم، كان موقف أُمي دافعًا أكبرَ وراء تشبُّثي بالزواج بحاتم، كنت أراها ماديةً، تزوجت بعد أبي ولم تَصُن الحُب، تزوجت رجُلا على النقيض منه في كل شيء، كأنها اختارت هذا النموذج عِندًا فيه، أنا أيضًا سأتزوج حاتم انتصارًا للحب، وربما انتصارًا لأبي ولأفكاره، للحُرية التي لا تكون فيها المرأة سِلعة تباع وتُشترَى، سأتزوج حاتم وأكسر تابوهات أُمي والعِيلَة والمَركز والمال، سأنتصر على نموذج المرأة الجشِعة التي تدوس كل شيء تحت قدميها من أجل مصلحتها، لن أدوس على مشاعر زوجته، لن أجرحها، لن أحرِمه مِن أولاده ولا نجاحاته سأكتفي بالفائض القليل، هذا يكفيني.

ماذا ستفعل الآن إذا كان حاتم هُنَا مِن أجلها؟ ماذا ستقول لانشراح؟ وهل لديه مِن الجَرأة أن يدق جرس منزلٍ غريب، وهو الذي كان يرتعش رعبًا إذا رَن جرس التليفون وهو عندَها في المَنيَل؟ مضت سِت سنوات على انفصالهما، هل يُعقَل أنه ما يزال يحِبها ويبحث عنها لهذه الدرجة؟ هل تغيَّر لهذه الدرجة؟

كَم تتمنى أن يكون أتى إلى هذه المنطقة بمَحض الصدفة، وألا يكون يعلم شيئًا عن وجودِها في هذه الشرفة، وأنه سينزل مِن سيارته الآن ويدخل أي عمارة أخرى، أو ينزل مِن السيارة شخصٌ آخر ويكون كل ما حدث تهيؤات، ولكن القدر خيَّبَ ظنونها، وجدته هو يدخل مدخل عمارة انشراح، يجب عليها أن تتصرف بسرعة، الوقت قليل، مسافة صعود ثلاثة أدوار لن تتجاوز دقائقَ، كيف تمهّد لانشراح؟

fb/mashro3pdf

مـاذا تقـول لهـا؟

بـدأت ضربـات قلبِهـا في التزايـد مِـن شـدة الارتبـاك، لدرجـة أنْ جَـف ريقُهـا فأصبحـت لا تقـوَى عـلى الـكلام، قـررت أن تنـادي انـشراح وتعطي لهـا أي تمهيـد، وإذا بانـشراح تدخـل لهـا البلكـون:

-انشراح، فيه موضوع عايزة احكي لك عليه بسرعة

-مـش وقتـه يـا غـادة، أنـا جايـلي ضيـف عـلى غفلـة، احـكي لي بعديـن، المهـم هاسـتأذنك بـس ماتخرجيـش، أصـل فيـه شـوية خصوصيـات ومش هيبقـي لايق وجـودك.

ردت غـادة بعصبيـةٍ غـيرِ معتـادة: ضيـف مـين وخصوصيـات إيـه؟ إنتـي عارفـه مـين الـلي جايلـك أصـلا؟

- إنتـي اتهبلتـي يـا غـادة؟ يعنـي إيـه عارفـة مـين الـلي جايـلي؟ يعنـي هيجـي لي ضيـف ماعرفـش مـين ده؟ عريـس منـال يـا سِـتي.

لم تستوعِب ما قالته انشراح:

-بتقولي إيه؟ عريس منال! منال مين؟

-هو فيه كام منال؟ منال بتاعتنا، منال الطشطوشي

-انتي بتقولي إيه؟ منال مين؟ عريس إيه؟ منال مين؟

كانـت تنطِـق هـذه الجملـة بلسـانٍ شِـبه مشـلول، فخرجـت الكلـمات كأنهـا منازَعـةُ قتيـلٍ يتلـوَى مـن الألم قبـل خـروج روحِـه.

كانت غادة تَهذِي:

-منال بتاعتنا ازاي؟ ازاي؟ طيّب دي حتى منال متجوزة!

-مـا هـو مايعرفـش، هـي مفهِـماه انهـا أرملـة ولا مطلّقـة، والنبـي مـا

fb/mashro3pdf

انا عارفة هيّ بتعُك ف إيه! سيبيني بقى العريس وصل ، نتكلم بعدين.

فتحت ابنتها البابَ للضيف، وأجلسته انشراح في الصالة.

كان باب الغرفة مواربًا لدرجةٍ أتاحت لها أن تسمع بعض الحوار.

هو حاتم، هو صوته، نَعم إنه صوته الأنيق.

-أنا المستشار حاتم السعدي في جهاز الكسب غير المشروع، أنا آسف اني جيت لك من غير ميعاد.

آه حاتم ابن طنط سوسن، آه حاتم جوزي اقصد طليقي

صورته تقفز في ذاكراتها وهو يحوم حولها عندما كانت تجمعهما الصدفة في المناسبات العائلية، أيام الثانوي والجامعة.

-بس في الحقيقة أنا عارف انها بتحبك قوي، وانتي الوحيدة اللي ممكن تأثري عليها، هي دايما تقول لي انك غالية عندها قوي وإنك في مقام والدتها، هي بطّلت ترد على تليفوناتي ورافضة تقابلني، ومالقتش غيرك ألجأ له يا حاجة انشراح.

قاطعته انشراح وأجابته بابتسامةِ أُمٍ حنون متعاطفة:

-تشرب إيه يا -وأكملت ضاحكة - بُص أنا مابفهمش في الألقاب بتاعتكم دي، وانت زي ابني، هاقول لك يا حاتم.

-ده شرف ليّا يا أُمي، مش عايز اتعبك، أنا في الحقيقة عايز اتكلم معاكي، أنا مش عايز أشرب حاجة.

-أنا سامعاك يا حبيبي، بس قول تشرب ايه؟ أنا سامعاك بنتي اللي هتعمله.

fb/mashro3pdf

-ماشي، فنجان قهوة مظبوط.

-اسمعيني يا أُمي أنا بحِب الآنسة منال وعايز اتجوزها على سُنّة الله ورسوله، أنا مش بالعب، أنا حتي رفضت اتجوزها عرفي زي ما طلبت وصممت اني اتجوزها رسمي عند مأذون، علشان اثبت لها أنا باحبها قد إيه، وكل اللي هي عايزاه شَبْكة ومَهر، ومستعد حتى اشتري لها الشقة اللي هي عايزاها، ولو اني عارف انها مش هتليق بيها.

كانت كلمات حاتم تسقط على مسامع غادة كأنها قذائفُ هاون، دوّيُها يوقِظ الموتى، تقع على ما تبقّى مِن روحِها فتدمره، جعلتها في حالة تشبِه كثيرًا حالتها يومَ موتِ أبيها، مزيج من العجز وعدم التصديق والإنكار، كأن ما يحدث يحدث لأُناسٍ غيرها ولا يخصها، كأنه مَقطع مِن فيلم يُعرَض على شاشة التليفزيون، تراه وتسمعه وتحاول أن تتفاعل معه ولكنه فيلم رديء هابِط، كل أبطاله مفتعِلون، الفَرق الوحيد أن دقاتِ قلبها لم تتوقف عن الخفقان بشكل مرعب، وأن شريطًا من الذكريات كان يتقافز أمامَها برشاقة وهي تتأرجح بين الذكريات وما تراه، كأنها محكّم في مهرجان دولي يقارِن بين فيلمَيْن ليختار أيهما يستحق السعفة الذهبية.

الآنسة منال! كان منظر منال المخمورة والتي يسندها كل ليلة رجلٌ يتراقص أمام عين غادة، لا.. لا.. لم تنسَ تلك الليلة التي كانوا جميعًا في عيد ميلاد أحد معارفهم المشتركين، وانتهت بها الليلة في غرفة نوم، خرجت بعدَها منال وهي تحاول أن تكسر الصمت بأن تبدأ

fb/mashro3pdf

بالهجوم على غادة وتتهمها بأنها خائبة:

«أنا مش عارفة انتي مقّفلاها على نفسك قوي كده ليه؟ إيه المشكلة تتبسطي وتدلعي وتحسّي بنفسك؟ وكمان شفتي؟ إيه رأيك في الطقم الألماظ ده؟ ده بتاع مراته ادهوني هدية، إنتي عبيطة يا غادة، مَحو أُميّة إيه وعيال إيه وتعليم إيه؟» كانت منال تعيش هكذا حتى تزوجت رضا الحلواني، الذي لم يبخل عليها بشيء، فاشترى لها فيلا هُنَا وأخرى هناك وسيارات كثيرة، الزوجة الثانية الصغيرة زوجة الدلع والمتعة، صفقة معروفة موافق عليها الطرفانِ، ولكن هذا لم يمنع منال مطلقًا أن تستغل فترات الخناق بينها وبين زوجها في استعادة حيويتها، بمثل تلك الليلة التي كانت غادة شاهِدَ عيانٍ عليها، تداخلت ذكريات هذه الليلة مع ذكريات ليلة زفافها على حاتم، اللحظة التي أعطت فيها نفسَها له بورقة عُرفي، والتي لم تندم عليها قَط، فهي أحبّته وتزوجته، وضَحّت مِن أجل حبّها، تلك اللحظة التي ما تزال تدفع ثمنَها فهي لا تملك أي دليل يثبت أنها كانت زوجةً لمدة سبْع سنوات

«بعد ما اتفقت مع المأذون» كان طنين صوته وهو يعيد عليها لمدة سبع سنوات بين الجُملة والأخرى، وقبل ممارسة الحب وفي وسطه وبعده، وهي تجفف له جسده بعد الحمّام، وهي تحضر له الطعام وتناوله فنجان القهوة المضبوطة، وهي تودّعه عند الباب يقولها ويكررها أكثر من أي شيء:

ياه يا غادة أكتر حاجة بتؤلمني في علاقتنا اني عاجز اني اتجوزك

fb/mashro3pdf

علي سُنّة الله ورسوله، رسمي عند مأذون قدام الناس واديكي كل حقوقك، عاجز يا غادة عاجز قدام بناتي وقدام وظيفتي وأكل عيشي.

فَرق بسيط في الجملة بين المشهدين، تبدلت فقط كلمة واحدة «عاجز» أصبحت «عايز»! أدركَ عقلها الكلمتين، أدركَ الفرق، أدركَ الحقيقة المؤلمة.

بدأت تدرِك... راحت آثار المفاجأة وبدأ عقلها يحدّثها، علاقتك بحاتم انتهت وقتَ أن ترك لك ورقة الطلاق، مرت سنوات طويلة وأصبح لكل منكما حياته، ما المشكلة أن يجِب امرأة أخرى؟

ماذا يؤلمكِ الآن؟ أنه أحَب أخرى؟ أم أنه جاهِز أن يقدم لها ما رَفض أن يقدمه لكِ؟ أم أن غرورِكِ الأنثوي يرى أنكِ الأجدر به مِن منال؟ أم وِجهةَ نظرِكِ في منال التي كنتِ دائمًا تعاملينها كعاهرةٍ رخيصة؟ أم أنك ما زلت تحبينه؟ كانت الأسئلة تتزاحم في رأسها ولا تجد إجاباتٍ محددة.

اختفت الرسمية التي كان يتحدث بها حاتم مع انشراح، وبدون مقدمات انفجرَ كطفلٍ في البكاء موجهًا حديثَه لانشراح:

يرضيكي منال تعمل فيّا كده؟ تكدب عليّا وتفهمني ان رضا الحلواني خالها؟ وتكلمه في التليفون قدامي على إنه خالها وتخلّيه يعدّي عليها ياخدها من الكافيه اللي كنا سهرانين فيه على إنه خالها، وتسافر معاه لبنان على إنه خالها، وتروح معاه شرم الشيخ على إنه خالها! وفي الآخر أكتشِف انه طليقها، ولما عرفت الموضوع ده وواجهتها تقولي انت غيران منه ازاي؟ أمّال لو مكنتش عارف

fb/mashro3pdf

انه مالوش في الستات واني لحد دلوقتي لسه آنسه وان بيني وبينه عِشرة وان فعلا مشاعري له كأنه خالي؟ ولازم تعرف اني عمري ما هاستغنى عن رضا، ده عِشرة عُمر وأنا مش قليله الأصل. وعدّيت الموضوع ترجع تاني تكدّب عليّا وتقولي أنا مابلبسش بِكيني غير في شرم الشيخ، بالصدفة أشوف فيديو ليها بالبِكيني ف داي يوز في فيلا واحد رجل أعمال في القاهرة وهي بترقص معاه، وقصص كتير كده، سهَر في البارات وسُكر، بس أنا عارف قد إيه حياتها كانت قاسية وان كل ده هيتغير لما تلاقي راجل بِجد يحبها ويحتويها، أنا فعلا بحبّها ومبقدرش استحمل دموعها لما بتبكي، بحِس ان طفله قدامي عايزه حد يطبطب عليها، علشان كده أخدت القرار ورحت الأسبوع اللي فات قابلت جوز اختها وطلبتها منه، واشترط عليّا شبْكَة معينة ووافقت، واشترط كمان اني أصارح مراتي، وان أُختي لازم تيجي معايا تطلب إيدها علشان يضمن ان حياتها تبقي مستقرة، وان كل حاجة تبقي على نور، وطبعا هو عنده حق، كلمت أُختي في الموضوع وصارحت مراتي اني قررت اتجوز، وهي طبعا في حالة نفسية زي الزفت والبنات كمان، وبعد ده كله منال مابتردش علي التليفون، بقالي تلات ايام بكلمها بتكنسِل عليّا، أنا مش فاهم حاجة، مراتي سابت البيت وهي مابتردش على التليفون، خايف يكون جرالها حاجة، أنا جيت لك من غير ميعاد علشان عارف قد إيه انتي قريبة منها، وانا كتير وصلتها هنا بالليل، علشان كده أخدت رقمك منها علشان لو حصل حاجة اعرف اتطمن عليها، قولي لي هي فين؟

fb/mashro3pdf

أعمل ايه؟ كلّميها قوليلها تيجي.. اعملي حاجة اتصرفي أنا بحبها وبِعت الدنيا علشانها.

كان ما سمِعته غادة يفوق قدرتَها على التحمل، حاتم تنازَل عن كل شيء، عن مكانته الاجتماعية، عن أُسرته، حتى عن رجولته، من أجل منال.

«ياه، هو أنا كنت ولا حاجة كده الحب والتضحية والعطاء والجنس، دا أنا حتى حرمت نفسي من الخِلفة علشانه، رفضت عقود عمل في أوروبا علشان افضل جنبُه، لبست الحجاب علشان طلب مني ده، سبع سنين مالهموش لازمة، ده كان بيخاف يودّيني للدكتور علشان محدش يشوفه! طيّب فضِل معايا سبع سنين ليه؟».

لم تستطِع التماسكَ مِن شدة الألم، وإذا بها فجأة تعجَز عن الوقوف وبدأت تُخرِج رغاوي من فمِها كأنها تحتضر.

جمعت قوّاها واتجهت إلى السرير، تمددت والتحفت بكُل الأغطية الموجودة، انكمشت في وضع الجنين ونامت تاركةً حاتم مع انشراح في الصالة، نامت فجأة وبدون مقدمات، كأن هناك مَن فصلَ التيار الكهربائي عن هذا الجسد فتوقف فجأة، توقفَ كل شي ما عدا صوتًا غريبًا يَصدر منها، كانت أسنانها وضروسها تكز بشدةٍ وبصوت مسموع عالٍ لدرجة هُيئ معها لانشراح أنها إذا فتحت غادة فمَها ستتساقط أسنانها المهشّمة إلى فتات، لم يتوقف صوت الكز طوال الليل تصاحِبه أحيانًا نوباتٌ من الأنين المكتوم، الذي كان يَخرج بصعوبة كأنه صرخة منهَكَة مِن مُستغيثٍ يرقد تحت ركام مدينتِه بعد الحرب.

fb/mashro3pdf

حاولت انشراح إيقاظَها مما تصورته كابوسًا ليليًا.

فتحت غادة عينيها بصعوبة، وبمجرد أن رأت وجه انشراح أجهشت في دفقة من النحيب، لم تستمر إلا ثوانيَ معدودات، تبعتها نظرة بَخلَقة ووجه ميت خالٍ مِن أي تعبير، ذكَّرتها النظرة بعينَي منال عندما أجهضتها ليلى، تلك النظرة التي لم تفارق ذاكرةَ انشراح سنواتٍ وسنوات.

أعادت انشراح عليها السؤال: مالك يا حبيبتي فيكي إيه؟

لم تُجِبها غادة.. أغمضت عينيها ونامت.

****

fb/mashro3pdf

- 18 -

أهي وقاحةٌ، أم جرأة، أم احتياج؟ لماذا تَقبل أن تعمل عند هذا الأعزب؟

العمل عند مادلين يومين في الأسبوع لا يسد احتياجاتِ الحياة، ولكن ألا توجد بيوت أخرى؟ وما المانع؟ إنها جريئة بما يكفي لكي تذهب بمفردها، أو هكذا تصورتْ.

في مدخل الشقة وقفت مرتبكة مترددة منتظرة أن يفتح الباب، فقدْ كانت صورته التي رأتها مرارًا وتكرارًا في الجرائد والتليفزيون تطِل عليها من خلف الباب، تَعِدها بآلاف السيناريوهات.

اختفت تمامًا هذه الجرأة بمجرد أن رأته دعاها إلى الدخول، ارتبكت كأنه يدعوها إلى رقصة رومانسية، مختلف هو عن كل الرجال الذين قابلتهم في حياتها، لا يشبِه ببريان ولا سيد ولا إبراهيم ولا حَسن ولا عادل، شديد الوسامة والرقة، الشَّعر الفِضي يعطيه جاذبيةً خاصة.

اختلطت المشاعر عندها، ودّت أن تَجري مِن أمامه، ولكنها تمالكت نفسها وتذكرت أنها أتت للعمل.

صدمتها الإضاءة الخافتة في منزله، فلم تكُن تشبِه بريق الأضواء التي أحاطته عمرَه كله، منزل كئيب، إضاءته صفراء، مصدر الضوء الوحيد يأتي مِن لمبة صغيرة تتدلى مِن فوق طاولة كبيرة

fb/mashro3pdf

مستطيلة، عليها كثير من الأسطوانات الصفيح المغطاة بالتراب والملقاة بشكل عشوائي، تقع في مواجهة باب الشقة، أمّا رائحة السجائر فلم تدخله منذ سنوات، مرت عيناها بأثاث الغرفة الذي كان يمكن رؤيته بصعوبة وجدت مكتبة هائلة يعلوها التراب، ومكتبًا صغيرًا لا يمكن إدراك ماهيتِه من كثرة الأوراق والشرائط عليه، توجد على المكتب أباجورة صغيرة مطفأة.

أشار لها بالجلوس في أحد أركان الصالة بعد أن عرّفته بنفسها.

-أنا انشراح الشغّالة اللي حضرتك طلبتها

الركن الذي أشار إليه لتنظر هناك كان فيه عدد كثير من البافّات العربية، تكاد تلاحظها بصعوبة لولا إضاءة التليفزيون الذي يؤكد أنه هنا في هذا المكان فقط للإضاءة، فلا أحد يتابعه ولا أحد ينتبه إلى وجوده.

رائحه الشيشة مختلطة برائحة السجائر جعلت للمكان رائحة مميزة.

وقعت عين انشراح علي طُرقة شديدة الظلمة، انقبض قلبها، اختفى الرجُل فجأة، دخلَ في هذه الطُرقة المُظلِمة التي كانت معتِمةً لدرجة أنك لا تدرك لها نهاية.

سرداب مظلِم عميق، نَعَم هو ذلك السرداب الذي رأته في أحلامها كثيرًا، هذه الحكاية التي لم تفارقها منذ طفولتها، والتي كانت تحِب أن تسمعها من آرام أنوش.

الرجُل ذو اللحية الزرقاء الذي كان يغازل ثلاثَ شقيقاتٍ ويحاول

fb/mashro3pdf

الإيقـاعَ بِهـن في غرامِـه في وقـت واحـد، ولكنهـن كُـنَّ يَخفـن مظهـرَه الغريـب ولحيتَـه ذات اللـون الأغـرب، كيـف كان دائمًـا يحـاول أن يقنِعهـن بأنـه إنسـان طيـب؟ كان يُكـثِر مِـن الهدايـا ويأخذهـن في جـولات جميلـة في الغابـة، يَضعهـن عـلى ظهـور الخيـل المزركشـة ويحـكي لهُـن حكايـاتٍ مسـليةً ويُطعِمهـن أشـهى المأكـولات.

الكبـيراتُ لم ينخدِعـن بكلامـه المعسـول، لم تنخدع إلا الصغـيرة، صدّقته ووافقـت عـلى الـزواج بـه، بنَـى لهـا قـصرًا جميـلا وأطعمهـا أشـهى الطعـام، اشـترى لهـا أجمـل الملابـس، أعطاهـا كل مفاتيـح الخزائـن والمخـازن، مفاتيـح كل أبـواب القـصر، سـمحَ لهـا باسـتخدامها جميعًـا مـا عـدا مفتاحًـا صغـيرًا مزخرفًـا زخـارفَ لولبيـة، أمرَهـا ألا تسـتعملَه.

سـافرَ الـزوج ذو اللحيـة الزرقـاء وجـاءت أختاهـا لزيارتهـا، حكـت الصغـيرة بسـلامة نيّـة لأختَيهـا عـن المفتـاح الصغـير ذي الزخـارف اللولبيـة الـذي لا يجِـب أن تسـتعملَه والتـي لا تعـرف أصـلا يخـص أي بـاب، أصابهـن الفضـول وقـررن البحـث عـن هـذا البـاب الـذي يفتحـه هـذا المفتـاح الصغـير، بحـثْن كثـيرًا في كل أركان القـصر وأدواره حتـى وجـدن البـاب، كان مختبئًـا خلـف بـابٍ آخـرَ، وبمجـرد أن وضعـن المفتـاح في هـذا البـاب، أصـدر القفـل أصواتًـا غريبـة، وعندمـا فتـح البـاب وجـدن دهليـزًا طويـلا شـديد الظلمـة، ليـس لـه نهايـة.

«هـو الدهليـز نفسـه الـذي أراه في أحلامـي، وهـو الدهليـز نفسـه شـديد الظلمـة الـذي اختفـى فيـه الرجُـل الآن».

أحـضرت الأخـوات شـمعة أضـأن بهـا الحجـرةَ، أصابهـن الهلـع، خـررن

fb/mashro3pdf

جميعًا من الرعب مطلِقاتٍ صرخةَ فزع، فقدْ كانت الحجرة مستنقعًا للدماء ومستودعًا للعِظام النخِرة والجثث المتعفنة، والجماجم المكومة في الأركان كأهراماتٍ من التفاح.

«هذا الحُلم الذي لا يفارقني أبدًا، طُرقة طويلة مثل السرداب مملوءة بجماجمِ النساء، والمفتاح أمسِكه في يدي ملطخًا بالدماء، ولا يكُف عن النزيف يملأ يدي وملابسي، أمشي وهو يقطُرُ خلفي قطراتٍ من الدماء لا تنتهي ولا تتوقف، نزيف دائم وهلع مرعِب من هذا السرداب المظلم، حُلمي المتكرر المخيف، رأيت هذا السرداب أحيانًا هو مَلِيء بجماجم منال وجنينِها الذي أجهضته ليلى، ورأيته مراتٍ أخرى بجماجم ناهد، فكُل الجماجم كانت ناهد، وأحيانًا كأنها جماجم أُمّي وجدتي، وكثيرًا ما كنت أرى جماجم كل صديقاتي وجاراتي وابنتي كلها مجتمعة، ولم تكُن جمجمتي أبدًا هناك، كنت دائمًا أنا مَن تُمسِك بالمفتاح الذي لا يتوقف عن النزيف فأسير ملطَخةً بالدماء التي تقطر خلفي.

هذا الرعب قَطَعه صوت الدكتور أشرف يعتذر عن أنه لا يجيد صنع القهوة، ولكنه لمَح نظرة الرعب في عينيها الموجهتين والمثبتتين على الطُرقة المظلمة.

قال محاوِلا طمأنتَها:

-متقلقيش يا هانم، أنا بس مكسّل أغيّر اللمبة، بس لمّا هتبقي مسؤولة عن البيت وعني، كل حاجة هتكون جميلة.

نَعم سمعت أنه رجُل محترَم، وأنه شديد الوسامة وشديد الرقة

fb/mashro3pdf

في معاملة الآخرين، تذكرت كلمة سائق ناهد وهو يوصّلني إلى منزل الدكتور أشرف.

«ده راجل برنس، باشا مِن بتوع زمان، وكريم، دا أنا عمري ما روحت له في أي طلب إلا وحَط في إيدي العشرين جنيه، أمّال انتي اللي هتشتغلي عنده في البيت هيعمل معاكي إيه؟ دا انتي طاقة القدر اتفتحت لك بس ابقي افتكرينا».

تعجبت انشراح مِن مخاطبته لها بهانم، قائلةً لنفسها:

«برنس -باشا- محترم بس مش لدرجة انه يقول للشغالة يا هانم!

دعاها للجلوس لتناول القهوة

أضاء المصباح الرئيسي، تبدّلت الشقة تمامًا تحت الإضاءة العالية، رأت تفاصيلها لم تَعُد مَخيفة كما هُيِئ لها في الوهلة الأولى، هناك مكتبة مليئة بالكتب، تمنت لو قرأتها كلها، بيانو أسود اللون منمّق خالٍ مِن التراب كأنه الشيء الوحيد في هذا المكان الذي يَلقَى عناية صاحبه، بدا لها أنه غير ملائم لهذه الشقة الفوضوية فالبيانو لا يوجد إلا في القصور كما تصورت دائما، شهادات مكتوبة بلغاتٍ مختلفة، فهمت منها أنها شهاداتُ تكريمٍ وتقدير، بدأت ملامحها تهدأ ويَظهر على وجهها بعض الاطمئنان، توجَّه نظرُها أيضًا إلى بعض الأوسمة والدروع.

قال لها ضاحكًا متواضِعًا:

-قهوتك سادة مش كده؟ أنا كمان باشربها سادة

fb/mashro3pdf

قدَّم لها سيجارة ثم قام بإشعالها لها.

تساءلت بينها وبين نفسها: كيف عرَف أنني مُدخّنة؟

- بعد ما اخلص القهوة لازم تقرأي لي الفنجان

ازدادت دهشتها: كيف عرَف أنني أقرأ الفنجان؟

أجابته مذعورةً كأنها تَنفي تهمةً عن نفسِها:

-أنا مابعرفش اقرا فنجانين، وما بصدقش في الحاجات دي. كل حاجة بتاعة ربنا والخرافات دي بتاعة الناس الجَهَلة، أنا فقيرة آه لكن مش جاهلة ومؤمنة بربنا.

كان صوتها ينطق كذبًا، أدرَكه د. أشرف، فأجابها بهدوء وبصوتٍ مطمئن واثق:

- قهوتك سادة صح؟ بتعرفي تقرأي الفنجان، أنا متأكد، طيّب ما بتصدقيش في الحاجات دي برضه صح، انتي فقيرة لكن مش جاهلة واضح جدا، عينيكي كلها ذكاء، ملامحك، حركة إيديكي، تعبيرات وشّك بتقول انك سِت مش عادية، بس اجِب اقولك ان قراية الفنجان دي بتاعة الناس الجَهَلة، الجملة دي خانتك، المتعلمين المثقفين المشهورين والملوك بيقروا الكَف والتاروت والودع والنجوم والفنجان، معرفة الغيب حلم أصيل ورغبة فطرية في النفس البشرية، ده حلم من أحلام البشرية، معرفة بُكرة فيه إيه، الإنسان بطبيعته مستعجِل عايز كل حاجة بسرعة، وفُضولي، وكمان مغرور، متهيأ لُه انه لو عرف بُكرة فيه إيه هيعرف يتصرف.

fb/mashro3pdf

كان كلامه حلوًا جذابًا، ولكنها سرعان ما تذكرت حكاية آرام أنوش وكلامَها عن الرجُل ذي اللحية الزرقاء، وكيف كان يحاول إقناع البنات بلسانِه الحلو ومعاملته اللطيفة، بالرغم من أنه أكبر قاتلٍ للنساء.

شردت كثيرًا «أكيد هُنا في آخر الدهليز توجد جماجم كثيرة لشغالات كثيرات أتين مِن قَبلي»

اعتذرتْ له عن عدم قراءة فنجانه، وأصرت على كلامها أنها لا تعرف.

لم يُلِح د. أشرف في طلبِه، قال لها مداعِبًا:

-خلاص أنا اللي هاقرا لك الفنجان

نظرَ إليها نظرة جعلتها تدرِك أن شيئًا خارقًا يحدث، اختفى العالَم مِن حولها، اختفت كل الأشياء، اختفت كل التفاصيل، لم يعُد واضحًا أمامَها إلا هو محاطًا بهالةٍ من الوهج الدافئ والذي اخترق كل خلية بها، شعرت لثوانٍ أن فيضانًا من النور يتغلغل داخلها فأصبحت بلا وزنٍ، بلا كُتلة، هائمة، رأته، رأت عيناها كأن الخالق ينحت من العدم نسخةَ الرجُل الأولى الأصيلة، كانت عيناها تتابعانه وهو يتشكل أمامها، تكوَّنَ كل شيء حتى شمّ أنفُها رائحةَ الذكورة، إشارة الاكتمال، دبّت فيه الحياة، وإذا به ينتفض ويمارِس أول فعلٍ، يُلملِم خصلاتِ شَعرها بعينيه اللتين داعبَتا كل جزءٍ فيها، كل المَستور والمخبأ، أعوام وأعوام يتعامل مع كل ثناياها وكل تفاصيلها، يعرف أين يحنو، وأين يثور، حتى هُيِئ لها أن هذا

fb/mashro3pdf

الرجُـل كان شريـكًا في صنعِهـا.

ارتبكـت، ولكنـه ارتبـاكٌ مختلِـف، ارتبـاكٌ ممتِـع، بادَلَهـا أيضًـا هـذا الارتبـاك، قـررت الانـصراف متحجِّجـة بالتأخـير، ولم تفاتِحـه في أي تفاصيـلَ خاصـةٍ بالعمـل أو الراتِـب.

رافَقَها إلى الباب قائلا:

هانتظرك، انتي من دلوقتي سِت البيت.

خرجـت مِـن مَنـزل د. أشرف وقلبهـا يرقـص مـن الفرحـة، نظـرَ إليّ د. أشرف نظـرة غيّرت ملامحـي، مَحـت التجاعيـد التـي رسـمها الزمـن، اجتاحنـي طوفـان جعـل كل خليـةٍ فيّ ترقـص، مـاذا حـدث لي؟ نظـرت ليديهـا لم تعُـد تـرى فيهـما خشـونة السـنين، ابتسـامة عريضـة مـلأت وجههـا، فرحـة كبـيرة لم تَعهدْهـا مـن قبـل اسـتعمرتها ولم تقاومهـا، مـا هـذا الهائـل الـذي يجتاحنـي الآن؟ قلبـي يـدق بشـدة، أطـير مِـن عـلى الأرض، مـا هـذه الفرحـة التـي ملأتنـي. فرحـة.. فرحـة.. فرحـة كأنهـا بِسـاط الريـح أركبهـا تطـير بِي فـوق الأزمنـة والأماكـن، تطـير بِي فـوق الجـروح والآلام، تطـير بِي وأراهـا تُمسِـك شـيئًا مـا كأنـه مِمحَـاة تمسـح كل سـطور الحـزن، كأنهـا مـادةٌ سِـحرية تمُـر عـلى كل الذكريـات التـي طالمـا تركـت مراراتِهـا في حلْقـي وأصابتنـي بالانقبـاض والخـوف، فجعلـت تلـك الذكريـات كأنهـا لا تخصنـي ولا تصيـب قلبـي بالوجـع، لا أُصـدّق مـا يحـدث لي، أنـا لا أتـألم لذكـرى إبراهيـم، إبراهيـم لم يعُـد يؤلِمنـي! أخـيرًا شُـفيت، شُـفيت بعـد أربعـين عامًـا، ذِكـرى إبراهيـم لا تؤلِمنـي ولا تـترك عنـدي مـرارةَ الغـدر، حَسـن لا يؤلِمنـي، ولا أشـعر

fb/mashro3pdf

مرارة التجاهل، ليلى لا تؤلِمني، لا أشعر بالإهانة ولا بالقهر، الفقر لا يؤلِمني، لا شيء يؤلِمني، كل هذه المرارات هزمتها فرحة، فرحة واحدة حقيقية كانت كفيلةً بأن تَهزِم كل المرارات.

تركتُ قلبَها للفرحة بينما عقلها كان مصمِّمًا على أن يعطيها إشاراتِ التوقف، ودّت أن تمُد يدَها في رأسها لتنتزعَه وترميه من نافذة التاكسي، ذلك الذي يُفسِد عليها لحظاتِ الفرحة النادرة المعدودة، خِبرة السنين أجابتها بأن هذا هو الحب.. يااااه.. يااااه وضعتْ يدَها على فمِها لتكتم ضحكة صاحبت هذا الاكتشافَ، كادت تنطلِق بصوتٍ عالٍ، استعادت كل اللقاء بكل تفاصيله، هذا الرجُل المختلف كيف رأته؟ كيف حدّثها؟ كيف كان ينظر لها؟ لم يكُن هناك شيء محدد تستطيع أن تلمسه، لكنَ صوتًا شديد الثقة يُعلِنها أنه الحُب، ليس مهمًا أنني في نهاية الخمسينات، ليس مهمًا أن العمر ضاع في المرارات، ليس مهمًا أنني لن أراه مرة أخرى ولا أنني لن أعيشَ مَعَه.

فلم تعُد أحلامي أن أتزوج مَن أُحِب أو أعيش معه عيشةً هنية وأنجِب منه البنين والبنات، لن أنتظر منه الشبْكة أو الفرح الأسطوري، لن أحلم بأن تتأبط يدَه يداي وأدخل به في زيارةٍ عائلية لأتباهَى بهِ كَم هوَ وسيمٌ وجميل.

تخلصتْ مشاعري مِن كل هذا الزيف، ومِن كل المعادلات، ومِن كل الحسابات، الآن فقط أدركتُ قيمةَ المشاعر التي تَمس الروحَ فقط لتطهِرَها ولتُسعِدَها.

وللمرة الأولى منذ ما يقرب من أربعين عامًا، تشعر انشراح

fb/mashro3pdf

أنها تخلصت من هذا الإحساس القاتل بالخواء الذي عاشت به عمرَها كله، اختفى الخواء الذي يجعل الأشياء بلا معنى، ويجعل كل الأحداث بلا حركة، وحتى الضحكات كانت كأسطوانةٍ قديمة صوتُها مشوّش.

الحُب هو الامتلاء، تلك اللحظة النادرة في حياة كل مِنّا، اللحظة التي أحيانًا نُفسِدها بالرغبة في مزيد من الامتلاء، اللحظة التي نريد أن نقودَها إلى طُرُقٍ ربما لا تناسبها، ونَلوي رقبتَها، ونحاول إجبارها على أن تُعطيَنا أكثر، كانت إشارات العقل تعمل بسرعةٍ شديدة جدًا، لا تعرف ما الذي دفعَ بها إلى أن تغيِّر طريقها، وإذا بها تطلب مِن التاكسي أن يوصِّلها للمعادي، شعرت أنها لا تريد أن تذهب إلى المنزل، أخافت أن تَظهر علامات الحب عليها؟هل أرادت أن تستمر في مشاعر اللحظة وتشارِك فيها ناهد تلك التي كانت سببًا في معرفتها بأشرف؟ أم أنها لم تكُن تريد أن تعود إلى واقعها بهذه السرعة؟

كان منزل ناهد دافئًا على غير العادة، سألتْهَا:

-هو انتي زوّدتي عفش أو دفّايات؟ بيتك دافي قوي النهارده يا ناهد!

-بيتي زي ما هو ولا زوّدت موبيليا ولا دفّايات، يمكن انتي اللي جايّه من المشوار دفيانة.. إيه طمنيني عليكي رُحتي عند أشرف؟

شردت بعمق وأجابتها:

-أيوه رحت. ثم ابتسمت

أجابتها ناهد:

fb/mashro3pdf

-مش قلت لك راجل لطيف، ده فنان بجد، حد محترم جدا وإنسان جدا، هترتاحي في الشغل عنده، وكمان ابن ناس يعني هيعاملك باحترام، أنا كمان مفهماه انك عزيزة عليّا قوي.

-آه هو راجل لطيف فعلا، بس أنا مش هاشتغل عنده، مش هينفع

- إيه؟ انتي غريبة قوي.. ليه لأ؟

كانت انشراح قد نوت أن تحكي لناهد كيف وقعت في غرام أشرف، كانت تنوي أن تقول لها إنها متأكدة أن أشرف لم يرَها خادمة وأنه أيضًا وقع في غرامها، نَعَم هي متأكدة.. الصَبُّ تَفضحُه عيناه.. لكنّ شيئًا ما منعَها، عندما بدأت ناهد تتحدث كأنها بكلامها أعادتها إلى واقع نسيَته لساعات، ارتبكتْ لم تعرف بماذا تُجيبها.

-مش هينفع وخلاص

-ليه؟ ضايقك في حاجة؟ عرَض عليكي مرتب قليل؟ لو دي المشكلة أنا ممكن اقول له يزوّد لك المرتب.

احتدت عليها انشراح قائلة:

-لأ وخلاص يا ناهد، مش قِصة مرتب، مش هينفع

رن جرس المحمول الخاص بناهد، نظرت إلى شاشة المحمول ووجّهت كلامَها لانشراح:

- ده أشرف!

أجابتها انشراح بسرعة وبعفوية فتاةٍ تهرب مِن حبيبها:

- أنا مش عندك

نظرة دَهشة ارتسمت علي وجه ناهد، وكانت هذه النظرة

fb/mashro3pdf

تـزداد اتسـاعًا عندمـا أدركـت أن المكالمـة خصيصًـا مِـن أجـل انـشراح، طلـب منهـا أشرف بصـورةٍ مبـاشِرة رقـم محمـول انـشراح، رددت ناهـد طلبَـه بصـوتٍ عـالٍ حتـى تَسـمعها انـشراح، التـي أشـارت لهـا بعـدم موافقتهـا بينـما تقـول بصـوتٍ ضعيـف مـتردد.

-لأ

أجابته ناهد:

- ليـه فيـه حاجـة عايـز تقولهـا لهـا؟ أصـلي قلقانـة اعطيـك الرقـم، اتصالـك يعمـل لهـا مشـكلة.

تلجلج أشرف قائلا:

- لا..

ثم سكتَ لوهلةٍ وقال:

- أيوه..

ثم أعاد بصوت أكثر ثباتًا:

- أيـوه عايزهـا ضروري قـولي لهـا أنـا عايـز الرقـم جـدا، واسـتأذنيها اني أكلمهـا أرجـوكي يـا ناهـد وأنـا هاكلمـك كـمان عـشر دقايق

- ماشي يا أشرف، هاتصل بيها واقول لها وأرد عليك.

أنهـت ناهـد المكالمـة ونظـرت لانـشراح نظـرةَ مُحقـقٍ خبيـث متسـائلة:

- فيه إيه بقى؟

أجابتها انشراح بمرارة مَن يدفن وليدَه:

- فيه اللي انتي حسّتيه يا ناهد، انتي حسّيتي إيه؟

fb/mashro3pdf

- حسيت حاجة عقلي مش مستوعبها

- مش مستوعبها ليه؟ علشان هو فنان مشهور مثقف نجم باشا؟ هههههه وأنا شغّالة!

نظرت إليها ناهد بحنان وحُب، كلّمتها بنبرة كلها جدية:

-لا طبعا، عمر ما حد فينا شافك كده، انتي فيكي حاجة تشد اللي قدامك وتجبره على التعامل معاكي بتقدير، فيكي سر يخلي أي حد يسيب نفسه ليكي وهو متطمن، يمكن في روحك في حكمتك يمكن في صدقك، مش عارفة، انت توليفة عجيبة عندك القدرة انك تحتوي أي حد وتخليه يحس معاكي بالراحة، في أزمتي مع عدنان قدرتي تقدمي لي اللي أمي بنت الباشاوات ووالدي رجل القانون العظيم عجزوا انهم يقدموه، ومش انا بس، غادة المثقفة، وعادل المليونير اللي درس في أمريكا، ومادلين وغيرهم، حتى جيرانك في الدرب الاحمر والكلحة حسوا انك مختلفة، ماعرفوش يفسروا اختلافك قالوا فيكي حاجة لله.

-كفاية يا ناهد، مختلفه إيه وسر إيه؟ انتي بس بتقولي كده علشان بتحبيني.

- ما هو ده السر اللي بيخليني احبك وخلى أشرف الدمرداش يحبك، أنا طول عمري رأيي فيكي انك سِت جامده بس الزمن هو اللي ظالم، ده فيه ستات كبب وعاملين نفسهم هوانم، هههههه ما علينا، طيب وإيه بقى؟ أدّي له الرقم؟

أغمضت انشراح عينيها، ارتكنت برأسها على خلفية الفوتيه، استرخت وشردت بعيدًا، كأن حالة الانجذاب التبسَتها، كان وجهها

fb/mashro3pdf

يضحك كالأطفال، وقعت الطرحة على الأرض، لمعت خصلات شَعرها الذهبي الممزوج بالأبيض كأنها صفَّفَته خصيصًا عند أشهر مُصفِّفي الشَّعر، تحت إضاءة قوية مِن لمباديره بجوار الفوتيه، أظهرت بوضوح ملامحها المبتهِجة في صمت، امتدت الإضاءة لتُغطّي رقبتَها، كانت فاتنةً لدرجة أن ناهد قامت بتصويرها وهي مستغرِقة حالِمة، فقدْ بدت لها كأنها وَجهُ تمثالٍ لفتاة إغريقية مصنوع من المَرمَر، جاءت لتوِّها مِن أسطورة.

- لأ

-مالك يا انشراح؟ هو انتي مبسوطة ولا زعلانة ومخضوضة؟ مش فاهماكي!

ابتسمت انشراح ابتسامة من القلب وأجابتها:

- فرحانة يا ناهد، باجِب وباَتحَب، طايرة يا ناهد من جوّايا، الفرحة مخليااني مش هنا، وسِيبك من موضوع النجم والشغالة، الحب مافيهوش كده، الروح لما تتقابل مع الروح حاجة تانية، حاجة ما تتوصيفش ولا تتقال ولا تتكتب، إحساس ممكن تعيشي سنين تدوّري عليه، وممكن تموتي من غير ما تعرفيه، أنا قابلته مرتين، مرة وأنا عندي أربعتاشر سَنَة، ومره تانية وأنا عندي تمانية وخمسين سَنَة، النهارده يا ناهد، النهارده مع أشرف.. فاهمة حاجة؟

- بصراحة شايفة، شايفة الفرحة اللي في عنيكي لدرجة ان دموعك نازلة، طيّب إيه؟ أدي له تليفونك؟

- لا إوعي، أنا مش عايزة اشوفه تاني ولا اكلمه في حياتي أبدا.

fb/mashro3pdf

- لا بقى مش فاهمة.

- أنا أخدت أجمل حاجة في الحب، الحب نفسه، إحساسي اني باحِب وانه بيحبني، تفتكري إيه بعد كده ممكن يكون في حلاوة اللحظة دي وصدقها؟

هنتكلم هنقول ايه؟ هنتقابل هنعمل ايه؟ هنتجوز مثلا؟

- وليه لأ؟

- وليه آه؟ كل ده ما يلزمنيش، يمكن كان يلزمني زمان اكمّل تعليمي واتجوز راجل متعلم وابقى وزيرة، على قولة أبله مفيدة.

- وإيه المشكلة حتى لو في السن ده تقدري تعيشي مع راجل بتحبيه وبيحبك، وتحققي جزء من أحلامك!

-المشكلة ان دي ماعادتش أحلامي، ومش شايفاها حاجات كبيرة قوي ومهمة زي ما كنت فاكرة زمان.. ضحكت وقالت: هاكلمك بلغة الصنايعية لا مؤاخذة دخلت بيوت كتير منهم اشتغلت عندهم، شفتهم من جوه وطلعوا أونطة، بِدَل منفوخة على الفاضي، ضُعفَا أكتر مما تخيلي، خايفين ومهزوزين، خايفين على الفلوس وخايفين على المناصب، وخايفين على شكلهم، كل حاجة بيعملوها بحسابات، حسابات آخر حاجة فيها -ويمكن ما تجيش أصلا- الإنسان اللي جوّاهم اللي يمكن حتى مات وهُمّ مش واخدين بالهم، ما يتخيروش عن حسن الجاهل، الجهل جهل الروح.

- بس أشرف مش كده، أشرف فنان، ده بيانيست عالمي وبيألّف مزيكا وبيقود أوركسترا، ده مايسترو بيعزف في كل دور الأوبرا في

fb/mashro3pdf

العـالم وعـلى كل المسـارح.

- ما أنا عارفة، أشرف إنسان، لو كان زيهم كان شافني شغالة.

- طيب وليه لأ؟

- وليه آه؟

-تاني؟

- انتـي مافهمتنيـش برضـه يـا ناهـد، خـلاص أنـا حبّيـت وخـلاص مـش عايـزة حاجـة تـاني، أنـا هاسـمّي حبـي لأشرف «الحـب الشـافي» هاخُـد اللحظـة دي في حضنـي واعيـش بيهـا لحـد مـا امـوت، إحسـاس السـعادة ده مـش عايـزة اشـوهه بـأي حاجة، أنـا حبيـت واكتفيت واتمليت، شـوية الحـب دول هيـدّوني حيـاة روح، هارجـع احـب كل حاجـة، هاحِـب بيتي وحَسـن وولادي، وأنضـف البيـوت وأنـا مزاجـي حلـو، وممكـن كـده وأنـا بانفَـض الشـبابيك اغنّـي لمـا النـاس قالـوا انـك جـاي شـفت أنـا احلويـت ازاي.. وألبـس العبايـة وألِـفّ الطرحـة وأنـا ماشـية كـده واثقـة سـعيدة، كأن الدنيـا كلهـا بتغنـي لي واثـق الخطـوة يمـشي ملـكا.

قطع صوتُ جرس التليفون حديثَها. نظرت إليها ناهد قائلة:

- أشرف

ضحكت انشراح وقالت لها اتصرفي

بدون مقدمات يسألها: أيوه يا ناهد كلمتي انشراح؟

- أيـوه، بـس هـي بتعتـذر لأن لـو كلمتهـا هتحصـل مشـاكل لهـا مـع ولادهـا وجوزهـا.

تردد أشرف قليلا ثم أكمَل:

fb/mashro3pdf

- لأ.. لازم أكلمها

حاولت ناهد ادِّعاء البلاهة

- طيّب مش بس تفهمني عايزها في إيه كده ضروري يمكن اساعدك؟

- كنت عايز اتفق معاها على المرتب، وافهمها شوية تفاصيل صغيرة عن طباعي والحاجات اللي مش بحبها، وكمان اقول لها تعمل لي مَحشي كوسة مش ورق عنب.

- أشرف بس اللي أنا فهمته من انشراح انها مش هينفع تشتغل، لأن المشوار بعيد عليها.

****

قُربَ مَطلع الفَجر وبعد أن هدأت كل الأشياء، وانتهى الصخَب المعتاد إذا بها ترَى أمامَها زائرها الليلي، كان رقيقًا ناعمًا يشبِه ليلتَها السعيدة، امرأة صارخة الجَمال، دقيقة الخصر، ضامرة البطن مجدولة تملك قوامًا فرنسيًا، طويلة كَمَلِكات الجَمال، بشرتها زيتونية، عيناها خضراوان نادرتان مسدلتان بجفنيْن ناعسيْن، أنفها صغير، شفتاها عريضتان تصاحبهما ابتسامة قوية مبتهِجة، شَعرها يميل للشقرة وينسدل على كتفيها العريضين، كانت شديدة الأناقة، ترتدي فستانًا يلتفُّ حول جسدها بدقة تُبرِز جمالَه طويلا أكثر من ثلاثة أمتار، لونه كُحلي ساخن، مصنوع من الستان دوشيس، ومشغول بالترتر، والأحجار الملونة، والألماس، يكشِف عن جمالِ رقبتِها وصدرها البرّاق متلألِئ الصفاء كتلألؤ المِرآة، بدا لها كأنه نرجس جَدّتها تشبهها لحدٍ

fb/mashro3pdf

كبير. فرحت انشراح لرؤيتها:

- نرجس

أجابتها الجميلة برفق ومودة:

- لأ

أنا لست نرجس، أنا انشراح عويضة

بُهتت انشراح مِن ردها، وقالت لها:

- أنا؟ أنا لم أكُن يومًا بهذا الجَمال، لم أملك يومًا هذا القوام، ولم أكُن أبدًا تلك المرأة القسيمة ذاتَ الحُسن.

- بَلى إنني أنتِ، كل مَن ينظر لكِ يراكِ كما ترينني أنتِ الآن.. هذه الرائعة الفاتنة الجميلة.

- لم أرَ نفسي مثلك، كنت دائمًا أشعر أنني امرأة شديدة القِدَم، آتية مِن زمن بعيد، كنت دائمًا أراني أكبر بكثير مِن كل مَن حولي حتى مِن جَدّتي.

تبدّلتْ هيئة الجميلة فجأة فإذا بها امرأةٌ عجوز تختفي ملامحها وراء مئاتٍ من التجاعيد، ظهْرها مُنحَنٍ لدرجة أنه لامسَ رُكبتيْهَا، العروق نافرةٌ من يديها كأنها حملت أثقال الزمان كله، وبالرغم مِن هذا لم تكُن منفِّرة، كانت شموسٌ تُطِل مِن وجهها، تخترقك أنوثة مبهَمة غامضة مِن حدقتَيْن شديدتَي الزُّرقة، اختفت العجوز وعادت الحسناء للظهور تدريجيا.

هتفت انشراح قائلة: أراني أقربَ لتلك العجوز المَحنية، كيف تقولين لي إنني تلك الحسناء؟

fb/mashro3pdf

أجابتها الحسناء:

- هـذه العجـوز هـي الألوبـا التـي بداخلـك، هـي الحكمـة التـي تملكينهـا. هـل تعرفينهـا؟ يُحـكَى في الأسـاطير أن امـرأةً عجـوزًا تعيـش في كهـف، كانـت حياتهـا أن تلملِـم العِظـام وتجمعهـا، وعندمـا يكتمـل عَظـم ذئـبٍ تجلـس بجـواره تغنّـي وتغنّـي، وكلـما غنـت يكسـو اللحـمُ للعظـامَ، ثـم تعـاود الغنـاء وتغنّـي أجمـل وأعـلى حتـى تـدب فيـه الروح، وكلـما دبـت فيـه الـروح اختفـت مِـن عندهـا التجاعيـد وأصبحـت أصبَى وأجمـل، حتـى وصلـت لصـورة الحسـناء التـي أعجبتـكِ

- وما علاقتي أنا بها؟ وكيف تقولين إنها أنا؟

- أنـتِ أيضًـا كنـتِ دائمًـا تفعلـين مثلَهـا، كنـتِ تغنّـين لقلـوب متألمـة ميتـة أحيانـا مِـن الغـدر، ومـراتٍ مـن الوحـدة، وأخـرى مـن الاحتيـاج، حتـى لقلـوب قاسـية جاحـدة لم تَبخلي بغنائـك الـذي يلملِـم العظـامَ ويعيـد لهـا الـروح، أنـتِ تملكـين حكمـة العجـوز وعطاءَهـا، ولـذا مهـما كان شـكلك لا يـراكِ النـاس إلا في هيئـة تلـك المليحـة الحسـناء.

ابتسـمت انـشراح بينـما صـوت غنـاءٍ عـذبٍ مريـح يمـلأ أرجـاء الغرفـة، وإذا بـأشرف يدخـل الغرفـة، يقـترب مِـن انـشراح يَطبـع عـلى شـفتيها قُبلـة.

****

fb/mashro3pdf

- 19 -

قررت غادة أن تنسحِب مِن هذا العالَم الذي يذكّرها بخيبتها، لم تعُد تطيق رؤية منال أو انشراح، هربت مِن أن تجد نفسها في مواجهةٍ يومًا ما مع حاتم، هو ومنال في منزل انشراح. ماذا سيكون الوضع إذا تزوَّجَا وأتيا لزيارة انشراح؟ ماذا سيكون الوضع إذا أنجبا أبناء؟

مرة أخرى حاتم يُحرِمها مِن الحياة، انشراح ومنزلها وابنتها شيماء وناهد والجيران وزوبة، حتى منال، هؤلاء هُم أسرتها الجديدة، وإن صَح القول أسرتها الحقيقية التي تعيش معها منذ سنوات، حاتم يكون للمرة الثانية سببًا لحرمانها مِن العالَم، فقدْ تخلّت في المرة الأولى عن أسرتها وصديقاتها خوفًا مِن أن ينفضِح أمر علاقتهما، وفضّلت أن تبتعد عن الجميع متحجِّجةً بانشغالها في العمل، حتى أصبحت وحيدة تعيش الانتظار حتى يَظهر، المرة الأولى كان ذلك اختيارَها، أمّا الآن فلا بُد أن ترحل، لن تستطيع البوحَ ولن تتحمل البقاء، استيقظت في الصباح لملمت أشياءها وغادرت.

عادت إلى شقة المَنيَل، فتحت الشقة التي كانت معبأة برائحة حاتم، الدواليب التي ظلت محتفِظة فيها بملابسه، هذه رابطة العُنق، وهذه البيجاما، صدّقت ما قاله لها عن سبب بُعده،

fb/mashro3pdf

صدّقت مثاليته: «لم أتركك لأني زهدتك أو لأن حُبي لكِ قد زال، ما زلت أحِبك وأعشقك، ولكني تعِبت، تعِبت مِن الكذب وافتعال المواقف حتى أراكِ، تعِبت مِن إحساسي أني ظالِم أظلم زوجتي بأنني أخونها وأظلمكِ بأنني لا أستطيع أن أوفيكِ حَقكِ، تعِبت من الخوف الدائم الذي أعيش فيه والإحساس المرعِب أنني لست عادلا، إن حُبي لكِ هو الذي دفعني لهذا القرار قرار الانسحاب، كان مِن الممكن أن أستمر وآكُل عمرَكِ كله في هذه الزيجة التي لا تعطيكِ أي حقوق، تأكدي أن بُعدي عنكِ هو أكبر عِقاب لي عن أنني لم أستطِع أن أكون رجُلا قويًا، كما أن العذاب الذي سأعيش فيه لحرماني منكِ هو ثمن ضعفي وعجزي، سأعود يومًا ما عندما أُصبِح جديرًا بحُبكِ».

احتفظت بكُل شيء، ملابسه، روائحه، منشفته، بيجامته التي لم تغسلها حتى تظل رائحته فيها، حتى آخر قميص نوم قررت أيضا أن تحتفظ به كما هو، حاملا كل ذرّات عَرَقه ومتعته على أملٍ باللقاء.

قررت انشراح زيارتَها، هناك شيء غير طبيعي حدثَ لغادة.

حاولت غادة كثيرًا إخفاء ما حدث ولكنها لم تستطع، كانت تعلَم أنها ستضع انشراح في ورطة، كانت تود أن تنأى بها عن هذا الشعور بالتمزق بين حبها لها وحبها لمنال، وبماذا ستفيد معرفة انشراح؟ وهل ستغيّر مِن الواقع شيئًا؟ لكنها لم تستطِع أن تصمت، هناك شيء مرعِب تحمله بين ضلوعها تريد أن يشاركها فيه أحد،

fb/mashro3pdf

تحجّجت لنفسها بأنها لا بُد أن تشرح لانشراح السببَ الحقيقي وراء بُعدها واختفائها، ولكنها كانت تعلَم أنها مجرد حُجة.. هي تريد أن تحكي فقط تحكي.

-انشراح، الكلام اللي هاقوله مش عايزه حد يعرفه وخصوصا منال، ده سر ولازم يفضل بيننا.

أخذت غادة تحكي كل التفاصيل عن علاقتها بحاتم، الحب والزواج وكيف أجهضت نفسها دون عِلمِه عندما حملت بالخطأ، كيف ذهبت للطبيب بمفردها ولم تحكِ له خوفًا أن يسبب ذلك الحَمْل مشكلة، حكت عن الإهمال والتذلل والأمل والغدر، وحتى ما حاولت إقناع نفسها به من مثاليته وأخلاقه التي حَرَمته من الاستمتاع بحبه، حكت كيف صدّقت أعذاره الواهية وكيف اقتنعت بكل هذه الكذبة، كانت تحكي ويتخلل حديثها نوبات من ضيق التنفس ويصاحبها صوت مكتوم أحيانًا لا يقوَى على الحكي، وعندما أنهت حديثها انفجرت في بكاءٍ هيستيري: هو أنا ولا حاجة قوي كده؟ كل ده مالوش قيمة؟ كل ده ماحرّكش جوّاه حاجة؟ أخذت تبكي وتعيد: هو أنا ولا حاجة قوي كده؟ رفض يعمل علشاني أي حاجة، حتى دِبلة مرضيش يشتريها، وعلشان منال هو جاهز لكل حاجة، يضحّي بكل حاجة، بس هي ترضى!

كان شكل غادة لا يختلف كثيرًا عن شكل منال، وقت أن أجهضتها ليلى منذ عشر سنوات، الذهول نفسه، الصدمة نفسها، الجرح نفسه.

fb/mashro3pdf

أخـذت انـشراح تنظـر لغـادة ولا تعـرف مـاذا تقـول لهـا، دخلـت انـشراح المطبـخ ولأول مـرة منـذ وفـاة حيـاه تنـزل دمـوع انـشراح، تذكـرت وصفـة الكلبـة وأنهـا ربمـا تكـون السـبب في مـا تعيشـه غـادة مـن ألم، فلـولا الوصفـة السـحرية التـي عملتهـا لمنـال حتـى تسـاعدها أن تنتقـم لنفسـها، مـا كان حاتـم رَكـعَ لهـا.

هـل تصـارح غـادة؟ وهـل ذلـك سـيخفف مـن الألم؟ أخـذت تنظـر لغـادة تلـك المـرأة القويـة التـي تحملـت كل هـذا دون أن تنطـق، دون أن تَخـرج لـه وتواجِهـه، دون أن تحـكي لمنـال، دون أن تحـاول إفسـاد أي شيء، تأكـدت أنهـا سـيدة مِـن عَينـة نرجـس وحيـاة، مِـن تلـك العَينـة التـي تعـوّد الزمـن أن يزيدهـا مـن ضرباتـه فقـط ليسـتمتع برؤيـة المقـاوَم، قـررت أن تصارِحهـا.

- أنـا هاحكيلـك عـلى حاجـة عملتهـا زمـان، زمـان قـوي ونسـيتها، وبصراحـة أنـا كنـت باعملهـا وأنـا نفـسي مـش مصدقـة فيهـا، أنـا بعمـل وصفـات سـحر ورثتهـا عـن جـدتي، بـس أنـا بقـى كنـت عاملـة نفـسي متعلمـة ومثقفـة وبافهـم ومـش زي النـاس الجَهلـة، ولمـا كنـت باعمـل الوصفـات دي كنـت باعتبرهـا عـلاج نفـسي، حاجـة بتقـوّي اللـي قُدامـي واللـي غالبًـا بيبقـى مقهـور وضعيـف ومـش عـارف ياخـد حقـه، واليـأس جـوّاه ومعنـدوش أمـل في حاجـة.. كنـت بعتـبر الوصفـة دي حاجـة هتسـنده لحـد مـا يعـدّي الأزمـه والصدمـة، هيصـدّق ان مشـكلته هتتحـل، هيقـوّى ويتماسـك ويقـدر يفكـر ومـا يتألمـش، عمـري مـا صدّقـت ان الوصفـات دي فعـلا بتعمـل حاجـة، بـس بعـد

fb/mashro3pdf

اللي انتي حكيتيه ده عن اللي بيعملُه حاتم، ده مش طبيعي، دا صدّقيني تأثير سحر أنا اللي عملته من سنين، كانت نرجس تقول لي الوصفة دي بتجيب أتخن شنب راكع، كانت تقول لي كل الوصفات كوم ودي كوم، وأنا فعلا معملتهاش غير لمنال مِن حُرقتي عليها وإحساسي بالظلم اللي هي شافته، عملتها وبرضه ماكُنتش مصدّقة ولا مقتنعة بس قلت أجرب ونسيت.

لم تستوعِب غادة ما الذي تقوله انشراح، ولكن كأن شيئًا ما حل لها أزمتها: «أنا ماكنتش رخيصه عنده ، وهو مش ندل؟ ده سحر؟»

سكتت كثيرًا وبكت بكاءً هادئًا وإذا بها فجأة تقول لانشراح:

طيّب فُكي السحر، فُكي السحر وسيبوه في حاله، على الأقل اكون حافظت على الحاجة اللي ضحيت بعمري علشانها، بيته واستقراره، منال عندها كتير، عندها رضا الحلواني، وعندها أمجد وأحمد، ومنال أصلا مش هيفرق معاها حاتم ولا هاني.

انفجرت في البكاء بتوسُّلٍ: أرجوكي فُكي السحر وانقذي حاتم، حياته كلها هتتدمر وهي في الآخر هترميه، منال مش هتستحمل تعيش معاه مُخلِصة لِيه، أرجوكي يا انشراح فُكي السحر.

كان طلب غادة مفاجأة لانشراح، أجابت بصوتٍ مَن لا حولَ له ولا قوة:

-عايزاني اعمل ايه؟ سحر إيه اللي أفكه؟ واللهِ ما اعرف بيتفكّ ازاي!

نظرت لها غادة:

- للدرجة دي حُبك لمنال؟ للدرجة دي مش فارِق معاكي حاجة

fb/mashro3pdf

بعد كل اللي قلته ليكي؟ مش فارقة معاكي مشاعري؟

- والله يا حبيبتي كل اللي اعرفه ان الكلبة لازم تموت، وساعتها التأثير يِبطَل، واللهُ أعلم فين الكلبة دي، دي كانت كلبة في الصحرا من عشر سنين، هاجيبها منين يعني؟

فكرت غادة:

- أوكيه اعملي وصفه تبعِده عنها، ولا اقول لك، اعمليلي أنا كمان وصفة الكلبة، وكده هنكون أنا ومنال زي بعض، وساعتها هنعرف تصرفات حاتم دي تأثير سحر ولا حُب.

اندهشت انشراح من طلبها، ولكنها وافقت كي تهدّئ غادة:

- مافيش مشكلة، بُكرة نطلع أنا وانتي بالعربية الصحرا ونصطاد كلبة، وأكون أنا جهزت الخَلطة.

هدأت غادة قليلا، وقامت انشراح بعمل فنجانيْن مِن القهوة، شربا معًا واتفقا على اللقاء في الغد

****

fb/mashro3pdf

- 20 -

تكررت ليالي الخميس الحمراء، واظبت عليها ناهد كعهدٍ مقدس وأضحية للخلاص، في بداية الأمر كانت ناهد تمارس طقوسَها وهي تبكي وتشعر بالإهانة، ولكن ما أنْ تعودت عليها وبدأت تستمع بعلاقتها بهذا الجن الأسمر، حتى بدأت تعيشها بكل ما فيها من إحساس، تخلصت فيها من كل شيء، وأطلقت البراح لجسدها أن يعبّر عن نفسه، يثور ويفور حتى يهدأ، تخلصت من الخجل، إنها وللمرة الأولى تمارِس الجنسَ بحُرية تامة، تقول كل ما تريد، تتخيل كل ما تريد، تَسمع كل ما تريد، وتفعل أيضًا كل ما تريد، تحررت مِن كل شيء حتى من احتياجها لرجُل، رسمت صورة عن ممارسة الحُب وطقوس الجنس وبلوغ النشوَة، تعلمت مع الجن الأسمر كيف تكون نفسها، أصبحت أكثر قوة وتماسُكًا، وإذا بها تشعر بالرغبة في حياة حقيقية، حياة لا تكون مجبَرةً فيها على معاشرة رجُل يعطيها الحبَ كأنه واجِب، رجُل تشعر وهي تقترب منه بعشرات الحواجز بينهما، لقد فكرت مئات المرات في طلب الانفصال ولكنها كانت ضعيفة مهزومة، لم تقوَ على تنفيذ ما أرادت، تحمّلت سنواتٍ وسنوات هذا الألم وذلك الضغط النفسي، لم تعرف أبدا لماذا كانت ضعيفة، كما لم تعرف أيضًا لماذا هي الآن قوية، ما الذي أضافه لها طقسٌ وهْمي مع رجُل وهْمي؟

fb/mashro3pdf

فكرت أن تتردد على عيادة طبيبٍ نفسي ليفسِّر لها كيف صدّقت تلك الفكرة وكيف خضعت لها، ثم كيف استمتعت بها ثم في الآخِر كيف أدركتها، ولماذا الطبيب إذا كان الإدراك نفسه دليلا على التعافي؟

نَعَم تعافت، وتعلّم أن شهاب شخصية وهْمية، وأن ما تمارسه كل خميس شيء يشبِه العادةَ السِرية، ولكن الأهم أنها أصبحت أنثَى معتزةً بجَمالها وتقدّره ولن تعطيه لأي رجُل لا يحترمه، ولن تنهار إذا انفصلت عن مجدي.

كان قرارًا سهلا.. فمجدي كان يريده أيضًا، وحتى هذا لم يؤلِمْها، وعلّقت على هذا بقولها: «لقد احتضرت علاقتنا منذ زمن، كان الإبقاء عليها كمَنْ يحنّط جثة منتظِرًا أن تدب فيها الروح، الشيء الوحيد الذي بقي فيها هو ذلك القيد الذي خاف كل مِنا أن يكسره، مَن مِنا كان يملك شجاعة القرار؟».

عادت ناهد إلى عالَمِها، دبت فيها الحيوية، جددت فيلا والدِها وانتقلت للحياة فيها مع أولادها احتفظت بعلاقتها الطيبة بمجدي، وكانت تبرر ذلك قائلة: «الناس بتعادي بعض وتَكره بعض لمّا بيكونوا لسه عايزين حاجة من بعض».

فتحت النوافذَ واستمتعت بموسيقى فرانز ليست، وبدأت ترسم، ترسم لوحاتِها الصغيرةَ شخابيط تُعَد فلا تُحصَى، صبغت شَعرها باللون الأشقر الساندريه، الذي كان سابقًا لا يليق بزوجة رجُلٍ أزهري، ولكن الأهم من ذلك أنها أصبحت تنام بعمق وبابتسامة،

fb/mashro3pdf

أحيانًا يزورها شهاب فتضحك قائلة مرحبا بك أيها الجن الأسمر.. جن الخلاص.

****

شمسُ القاهرة المشرقة الدافئة، ونهارٌ ربيعي في منطقة الداون تاون في التجمّع الخامس بنافوراتها الجميلة واثنين دوبل اكسبرسيو في ستار باكس، يتبعهما غداء شَهي في بول على الجانب الآخر، وربما قليلا مِن التسكع في المحلات كعادةٍ نسائية ممتِعة تصاحِب متعة القهوة، هكذا قررت ناهد أن تقضي يومَها مع انشراح التي لم تمانِع، فقدْ كانت في أمَسّ الحاجة إلى الخروج بعد الضغط النفسي الذي تعرضت له بسبب منال وغادة:

-عايزه أشكرك جدًا يا انشراح، وفيه مواضيع كتير قوي عايزة اتكلم معاكي فيها

-تشكريني على إيه؟ مش فاهمة!

-أولا أشكرك على شهاب، وعلى إنك قِدرتي تساعديني بفكرة وهمية اني أتجاوز أزمة كبيرة في حياتي، ده طبعًا غير اللي انتي طول عمرك بتعمِليه معايا، علشان كده أنا كمان عايزة اعمل لك حاجة، قولي لي عاملة إيه مع حَسن؟

اندهشت انشراح من السؤال:

-حَسن؟ هو حَسن ، موجود بالطريقة اللي هوَ عايزها، وبالحجم اللي هوَ عايزة،فوق العشرين سَنه بشوفه في اليوم رُبع ساعة

fb/mashro3pdf

بيجي يتعشى ويدخل غرفته وينام، وينزل الصبح بدري بيتسحب علشان محدش يطلب منه مصروف، يسيب الخمسة جنيه على الترابيزة وينزل.. بس غريبة بتسألي ليه؟

-مش غريبة ولا حاجة، باطمئن عليكي، آه فكّرتيني قبل ما انسى، هي بيسة أختك ماحاولتش تتصل بيكي اليومين دول؟

-بيسه؟ مالِك يا ناهد، اللي فكرك ببيسة؟ دي هي ماحاولتش تشوفني من يوم ما جَت زارتني أيام السادات غير مرة واختفت كعادتها.

-لا أبدًا، أصلي لسّه شايفة اسمها في المترشحين لمجلس الشعب عن الدايرة بتاعتكم، فتوقعت انها أكيد هتتصل بيكي.

-بيسة رشحت نفسها لمجلس الشعب؟ وهي مالها بمجلس الشعب؟ دي مالهاش غير في قال الله وقال الرسول!

-ساعات بحِس انك مش في الدنيا، بيسة جوزها مِن أهم رموز الإخوان، أنا مش عارفة هي ليه ما اترشحتش في ألفين وخمسة أيام الإسلام هو الحل، كان الشارع معاهم والحكومة كانت سايباهم، دلوقتي مضيّقين عليهم، ما اعتقدش هيعرفوا يعملوا حاجة في انتخابات ألفين وعَشرة، بس هي عموما مترشحة على مقاعد الكوتة.

- أنا عارفة ان جوزها من الإخوان سُنّي يعني، بس الإخوان المسلمين مالهم ومال السياسة؟ وإيه الكوتة دي؟

-خلاص يا انشراح، شكلك فعلا ضايعة في السياسة، أبقى أشرح لك

fb/mashro3pdf

بعديـن، وعـلى فكـرة طـارق كـمان مترشّـح للمجلـس، وطبعًـا مجدي ده بقـى شـاري كـرسي كاتـب عليـه اسـمه في البرلمـان.

- طارق مين؟

- طارق ابن أخوكي سيد

- طـارق ابــن ليــلى؟ ده حشّــاش، هــو لُــه في حاجــة غــير الســهر والــشرب والرقــص؟

-لا، لُـه ومسـنود عـلى اسـم حَمَاه الدكتـور عبـد الفتـاح رضـوان، دول كفايـة أعضـاء النـادي الـلي هينتخبـوه علشـان يجاملـوا حَمَاه، ابسـطِي يـا سِـتّي اختـك وابـن اخـوكي هيكونـوا نـوّاب الشـعب.

-مجلـس الشـعب! طـارق وبيسـة؟ طـارق ابـن ليـلي ده يـاكُل مـال النبـي ويحـلّي بالصحابـة، وبيسـة! ودول هيعملـوا إيـه للشـعب إذا كانـوا مابيسـألوش عـلى أهلهـم؟ ياللـه لـه في خلقـه شـؤون.

- المهم أشرف طلب يتجوزك.

- فيه إيه النهارده؟ إيه كل المفاجآت دي؟

- فيها إيه يعني؟

- أشرف إيـه وجـواز إيـه؟ انتـي ناسـية اني متجـوزة؟ وبعديـن مـا احنـا قفلنـا الموضـوع ده مـن زمان.

-وإيه المشكلة؟ ربنا حلّل الطلاق.

- آه بـس حَسـن عايـش، ماغـدَرش بيّـا، آه عايـش بطريقتـه وبغباوتـه وبقسـوته، بـس عايـش.

- أيـوه، بـس دي مـش عيشـة، وهـو طـول عمـره بيعاملـك بغبـاوة،

fb/mashro3pdf

وتقريبا مش بيديليك حقوقك.

- أنا عمري ما اتكلمت عن حَسن كويس، وطول عمري باشتكي منه، بس الحقيقة أنا ساعات بحِس اني أنا اللي أذيته.

- ده كلام جديد أول مرة أسمعه منك.

- يمكن علشان أول مرة أسال نفسي ليه لما جَتلي فرصة أسيب حَسن، وأنا اللي طول عمري باشتكي منه، قلبي ما طاوعنيش اعملها؟ حَسن أصغر مِني بعشر سنين، جاهل ما بيفُكّش الخط، في الحقيقة أنا كنت أكبر منه بكتير مش في السن بس، في كل حاجة، حَسن كان دايما يحِس اني بفهَم عنه وباعرف اتصرف عنه، دا كان فاكرني بعرف فرنساوي علشان كنت بقعد أغنّي بالفرنساوي، أقول لك حَسن فِهم مع الوقت انه لو اتشعبط في السما وركب المراجيح وعمل كل الشقلبانات، مش هيحِس برجولته، ويمكن ده السبب اللي كان بيخليه يهجرني ويروح لشرايط الفيديو، يمكن كان عايز يكسر نفسي ولا الإحساس ده خلاه بعيد عني؟ ماعرفش، وانا كمان زوّدتها، اتعلمت استوعِب ضعفه وقلة حيلته واسامحه واغفر له، لحد ما اتحولت لأُم تحت مسمّى زوجة، وأكيد أنا نفسي ما كُنتش حاسّه انه راجلي، ومع كل ده عاش ومَباعنِيش وسابني وراح اتجوّز واحدة تانية صغيرة وعلى قَد إيده، مع إنه كان يقدر، ناهد أنا مش هاعمل كده في حَسن، أنا غيرك انتي ومَجدي، انتم تعِبتم مِن بعض وكل واحد فيكم كان مستنّي اللحظة انه يمشي، أنا وحَسن استقرينا على وضع مريّحنا احنا

fb/mashro3pdf

الاثنين، هوّ له حياته وأنا ليّا حياتي، لا فيه قلة أدب ولا جُرَس ولا مَد إيد، عايشين باحترام لحدّ ما حَدّ فينا ربنا يفتكره.

- وأشرف؟

- قلت لك أشرف حُبي له هو الحب الشافي، هو الفرحة اللي هاعيش بيها لحد ما اموت.

- طيّب وهوّا! ما فكرتيش فيه؟ ده بيتعذب وبيتألم، نِفسه يبقى جنبك، ده بيقول لي باحبها يا ناهد نِفسي أسعدها، وعلى فكره هو بعت لك جواب معايا.

جلست ناهد تقرأ لانشراح رسالة أشرف

«مَر أكثر مِن عامٍ ونِصف على ذلك اليوم الذي تقابلنا فيه، حاولت فيه أن أنساكِ، وأن أحترم اختيارك وأن انصاع لإرادتك وأقتنع بكل مبرراتك، ولكني اكتشفت أنني كالفارس الذي هرب بجواده من أرض متأكد أنها أرضه، سألت نفسي كثيرا هل ما فعلته احترام أم استسلام؟ لم يعد عقلي يستطيع أن يوجهني، آلام بعدك تفوق احتمالي، وقتها أدركت أنه عندما يجتاحنا الحب، أي حب، تتضاءل الحكمة ويذوب المنطق، فهمت كيف يموت الشهداء وكيف يتحمل السياسيون المعتقلات وكيف وكيف. أشياء كثيرة افتقدتها في عالم الشهرة والأضواء، حيث كل شيء حولك لامع، حيث أنت بالنسبة للجميع سلعة مهما علت قيمتها ولكنها تظل سلعة، انشراح، الموت قريب يحاصرنا جميعًا، عِشت بهلع أن أستيقظ يومًا فلا أجدك أو أن أرحل دون أن أبوح لك بوحَ

fb/mashro3pdf

العاشقين، لقد كذبتُ عندما وافقتك على اختيارك وإنكِ اكتفيت بشعور الحُب، في حُبك تعلمتْ أفعالا ليست مِني، وخصالا لا تشبِهني، فلا تضحيات ولا بطولات ولا حكمة، معك عرَفتُ أن الحب أنانية وغَيْرة وامتلاك، وما دون ذلك عبث، الحُب جنون، ذوبان إلى المنتهَى حيث الارتواء، في الحُب لا توجد حلولٌ وسطَى، كذبتُ على نفسي وحاولت أن أصدق كذبي أنني سأرضي بحب لا يعاش، حاولت أن أقنع نفسي بكل مبرراتك، ولكن قلبي كان يعلن دائمًا تمرُدَه عليّ وعلى كذبي، كان يطالبني بك لا يهدأ، كأن حُبي لك ماردٌ حبسته رغمًا عنه، ماردٌ يفتِك بي رافضًا الاستسلامَ لِمَا أمليتِه عليّ، يقاومني، يحاول الخروج مِن سِجنِه، تتشبث أظفاره بجِلدي، يقطع لحمي، يمزقني، يشق صدري ليخرج ولا يستطيع، يضغط على أضلعي، أشعر بها تتهشم، أسمع رئتَي اللتين لا تقويانِ على التنفس فتخرج أنفاسي مستغيثة مِن هذا الشوق الجاثم عليهما يحرقهما ويحرق كل ثناياي، كَم كتمتُ وجدي لك ألمًا ونارًا وزفراتٍ تئِن، فطرت قلبي الذي لا يهدأ ولا ينام ولا يكُف عن الحنين، وعندما يخونني الصبر لا أخجل أن أقول لك إنني لا أجد إلا أنهارًا مِن بكاء مخذولٍ لن ينتصر لدموعه أحد، فتكتفي أن تشق على قسمات وجهي قنوات مِن الاحتياج، لترتكن إليها دموعي كل ليلة، على أملٍ يائس بلقاء تغمرك بها كقربان محبة».

أنهت ناهد الخطاب، نظرت لانشراح متنهدة متأثرة، وقالت لها بصوت يائس:

fb/mashro3pdf

أقول له إيه؟

لم تكن انشراح في حاله تسمح لها بأن تقول أي شيء، بعد سماع كلمات أشرف لها، تذكرت تصرفات حسن وطريقته معها، عقدت مشاعرها رغما عنها مقارنة بين كل مشاعر التخلي والخذلان التي عاشتها في حياتها، وبين ما اعتبرته مكافأة السماء.

أجابت بصوت مكتوم

قولي له انشراح بتقول لك انت رحمة ربنا ليا.

قولي له سعادتها حصلت بحبك ليها وده كفاية، كفاية إحساسي انه بيحبني.

- إنتي بتقولي إيه؟ عايزاني أقول له كده؟ ده يتجنن.

أجابتها بصوت مهزوم:

ماعرفش، قولي اللي انتي عايزة تقوليه، بس أنا مافيش في إيدي حاجة.

-على فكرة هو عايز يشوفك ويتكلم معاكي.

- ناهد، مش هينفع، أنا مش عايزة أشوفه، أنا باحبه، افهمي، لو شفته هاضعف.

-ما تضعفي، إيه المشكلة؟

- اقول لك، أنا لازم امشي، ورايا مشوار صعب بكرة واحتمال احتاج عربيتك العالية، نتكلم بعدين.

في طريق العودة كانت انشراح تفكر:

ياه شعور يقلب حياة الإنسان! عشت طول عمري مهزومة

fb/mashro3pdf

لشعوري ان إبراهيم خذلني، ودلوقتي أنا طايرة لأن فكرة ان أشرف بيحبني مليااني. أنا دلوقتي فهمت إحساس غادة، استحملت سنين مَرار في جوازة سرية وبعدهم سنين وهو مش معاها، لأنها كانت مصدّقة انه بيحبها وان الظروف كانت أقوى منهم، شعورها انه بيحبها خلاها ترفض عادل وتعيش قوية وتحب الناس وتعمل دروس محو أميّة بالمجّان، وتساعد دي وده. غادة فعلا في كارثة، فقدت الشعور اللي كان مِذيها الحياة، وفقدته بطريقة قاسية، شافته بيركع لسِت تانية، أنا مش ممكن أسيبها، لازم افضل معاها لحد ما تسترد نفسها، بس موضوع الصحرا مش حل.

في صباح اليوم التالي مرت انشراح على غادة في منزلها بالمَنيل، للذهاب إلى الصحراء كما اتفقتا، وبينما هُما في السيارة قالت انشراح لغادة:

-أنا عايزة أروح وِسط البلد الأول نشرب القهوة ونِفطر في جروبي، قبل ما نعمل مشوارنا، احنا هيكون قُدّامنا يوم طويل ويا عالم هنلاقي الكلبة اللي شبّهك ولا لأ.

انزعجت غادة من الجُملة ولكنها أجابتها:

-مش انتي اللي قُلتي لازم نروح بَدري؟

-آه، بس أنا مصدّعة ومَافطِرتش، يلا على جروبي اسمعي كلامي بَدَل ما اسخطك ضفدعة.

لم تكُن غادة لتتحمل هذه المداعَبة السخيفة، وبالرغم من أنها كانت في لهفة شديدة لبدء المغامرة وظلت طول الليل تنتظِر

fb/mashro3pdf

ماذا سيحدث غدًا، فما أنْ سمعت عرْض انشراح حتى أتتها الرغبة جارفةً في الذهاب إلى جروبي وتناولِ قهوة الصباح هناك.

- فكّريني يا غادة بالاسم اللي والدك كان بيسمّي بيه الميدان، كحكة إيه؟

ضحكت غادة قائلة:

الكعكة الحَجرية.. انتي عارفة ان القصيدة دِي اتكتبت أيام مظاهرات الطلَبة سَنَة اتنين وسبعين؟ اللي بابا شارك فيها.

-آه فكّرتيني بالمظاهرات

- انتي مش قُلتي انك ماكنتيش في الجامعة؟

آه مَدَخلتش الجامعة ولا شاركت في المظاهرات، بس كان لينا جيران طلَبة في كُلية الهندسة، كنت باكتب لهم حاجات بزهرة الغسيل، وبعدين في 77 كُلنا خرجنا أقولك على حاجة أُمي دخلت على الجمعية الاستهلاكية مع ناس كتير قوي كسّروها وبِقت تشيل وتعبّي، وجابت لنا لحمة قعدنا ناكل فيها شهرين، هو اسمه إيه الشاعر بتاع الكعكة؟

- كعكة برضه؟ اسم القصيدة الكعكة الحَجرية، واللي كتبها شاعر اسمه أمل دنقل.. وعنده قصيدة تانية حلوة قوي اسمها «لا تُصَالِح»

-صعبة برضه زي الكعكة الحجرية اللي مافهمتش منها حاجة دي؟

-لا، دي رائعة وسهلة.. تِحبي أقولها لك؟

fb/mashro3pdf

- قوليها لو تِحبي

- اسمها «لا تُصالح»

«لا تُصالِحْ.. ولو مَنحوكَ الذهبْ

تُرَى حين أفقأُ عينيْكَ

ثم أُثبتُ جوهرَتَيْنِ مكانَهما

هل تَرى؟

هي أشياء لا تُشترَى».

نظرت غادة لانشراح وسألتها فجأة:

-انتي جِبتينا هنا ليه؟

ابتسمت انشراح بحنان وأجابتها

- علشان تِحسّي باللي انتي حاسّة بيه دلوقتي

-وانتي إيه عرّفك أنا حاسّة بإيه؟

ضحكت انشراح وقالت:

- إذا كنت أنا يا انشراح يا جاهلة يا اللي أبويا تاجِر مخدرات، مقبِلتهاش على نفسي، على فكرة أنا كنت باحِب وأنا في إعدادي واحد اسمه إبراهيم، وكان زميل والدك في كلية الهندسة، وكان في مظاهرات الطلبة، وفجأة سابِني وسافر فرنسا يدرِس ومارجِعش، وقعدت مستنّياه يرجَع يِيجي عشر سنين، ومعملتلوش حاجة ولا وَصفة ولا رُبع وَصفة، ماقبِلتهاش على كرامتي، عايزة الوصفة ليه؟ حاسّه انك مجروحة؟ حاسّة انك ولا حاجة؟ عايزة تثبتي إيه؟ إنه حَبّك ولا انه مَاحَبّكيش؟ عايزه ترجّعيه ولا تسيبيه؟ عايزة إيه؟ صعبان عليكي ان واحدة بأخلاق

fb/mashro3pdf

منال تكون هي السِت اللي عايز يدّيها اسمه؟ مش يمكن هو شبّهها يحُط إيده في أي حاجة ياخد اللي عايزه ويجري، بيدوّر على مصلحته وبس مايهموش هو بيدوس على إيه ولا على مين؟ بُصّي حتى لو حاتم كان فعلا وقع في غرام منال مِن غير وصفة، الحقيقة هي لعبة ما بين اتنين محترفين، هو متعوّد ياخُد اللي هوّ عايزُه بشروطه وببلاش، بس هيّ كمان محترفة ما ديتوش اللي هوّ عايزه وحطت شروطها، ولأنه مغرور وما اتعودش ان فيه حاجة نفسه فيها مايوصلهاش وقع في الفخ وبدأ يسلّم بشروطها، بس أنا عايزة اقولك حاجة، أنا شفت من عَيّنة حاتم عشرات كانوا بييجيوا وبيعيّطوا، وساعة التنفيذ بجَد بيخافوا ويجبنوا، ومنال فاهمة ده كويس علشان كده ما بتفرطش في رضا الحلواني، تلعب شوية، تستفيد شوية، تتمتع شوية، بس هي فاهمة الحقيقة، منال مسكينة، كل ده ما يخصناش.. أنا يهمّني انتي دلوقتي.

-أنا؟

-أيوه انتي، انتي غير منال واللي ممكن يسند منال يضعفك.

_مش فاهمة، انتي بتقولي ألغاز

_ منال مسكينة ضاعت مِن بدري، عرفت طعم الذل، انتي مش عارفة قسوة انك تنامي في حضن راجل انتي مش طايقاه، مش هاقول لك علشان تاكلي زي الأفلام العربي، علشان أي حاجة، علشان تنتقمي، علشان تعوّضي نقص جوّاكي، مش عارفة قسوه انك تتجوّزي راجل اكبر منك بتلاتين سَنَة، علشان تركبي عربية زي اللي راكباها ضرتك، وبعد كده تدوّري على شاب تقضي معاه ليلة، انتي عايزة تبقي كده

fb/mashro3pdf

تسيبي روحك النقية القوية؟ يا شيخة حرام عليكي، دا عادل هيدرا بجلالة قَدرُه، ولا تقوليلي حاتم ولا رضا، راح الأزهر علشان يغيّر دينه ويتجوّزك رسمي ويتحدّى العالَم علشانك، وانتي مرضتيش لأنك أمينة مع نفسك ومعاه، ومش بس أمينة وكمان قوية، فضلتي تعيشي في الكلحة وانتي أصلا بِنت عِز وبِنت عيلة، وتعيشي بمرتّبِك، على إنك تتجوّزي جواز مصلحة من غير مشاعر، دلوقتي بس فهمت كلمتك ليّا لما جيت لك أول مرة، أنا باعِز عادل وباخاف عليه، وهافضل جنبُه لحد ما يتجاوز الأزمة، بالرغم من إنك أحيانا حسيتي بمشاعر ناحيته، بس قدرتي بسرعة تفرقي بين مشاعر الحب ومشاعر الاحتياج ورفضتي تظلميه معاكي. بذمتك دي مش قوة؟ بعد ده كله عايزة تروحي تدوّري على كلبة في الصحرا علشان ترجّع لك إيه؟ حاتم ولا ثقتك بنفسك؟ الحاجات دي بنعملها للضُعَفا علشان ما ينتحِروش أو ما يقتلوش. كفاية ولّا أقول كمان؟

سكتت غادة قليلا، شعرت لوهلةٍ بالخِزي، ولكنها قالت:

- بس أنا موجوعة وضعيفة يا انشراح، وحاسة ان كل اللي بتقوليه ده كلام كُتُب وشعارات، أنا مَرمِيه لوحدي، الراجل اللي حبيتُه سابني بدون سبب وما حققتش أي حاجة، عايشة في الكلحة على الفتات، بيطلع عيني في العربية الصفيح، حتى العربية اللي اشتريتها بالقِسط اضطريت ابيعها بعد ما عقد الأُمَم المتحدة خلص، إيه يعني ولا زوج ولا ولاد، ولا حُب ولا وظيفة ولا فلوس، كسبت إيه قولي لي؟

fb/mashro3pdf

- الاختيارات كلها قُدّامك، عادل هيدرا يتمنّالك الرضا ترضي، وده بيحبك وعايز يتجوزك، ولا بيلعب ولا بيتسلي، سِكة منال سهلة وانتي جميلة، ومنال مِن بُكرة تظبطك، والصحرا مش هتمشي، موجودة، والكلاب على قَفا مِن يشيل.

- إيه!

- انتي في الوضع ده بمزاجك وباختياراتك يا غادة، والفُرَص التانية موجودة، وأقول لك على فُرصة تانية انتي ماتعرفيهاش، لو عايزة حاتم سهلة.. على فكرة منال جَدَعة لو عرفت انه يخصك هتسيبه ليكي، هتديله بالجَزمة، حرَكة نَقص مِن بتوعها، وانتي تِظهري في الصورة يفتكر الملاك اللي ضحت بنفسها علشانه يقعد يَعيّط، وعلى فكرة هي خلاص بتنفَض لُه، أنا عارفة منال وشفتها بتتعامل معاه ازاي، عرفت انه خلاص بياخد الشلَوت ومِن غير حاجة ولا كلبة ولا صحرا، خلال شهرين هييجي يعيط لِك.

لم تتوقع غادة مِن انشراح كل هذا الحوار، كانت تشعر بكل جملة كأنها صفعة، لم يتحمل عقلها كل تلك الصفعات التي كانت كصدماتٍ كهربائية لإعادة الوعي. لم يكُن عندَها ما تقوله، صمتت كثيرًا وأخذت تردّد بينَها وبين نفسِها:

«أترى حين أفقأ عينيك، ثم أثبت جوهرتين مكانهما.. هل ترى؟ هي أشياء لا تشترى»

****

fb/mashro3pdf

- 21 -

اليـوم عاشـوراء، انـشراح كعادتهـا مشـغولة بعمـل أطبـاق العاشـوراء وتزيـين كل طبـق باسـم صاحبـه، كـما كانـت تفعـل أُمهـا، وتقـوم بكتابـة الأسـماء بالقِرفـة عـلى أطبـاق العاشـوراء.

نرجس، حياة، سيد، عواطف، سعيد، مرزوق، انشراح، ليلى.

وكلـما يزيـد فـرد يزيـد طبـق عليـه اسـمه، وكلـما مـات أحـد اختفـى طبقـه.

وتمر السنوات وتختلف الأسماء على الصينية

ويظـل عاشـوراء عيـدًا أَسَريًـا مقدسًـا، تـصِر فيـه انـشراح عـلى دعـوة جميـع مَـن تحِـب إلى منزلهـا، كانـت صينيـة انـشراح كبـيرة مثـل صينيـة أُمهـا ومِـن قَبـل جَدتهـا، تراصـت فوقهـا أطبـاق العاشـوراء في أُلفـةٍ شـديدة، فلـم يكـن هنـاك مـكان لأي طبـق، تراصـت الأسـماء المكتوبـة بالقِرفـة عـلى سـطح العاشـوراء: منـال، عـادل، حَسـن، ناهـد، غـادة، مادلـين، زوبـة، شـيماء، حتـى الذيـن ماتـوا جَدتهـا نرجـس، وأُمهـا حيـاة، وسـيد أخوهـا، لم تنقطـع عـن عمـل أطبـاق لهـم توزّعهـا رحمـة ونـورًا عـلى أرواحهـم.

عاشـوراء هـذا العـام مختلفـة جـدًا، ففـي ليلـة عاشـوراء أتاهـا الجميـع في المنـام، رأت نرجـس جَدتهـا، وأُمهـا، وبريـان، وسـيد، وآرام أنـوش، وهاجـوب، وسـعيد، رأت كل أصدقـاء الليـل ذلـك الـذي سـاندها يـوم

fb/mashro3pdf

وفاة جدتها وهذا الرجُلَ الهادئ الذي نصحها بالزواج مِن حَسن، رأت الكهوفَ والعمالقة، رأت سوماتي، رأت الحسين وفاطمة النبوية وأم العواجز والشيخ يحيى أبو المظاليم، ورأت فاطمة سرحان وهي تغنّي على ورق الفُل دلّعني، وإيريني ترقص مع داليدا زوربا، رأت امرأةً في مثل عمرها تقارب على الستين، شَعرها فِضي متوسط الطول ترتدي بَدلة بلون السماء المفضض، تجلس على مسرح تعزف على الجيتار وتغني بالإنجليزية على أنغام موسيقى ناعمةٍ دافئة:

«هل مِن الممكن أن يكون هناك المزيد

مِن تلك الحياة التي نصدّق أنها مِلكنا؟

هل مِن الممكن أن يكون هناك المزيد

في حياةٍ أكثر مما يستطيع الجسد الشعورَ بها؟

رأت كأنها ماتت، كأنهم يحمِلونها ويضعونها في سيارةٍ لنقل الموتى مكتوب عليها تحت الطلب 104 القاهرة.

رأت كأن قبرها تحول إلى مقام يأتي إليه المريدون من كل مكان، يتحاكون عن كراماتها وقدراتها، عن موتها المتكرر، عن من كانت سببا في ثرائهم ومن كانت سببا في شفائهم.

وبينما كان الجميع مندمجين في حديثهم السنوي وأكل العاشورا والميل في والتشيز كيك، التي تعودت ناهد أن تحضرها معها كل عام، والاستعداد لجلسة الفنجان الجماعية، التي يصِر فيها الجميع أن تقرأ انشراح الفنجانَ لكل منهم أمام الجميع، ويتندرون ويضحكون على مصطلحاتها المكررة التي حفِظها الجميع عن ظهر قلب، وترد

fb/mashro3pdf

عليهم سخريتهم منها قائلة «أتسخرون من الفنجان؟ لقد كان الفنجان نافذتي على أسرار البشر الذين تعبوا مِن حمْلها فألقوا بها في فناجينهم، لأعيد صياغتها على لساني بما يحلو لهم أن يَسمعوه»، طلبت انشراح مِن غادة دون أن يلاحِظ أحد أن تأتي لمساعدتها في المطبخ، تبِعَتها غادة، حكت لها انشراح عن حُلم ليلة أمس قائله «حاسة اني هاموت قريب».

ذهبت إلى حجرتها وأحضرت عدة كرّاسات مهترئة، أعطتها لغادة قائلة: دي مذكراتي، أنا كنت متعودة اكتب كل الحاجات اللي بتحصل معايا، انا طول عمري بتحصل معايا حاجات غريبة مابعرفش اتكلم عنها ولا احكيها لحد، لما تقري الورق ده هتعرفي كل حاجة، الزائر الليلي، الوصفات، الصور اللي كنت باشوفها في الأحلام، سوماتي، فيزيل، وصفات نرجس اللي كنت بعملها للناس، كل الحاجات اللي طول الوقت عقلي كان رافضها وبعتبرها غريبة مش مفهومة، غادة، خلي الورق ده معاكي ده أمانة، ولو فعلا مت وكانت العربية اللي جت تاخدني كان مكتوب عليها «تحت الطلب 104 القاهرة» زي ما أنا شفت في الحلم، يبقى ساعتها كل اللي أنا كنت بشوفه في الأحلام مش تخاريف، ويبقي وارد ان مع الوقت الناس تفتكرني شيخة وليا كرامات زي ماشفت المقام بتاعي في الحلم، سجلي الكلام اللي في الورق ده يا غادة واحفظيه في أي حته، علشان لو افتكروني شيخة يعرفوا الحقيقة، كل الحقيقة، وإني لما كنت باموت واصحى دي حاجة علمية زي ما قالت مادلين، وركزي على كلام سوماتي ان

fb/mashro3pdf

كل اللي بيحصل معايا ده مش كرامات ولا معجزات، وإن زي ما ربنا خلق أجهزة في جسم الإنسان تقوم بالوظائف الضرورية له، بالرغم مِن أنه كان يقدر يخلي الإنسان يخلّف مِن غير جهاز تناسلي ولا بويضة وحيوان منَوي، ويتغذى مِن غير فم وأسنان ومِعدة وأمعاء وبنكرياس وكِلَى ومَثانة، يكون مِن المَنطقي ان ربنا خَلق أجهزة مسؤولة عن تلبية احتياجاته النفسية عن الحب والنجاح وتحقيق أحلامه وطموحاته، أجهزة تانية تخلي الإنسان قادر انه يشفي نفسه وغيره من الأمراض، وأحيانا قادر انه ياكل النار والزجاج ويتواصل مع الآخرين عن بُعد، وزي ما كان تكوين الإنسان مجهول لشعوب زمان وكانوا فاكرين ان الست بتخلّف لوحدها لما بتقعد جنب النهر تحت ضوء القمر في أوقات معينة، وإن الراجل مالوش أي علاقة بعملية الإنجاب، ولأن الأجهزة دي أو القدرات دي مفترَض إنها موجودة في تكوين الإنسان زيها زيّ الأجهزة الأخرى، يبقى كل الناس عندها نفس القدرات، علشان كده مفيش إنسان على وجه الأرض ماحَسّش بيها، كل واحد فينا أكيد ولو مَرة فكر في حد ولاقاه بيتصل بيه أو حِلِم حِلم وبعدين لاقاه بيتحقق، أو اتمنّى حاجة قوي ولاقاها بتحقق، أو دَخَل مكان لأول مَرة بس كان متأكد انه دخل المكان ده قبل كده، وحاجات تانية كتير، وده دليل ان كل البشر عندهم قدرات خاصة، وعلشان كده الإنسان لازم يعرف انه مش محتاج ولي مِن الأولياء أو قديس من القديسين علشان يساعده، نفس الأجهزة اللي عندك عنده، الفرق اللي بينك وبينهم ان هُمّ عندهم إرادة شغلت

fb/mashro3pdf

أجهزتهم وعلت قدراتهم فاتفتحت معاهم أسرار أجسامهم، لو البشر أدركوا ان القوة خلّقها ربنا جوّاهم هيعرفوا أنهم مش محتاجين الفلوس ولا المراكز ولا الأوليا ولا الراجل، ويبقى الكلام اللي قاله لي سوماتي عن إن الناس لازم تلاقي قوتها وتطور الخير اللي جوّاها، مش بس علشان يعيشوا سعدا في الدنيا أو يدخلوا الجنة في الآخرة، ولكن كمان علشان يحافظوا على توازن قوَى الخير قدّام قوَى الشر في الكون. كلام مهم وضروري الناس تعرفه، لأن أكيد فيه ناس كتير قوي زيي بُسَطا وفقرا ومش متعلمين وماعندهمش فلوس، فاكرين نفسهم مالهموش لازمة وجايين في الدنيا كِمَالة عدد، ساعتها يعرفوا ان ليهم دور ودور مهم «ازاي يحافظوا على استمرار البشرية»، الورق فيه تفاصيل كتيرة قوي، ومواضيع كتيرة.

غادة، لحد دلوقتي مافيش حاجة أكيدة، ممكن يكون كل اللي مكتوب ده هلاوس، أو حالات نفسية، ومافيش لا فيريل ولا سوماتي، وإن دول كانوا شخصيات وهمية خلقهم خيالي احتياج لونيس أو سند، ممكن الصوت كان صوت روحي اللي رفضت تصدق انها ضعيفة، صوت إرادتي بيعلمني ازاي الاقي جوايا نقطة القوة اللي أواجه بها قسوة العالم، ماحدش شاف ولا سمع غيري، ماعرفش ممكن نعرف الحقيقة ازاي! بس اعتبري موضوع العربية ده هو العلامة.. ماتنسيش «تحت الطلب 104 القاهرة».

****

fb/mashro3pdf

- 22 -

لم يكن المقرئ قد أنهى الربعَ الثاني، حتى بدأ حَسن يفيق مِن ذهوله ويتأكد أنه فعلا مأتم انشراح. ماتت انشراح. يحدث هذا دائمًا. أحيانًا بدون مقدمات، بهدوء شديد وبدون ضجة بدأ حسن يتحقق مِن وجوه هؤلاء المشهورين، اكتشف أنه يعرف معظمهم، هذا الإعلامي الشهير هو ابن د. ناهد الرزيقي ورجُل السياسة مجدي الليموني، وهذا الوسيم المتأنق المحاط بقبيلةٍ مِن الحَرس هو رجُل الأعمال والسياسي طارق ابن ليلى، ومعه حماه د. عبد الفتاح رضوان عضو مجلس إدارة أحد النوادي الرياضية الشهيرة، يلتف حولهم صفوة المجتمع الذين حضروا لتقديم واجب العزاء لطارق عويضة في وفاة عمته، ليس بعيدًا عنه يجلس رجُل الأعمال رضا الحلواني زوج منال، وبالطبع لم يتغيب رجُل الأعمال عادل هيدرا، حتى المستشار حاتم السعدي لم يستطِع أن يتغيب عن مأتم انشراح التي ساعدته كثيرًا في التعافي مِن حبّه لمنال، فأصبح يُكِن لها شعورًا صادقًا، وليد البطل كان أيضًا موجودًا ومُحاطًا بأكبر تُجّار البساتين ودار السلام، الذين جاءوا لمجاملته في وفاة خالة زوجته، أمّا النساء الجميلات سيدات المجتمع فهُنّ منال وناهد وغادة، وصديقاتهن اللاتي حضرْن لتعزيتهن، بعد أن أعلنت كل مِنهن أن هذا المأتم هو مأتم عمّتِها، كما كان يحلو لهن أن

fb/mashro3pdf

يناديها، فأتى إليها المعزون والمعزيات مِن كل مكان، حتى مادلين لم تتغيب عن الحضور، بيسة التي أصبحت اسمًا لا يستهان به في مجال الدعوة، وقفت تتقبل العزاء في أُختها بجوار ناهد وغادة ومنال وشيماء وهدى وزوبة.

لم يلبث حَسن أن أفاق مِن ذهوله حتى انتابه ذهولٌ آخر، فوجئ بإبراهيم يدخل القاعةَ، نسيَ المعزون أنهم في مأتم والتفوا حولَه يرحبون به، قام معظمهم مِن أماكنهم يتكالبون لنيل شرف مصافحة دكتور إبراهيم الدريني، أفسحوا له مقعدًا في الصدارة.

بينما كان إبراهيم يتجه إلى حَسن ليقدم له التعازي.

اجتاحت حَسن مشاعرُ هي خليط مِن الصدمة والغَيْرة. إبراهيم جاء ليودع انشراح! كان يعلم أنه عاد إلى مصر وأنه أصبح من أهم الشخصيات المصرية التي لا يستهان بها دوليا، وأنه يملك مكانة ونفوذا، ولكنه لم يتصل بأي منهم، عرفوا بعودته إلى مصر من الجرائد والتليفزيون بدأت الأسئلة والشكوك تدور في ذهنه، مِن أين عرَف أن انشراح ماتت؟ هل كانوا على اتصال؟ هل لا يزال يحبها لدرجة أنه يتخلى عن وضعه الاجتماعي ويحضر مأتمها؟ استقبله استقبالا يبدو فاترًا وقال بنبرة متهكمة:

حمدالله على السلامة يا خالي.

-البقاء لله، عامِل إيه يا حسن؟ انشراح كانت أخت غالية ربنا يرحمها.

هدأت المصافحات قليلا مع بدء المقرئ في التلاوة لفترة، سمحت

fb/mashro3pdf

لإبراهيم أن يغوص في الذكريات، تمنّى لو كانت موجودة، شَعرَ أنه يفتقدها كأنْ لم تمر السنون، تذكّر ضحكتها الرائقة، لمعان عينيها التي لم تضاهِها أي أعينٍ قابَلَها في حياته، عندما كانت تراه مقبِلا عليها، تذكّر تلك المَرأة التي كانت تجعل مِن درب شغلان قطعة مِن الجَنة، أخذ يحدّث نفسه أو يحدّثها.

«كان هناك دائمًا شيء ما بداخلي، يجتاحني في فترات ضعفي وفترات انتصاراتي المدوية يؤرقني ويذكّرني بكِ، لم أستطعْ مطلَقًا أن أتجاوزكِ، كنتِ ظلا ملازِمًا لي حتى وإنْ حاولتُ إنكار هذا، أعلم أن روحك هنا ترى وتسمع وتعلم أنني جئت».

تَبدّل حَسن فجأة كأنه أفاق مِن الحشيش الذي شربه عمره كله، وبصوتٍ ثابت منخفض قوي قال لإبراهيم:

-أول ما المقرئ يخلّص الربع ده تاخد بعضك وتمشي من هنا، بأي صفة تاخد عزا انشراح؟

فوجِئ إبراهيم بتصرف حَسن غير المتوقع، وشعر بالإهانة مِن هذا الصعلوك.

لم يُعطِه حَسن فرصة للرد، استطرد مكملا حديثَه:

انشراح مراتي أنا يا خالي، وأنا الوحيد اللي مِن حقه ياخد عزاها، فاهِم؟ إنت اتخليت عنها وسِبتها مجروحة، ولولاي أنا كانت اتجننت، وجاي النهارده تاخد عزاها؟ تاخد عزا مراتي بمناسبة إيه؟ ده شرف انت ماتستحقوش.

ذُهِل إبراهيم مِن حَسن، شَعر لوهلة أن حَسن قرأ أفكاره، كاد

fb/mashro3pdf

يشك أنه تحدّث إلى انشراح بصوتٍ عالٍ سمِعه حَسن، ولكنه سرعان ما استعاد توازنه وأجابه بنبرة تهكُّم:

- وانت بقى اللي تستحقه؟ قدّمت إيه لانشراح؟ جوّعتها ومرمطتها لحد ما بقت شغالة في البيوت.

- على الأقل سَتَرتها وعيّشتها حياة طبيعية، بعد ما كانت اتجننت وبقيت تلِف على المشايخ علشان حبيبها وعدها وغدر بيها، امشي يا خالي خليك في تليفزيوناتك وتصريحاتك، وسيبلي الحزن على شريكة عمري.

جلس المايسترو أشرف الدمرداش ليس بعيدًا عن إبراهيم وحَسن، كان يتأمل هذيْن الرجُليْن ويسترجع خطاب انشراح له، الذي تركته مع ناهد ردًا على خطابه، حكت له فيه عن كل شيء عن إبراهيم وحَسن وغيرهما، كأنها كانت تقاسِمه حياةً لم يهبها لهما القَدر.

كان أشرف يتذكر رسالة انشراح متأملا هذيْنِ الرجُليْنِ، أحدهما سَرَق عمرها، والآخر سرَقَ فرحتها بالحياة، وعلى عكس حسن كان أشرف متأكدا أن إبراهيم سيحضر العزاء، كان يعلم أن هذه اللحظة هي اللقاء الأخير، الناس عادة يفعلون ذلك، المواجهة أحادية الطرف، التي يضمنون فيها أنهم غير مطالبين بتقديم أي اعتذار حقيقي، أي فعل، إنها الفرصة الوحيدة المتبقية لهم حتى يثبتوا لأنفسهم أنهم لم يكونوا بكل هذه القسوة وكل هذا الجحود.

شيء يُلِح عليه أن يذهب لإبراهيم ليقول له أنَا حَبيبُهَا، إنه رجُل ويعلَم كيف ستؤلِمه هذه الجملة، وكيف ستربِكه، وستنزع

fb/mashro3pdf

عنه مُلْكَه على عرش قلبها وتجرّده حتى مِن متعة ذكرياتٍ لا يستحقها، وإذا بأسئلة تقتحم أشرف «هل لي الحق أن أقرر بالنيابة عنها؟ وهل سيعجبها تصرفي؟ كان بإمكانها أن تعلن هذا في حياتها إذا ما تركت حسن وتزوجتني، ولكنها لم تفعل، نعم كانت انشراح امرأة قوية، قوية بما يكفي لكي تقاوم الواقع المر، أن تخلق منه حياة تحيك قصاصاته لتصنع منها شيئا يسترها، لكنها لم تملك ذلك النوع من القوة الذي يجعلها قادرة على تغيير هذا الواقع، وجدت لنفسها كل المبررات الوفاء، الصبر، فضلت أن تعيش مع حسن حتى الموت.

شعر بصوت انشراح تناديه:

- أشرف

التفتَ إلى صوتها، تَخيَّلَها بجواره تقول له:

- أنا عايزة حاجة كتير اتمنيتها، انت مايسترو عالمي، أشهر مايسترو مصري تقريبا، ممكن تعمل لي هدية، ممكن تعزف لي حاجة، كتير تخيلت انك بتعزف على المسرح وانا قاعدة في القاعة باسمعك وباسمع تصفيف الناس ليك، وكتير تخيلت إن انا وانت لوحدنا وانت بتعزف لي على البيانو، حقق لي الحلم ده، اختار لي حاجة اعزفها لي وانا جنبك، بعد ما اتحررت من كل شيء.

ود أن يعاتبها أو يواجهها، إنها لم تتحرر، إنها هربت إلى الموت، ولكنه يحبها، عادت إلى مخيلته تلك المرأة التي رغم كل شيء ظلت دافئة صادقه محبه ، شرَدَ كثيراً في هذه المَرأة... «المَرأة البَهْجَة»،

fb/mashro3pdf

وإذا بروحه تعزف لها موسيقى بيتهوفن ،أخذ صوت الموسيقي يعلو ويعلو حتى غطّى على كل شيء، على صوت المُقرئ، على بُكاء غادة وناهد ومنال وشيماء، على هَذَيان حَسن، على ضجيجُ اللوعة في قلب أشرف

Ode to Joy «إلى البَهجة

ode to freedoom «إلى الحرية»

(تمت بحمد الله)

القاهرة

6يناير2016

fb/mashro3pdf

كتب تمت الاستعانة بها

1 - تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم _عبد الرحمن الرافعي

2 - من هم أسلاف البشرية_ إرنست مول داشف

3 - نساء يركضن مع الذئاب - الاتصال بقوى المرأة الوحشية -كلاريسا بنكولا- ترجمة مصطفى محمود

4 - تعاليم المتصوفين _حضرة عنايات خان

5 - Eckhart Tolle The Power of Now

6 - قصه الحضاره ...ول ديورانت

7 - الفولكلور في العهد القديم جيمس فريزر

القصائد

1 - حكايه الدرب الأحمر_ محمود الشاذلي

2 - جاك بريفير

3 - الكعكة الحجرية _أمل دنقل

4 – لا تصالح _ أمل دنقل

fb/mashro3pdf

عن المؤلفة:

ضحي عاصي كاتبة مصرية من مواليد المنصورة درست الطب في موسكو وتجيد الروسية والفرنسية والإنجليزية.

عملت مترجمه ومرشده سياحية حاصله علي دبلوم اللغة الروسية من جامعة موسكو، بكالوريوس سياحة وفنادق جامعة حلوان، دبلوم أكاديمية الفنون معهد النقد الفني وأيضا دبلوم الفنون الشعبية أكاديمية الفنون، لها إسهامات متنوعة في العمل الثقافي فكانت من المؤسسين لمركز أبجدية الثقافي ومركز شبابيك الثقافي، عضو اتحاد الكتاب واتيليه القاهرة ونادي القصة.

تنتمي إلي جيل الألفية الثالثة ويشغلها الهم الإنساني في كتاباتها، أصدرت مجموعتين قصصيتين هما: «فنجان قهوة» (2007) عن دار «شرقيات»، و«سعادة السوبر ماركت» (2009) عن دار «ميريت»، وكتاب في علم الاجتماع السياسي «محاكمه مبارك بشهادة السيدة نفيسة»عن دار نهضه مصر .

fb/mashro3pdf

صدر عن بيت الياسمين

عام ٢٠١٠

١- «What A Woman Is» تأليف «Opal Palmer» رسوم «شيماء كامل» (أشعار باللغة الإنجليزية مترجمة إلى العربية ولوحات فنية).

٢- «ثقوب تتسع قليلاً» «مجموعة قصصية» لـ «حنان فاروق».

٣- «لافندر» «مجموعة قصصية» لـ«شيماء كامل».

٤- «دفتر أحوالي» «مجموعة قصصية» لـ «سيد مشهوري».

٥- «L for life , love lots in between» «مجموعة قصصية بالإنجليزية» لـ «لؤي تاج الدين».

٦- «عائلة باسكوال» لـ «كاميليو خوسية سيلا» نوبل للآداب ترجمة «د.حامد أبو أحمد».

٧- «حفل المئوية» «رواية» لـ «رضوى الأسود».

٨- «مرة واحد صعيدي» دراسة لـ «محمود الكردوسي».

٩- «رفيقي للكونسير» «معجم جيب» لمصطلحات الموسيقى الكلاسيكية لـ «حسام الدين زكريا».

١٠- «كلام ناقص» «مجموعة قصصية» لـ «ربيعة ريحان».

١١- «كلماتي» «مجموعة قصصية» لـ «رقية حمود الشبيب».

fb/mashro3pdf

١٢- «لوريس» «مجموعة قصصية» لـ «رقية حمود الشبيب».

١٣- «أحلام قصيرة - سياج» مجموعة قصصية لـ «رقية حمود الشبيب».

١٤- «السبت فات» مقالات «إبراهيم عبد المجيد».

عام ٢٠١١

١٥- «خارج السياق» «مجموعة قصصية» لـ «طلال أبو شاويش».

١٦- «نستحق موتا أفضل» «رواية» لـ «طلال أبو شاويش».

١٧ - «شخص صالح للقتل» «مجموعة قصصية» لـ «شريف صالح».

١٨- «أسباب قد تبدو وجيه للقتل» «مجموعة قصصية» «نبيل عبد المحسن سالم».

١٩- «هوم سيكنس» «رواية» «محمد حسن غانم».

٢٠- «الرملة البيضا» «سير وتراجم» لـ «عصمت داوستاشي».

٢١- «واه يا غلبي» «أشعار» «هويدا عطا».

٢٢- «From Gaza With Love» مدونة عن حرب غزة لـ «منى الفرا».

٢٣- «مسيح بلا توراة» «رواية» لـ «أسامة حبشي».

٢٤- «شوارع ديسمبر» «رواية» لـ «أحمد نبيل».

٢٥- «الشريان» «رواية» لـ «شريفة محمد العبودي».

٢٦- «الدلجموني» «رواية» لـ «ممدوح عبد الستار».

٢٧- «تراتيل وحكاوي أخرى» مجموعة قصصية لـ «أحمد الباسوسي».

٢٨- «السيجارة الأخيرة» «مجموعة قصصية» لـ «منى عوض».

fb/mashro3pdf

عام ٢٠١٢

٢٩- «من الذي يصنع الأزمات في مصر» لـ «إبراهيم عبد المجيد».

٣٠- «حكاية شمردل» «رواية» لـ «عمار علي حسن».

٣١- «فضاءات مدينة» «رواية» لـ «رضا صالح».

٣٢- «العربات» «أشعار» «جاسم ألياس».

٣٣- «أحن إلى باب أهلي» «أشعار» «جاسم ألياس».

٣٤- «حكايات ساعة الإفطار» «مجوعة قصصية» لـ «إبراهيم عبد المجيد».

٣٥- «كوابيس شرق أوسطية» «رواية» لـ «طلال أبو شاويش».

٣٦- «بقايا امرأة» «رواية» «باسل ناصر».

٣٧- «the real story of the egyption revolution» «مقالات» باللغة الإنجليزية لـ «حسن الصواف».

٣٨- «النقد والتذوق الجمالي» دراسة لـ «د.حسن يوسف».

٣٩- «شيء من القلق» أشعار «قاسم بركات».

٤٠- «الحياة في الكارنتينا» «رواية» لـ «محمد حسن غانم».

٤١- «عيسى نبي والحسين ابن بنت النبي» «دراسة» لـ «أحمد إسماعيل».

٤٢- «حكايات من زمن فات» «سيرة ذاتية» لـ «كمال خليل».

٤٣- «نص هجره أبطاله» «رواية» لـ «دينا عبد السلام».

٤٤- «عشيقات الطفولة» «مجموعة قصصية» لـ «محمد بركة».

٤٥- «بلاء السيم مختارات» من أعمال كاتب سوريالي ترجمة «بشير السباعي».

fb/mashro3pdf

عام ٢٠١٣

٤٦- «سياسة بالمكسرات» «مقالات ساخرة» لـ «هبة عبد العزيز».

٤٧- «محاكمة لأشجار البن» «مجموعة قصصية» لـ «أشرف عبدالحكيم».

٤٨- «اخترت القطار للسفر» «أشعار» «عبد الرحيم طايع».

٤٩- «أيا قلبي» «أشعار» لـ شيماء «حافظ الصباغ».

٥٠- «جريمة عطر» «مجموعة قصصية» لـ «ريما إبراهيم».

٥١- «قانون جديد» «رواية» لـ «مؤمن المحمدي».

٥٢- «الاحتياطي» «رواية» لـ «زكريا عبدالجواد».

٥٣- «مواسم الحب والدم» «رواية» لـ «طلال أبو شاويش».

٥٤- «باب سر» «رواية» لـ «آمال الميرغني».

٥٥- «سابت» «أشعار عامية» لـ «دنيا السركي».

عام ٢٠١٤

٥٦- «أصدقائي الكلاب» «رواية» لـ «فالح مهدي».

٥٧- «أوراق غريبة» «مجموعة قصصية» لـ «أحمد صوان».

٥٨- «كازانوفا المصري» «مجموعة قصصية» لـ «أحمد الباسوسي».

٥٩- «بلد لا تعرف الحب» «أشعار» لـ «ريهام زينهم».

٦٠- «مخبي قلبه في حنينه» «أشعار» «هويدا عطا».

٦١- «إليك ربي» أشعار «مروة سعيد».

٦٢- «هكذا تكلم نبهان» «مجموعة قصصية» لـ «سلطان حويطي».

٦٣- «شخص حزين يستطيع الضحك» مجموعة قصصية لـ «صابر رشدي».

٦٤- «دقائق بعد الثالثة» «رواية» لـ «حازم الشاذلي».

fb/mashro3pdf

٦٥- «نبض رأس» «أشعار» «أحمد الشاذلي».

٦٦- «بيضة النعامة» «رواية» لـ «رءوف مسعد».

٦٧- «الغرباوية» «رواية» لـ «رءوف مسعد».

٦٨- «إيثاكا» «مجموعة قصصية» لـ «رءوف مسعد».

عام ٢٠١٥

٦٩- «مشاهدة من واقع النفق» «رواية» لـ «مصطفى عبدالباقي».

٧٠- «عنب أخضر» «رواية» لـ «محمد كشيك».

٧١- «حامل السر» «رواية» لـ «وليد مرعي».

٧٢- «بولاق أبوالعلا» «رواية» لـ «فتحي سليمان».

٧٣- «Dealing With A Devil» «نوفلا» لـ «منه القاضي».

٧٤- «أين بغداد» «أشعار» «جاسم ألياس».

٧٥- «صندوق خشب» «مجموعة قصصية» لـ «يحيى موسى».

٧٦- «برج العذراء» «رواية» لـ «إبراهيم عبد المجيد».

٧٧- «سنة و٣أيام» «رواية» لـ «أحمد فرغلي رضوان».

٧٨- «نوران» «مجموعة قصصية» لـ «محمد عبد الستار المليجي».

٧٩- «حرائق مدينة أثمة» «رواية» لـ «سماح حسنين».

٨٠- «لص الأرواح» «رواية» لـ «محمد حسن غانم».

٨١- «نقد العقل الدائري» «دراسة» لـ «فالح مهدي».

٨٢- «نزول عيسى بين الخدعة والحقيقة» «دراسة» لـ «عزت حجازي».

٨٣- «في سجن النساء» «رواية» لـ «جين بقطر».

٨٤- «مذكرات عربجي» مقالات لـ «سليمان نجيب» سلسلة جذور.

fb/mashro3pdf

عام ٢٠١٦

٨٥- «إصابة ملاعب» «رواية» لـ «أحمد الصاوي».

٨٦- «الفالح» «رواية» لـ «حازم الشاذلي».

٨٧- «طبقات المعتزلة» «دراسة» لـ «أحمد بن يحيى بن المرتضى» سلسلة جذور.

٨٨- «أغسطس أسفار العبث» «رواية» لـ «أسامة الشاذلي».

٨٩- «وقائع مسروق أبن مسروق» «أدب ساخر» لـ «محمد منير».

٩٠- «المذكر» «رواية» لـ «مالك مصطفى».

٩١- «رحيل» «مجموعة قصصية» لـ « محمد عبد الستار المليجي».

٩٢- «مذكرات عبد أميريكي» ترجمة «إبراهيم عبد المجيد» سلسلة جذور .

٩٣- «أغنية النار» «رواية» لـ «بثينة خضر مكي».

٩٤- «صهيل النهر» «رواية» لـ بثينة خضر مكي».

٩٥- «وداعا نيومينسو» «رواية» لـ فاطمة المرسي».

٩٦- «١٠٤ القاهرة» «رواية» لـ «ضحى عاصي».

٩٧- «بطلة سيما» «مجموعة قصصية» لـ «غادة فايق».

٩٨- «على قيد الموت» «رواية» لـ «عمر فارس أبو شاويش».

٩٩- «الاتجاه المضاد» «رواية» لـ «ريم تيسير غنام».

١٠٠- «الحياة باللون الأبيض» «رواية» لـ «عمر حاذق».

١٠١- «الكتاب صفر» لـ «محمد عبد الرحمن».

fb/mashro3pdf

104 القاهرة

رواية

هذه الرواية تعتبر عملا إبداعيا رائعا يتميز بحيوية السرد، فتجذبك من صفحاتها الأولى ببساطة مدهشة، لتستغرق في عالم مترابط من الشخصيات النابضة القريبة، إذ تقدم الكاتبة لوحة اجتماعية شديدة التشابك والكثافة، تكشف وتحرك الحياة الاجتماعية المصرية منذ خمسينات القرن الماضي، وحتى العقد الأول من القرن الحالي، وتصهر ثقافات الأولياء والمتصوفة مع عالم الحكمة والفلسفة اليونانية، والغناء والحكي مع حضارات التبت ووصفات السحر الشعبي، تلك العوالم التي -من خلال تفاصيلها- تقودك إلى فلسفة الطبيعة الإنسانية الممزوجة حتما ما بين عالم الروحانيات وأرض الواقع.. ما بين المتمنى والمتاح.

...

ضحى عاصي تتمرد على أي شكل من أشكال الجمود، وتحرر السرد والبناء من البلاغة التقليدية، لتبني روايتها بناء رائعا ومدهشا من مادته، اللغة، التي تتجاوز الكاتب إلى أرواح البشر والمكان.

الناشر

غلاف: عبد الرحمن الصواف

بيت الياسمين

ISBN 978-9-77817-000-9

9 789778 170009

fb.me/mahrosapdf